

جون هور

THE RED PALACE

القصر الأحمر

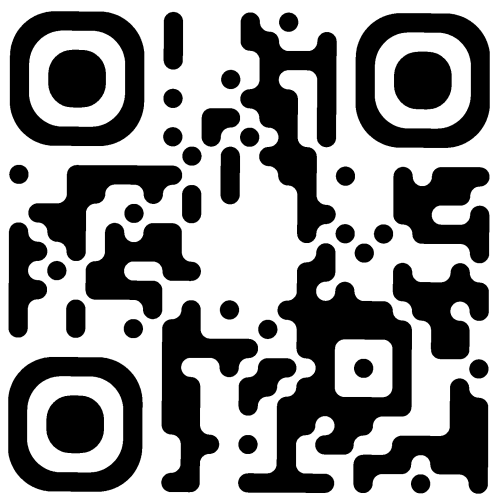
دخول القصر يعني السير في طريق ملطخ بالدماء



مكتبة

ترجمة: رانا محمد ولاية

THE RED PALACE
القصر الأحمر



سجل في مكتبة
اضغط! الصفحة



لتجارة الكتب

إدارة التوزيع

00201150636428

لمراسلة الدار:

email:P.bookjuice@yahoo.com

Web-site: www.aseeralkotb.com

- العنوان الأصلي: The Red Palace
- العنوان العربي: القصر الأحمر
- حقوق النشر:
- Copyright © 2022 by June Hur
- تأليف: جون هور
- ترجمة: رانا محمد ولايه
- تحرير: أحمد حسين
- تدقيق لغوي: أحمد حسين علام
- تنسيق داخلي: معتز حسنين علي
- رقم الإيداع: 2024/27386 م
- الطبعة الأولى: يناير/2025 م
- حقوق الترجمة: محفوظة لدار عصير الكتب
- الترقيم الدولي: 3-80-6972-977-978

مكتبة
t.me/soramnqraa

جون هور

THE RED PALACE

القصر الأحمر

دخول القصر يعني السير في طريق ملطخ بالدماء



مكتبة

t.me/soramnqraa

ممة: رانا محمد ولاديه

إلى زوجي بوسكو...
«تُولد الصداقة في تلك اللحظة التي يقول فيها شخصٌ ما إلى
آخر: ماذا! أنت أيضًا! لقد ظننت أنني وحدي...».

- سي. إس. لويس

مكتبة 1

t.me/soramnqraa

فبراير 1758

«اتبعاني»، همس الطبيب نانشين، «ولا تسألًا أي سؤال».

انساب ضوء القمر بهدوء مماثل للثلج المتساقط على مهل، فأضاء أسطح الجناح وتماثيل الحيوانات المصطفة على قرميد السقف المتدلي. ألقت الفوانيس الأرضية بضوئها الذهبي على الساحات المغطاة بالصقيع، وعلى متاهة النوافذ والأبواب الخشبية المزخرفة بالنقش المُفرَّغ. خيم الصمت، لا يقطعه إلا رنين الجرس الكبير القادم من بعيد، يتردد صداه عبر العاصمة ويدوي فوق قصر تشانجدوك. ومع الدقة الثامنة والعشرين، ستُقفَل أبواب القصر لحلول الليل.

ما إن أدار الطبيب الملكي ظهره لنا تبادلنا أنا وجيون نظرات بأعين متسعة.

قالت: «ألم تنته مناوبتنا؟ ألا يُفترض أن يسمحوا لنا بالعودة إلى المنزل؟».

رمقت الطبيب بقلقٍ وأجبتها: «هذا غريب جدًا».

ولكن ما أدرانا نحن بالغريب أو غير المعتاد؟ نحن جديدتان في وظيفتنا كـ (ناي-يونيوس nae-uinyeos): ممرضات مختارات بعناية للعمل في القصر.

بدا صوتُ الطبيب الملكي لاهتًا وهو يسرّع من خطواته شابكًا يديه داخل أكمامه الواسعة، قال: «لا وقتَ نُضِيعه». ثوبه الحريري الأزرق يرفرف مثل الأمواج المتلاطمة في عاصفة، ومئزره الطويل الأبيض يشبه بياض الزبد حين يغطي بحرًا هائجًا: «علينا أن نُسرّع».

أسرعنا أنا وجيون في خطواتنا امتثالًا لأمره. امتدت ظلالنا الطويلة أمامنا، ظلها يحمل صينية وظلي يمسك بفانوس. بقينا صامتتين هذه المرة، بينما في العادة نشكو من قرقرة بطوننا أو أطرافنا المُرَهَقَة من العمل طوال اليوم. الأمور مختلفة في القصر، لا يتصرف أحدٌ مثل الأطفال هنا، حتى أطفال العائلة المالكة يتصرفون مثل الكبار المهيبيين الحذرين.

بخطواتٍ طويلة وسريعة، تركنا العطارة الملكية الواقعة في الركن الشرقي من القصر، وتحركنا في خط مستقيم من فناء إلى فناء، ورنين الجرس الضخم يدقُّ في الخلفية. دقٌّ ببطء وتكرار، الدقة السادسة والعشرون، الدقة السابعة والعشرون، وأخيرًا الدقة الثامنة والعشرون. أكاد أسمع صرير غلق البوابات الرئيسية، من المستحيل مغادرة القصر الآن. سَكَنَ القلق في عظامي، وترددتْ في ذهني التحذيرات التي لُقِّنتُها: دخول القصر يعني أن تسيروا في طريق ملطخ بالدماء، هكذا كان يهمس معلمو الطب لنا. ستسفك دماءً، لست أرجو سوى ألا تكون هذه الدماء دماءكم.

كلما اتجهنا نحو الجنوب، ازداد المكان فراغًا، حتى أصبحنا على بُعد أربع ليات⁽¹⁾ من المكان الذي أعلم أن أغلب أفراد العائلة المالكة يسكنونه؛ نصف ساعة من المشي على الأقل.

(1) الـLi: الميل الصيني، وحدة صينية تقليدية لقياس المسافات. (المترجمة)

ازدادت الظلال التي تغمر الأجحة الفارغة عتمةً وعتمةً، ولم يعد الثلج المتساقط مُغطًى بآثار الأقدام الزرقاء، بل بدا كأنه لم يمسه أحد. مررنا أخيرًا عبر بوابة محروسة ودخلنا فناءً مضاءً بالفوانيس. في منتصفه بركة زنبق مُربعة، تعكس مياهها المتجمدة القمرَ المستديرَ المضيء والتلال السوداء على الجبل الحارس.

لم أمر من هذا الطريق من قبل.

أمام الفناء جناحٌ كبير: مبنى به صف طويل من النوافذ المغطاة بأوراق الهانجي⁽¹⁾، و صفوف من الأعمدة الشاهقة وسقف مُنمق مكسو بقرميد أسود، تحت إفريز السطح لوحة خشبية مُعلقة كُتب عليها: جناح جوسونج، وهو البيت الرئيسي في مجمع دونجونجون. مقر إقامة ولي العهد نفسه.

لم أرَ ولي العهد من قبل، لكنني سمعت همسات مُخيفة عن الأمير جانجهيون. عندما وُلد، قيل أن الملك -المعروف عادة برزاقته الصارمة- كاد يتعثّر في ثوبه وهو يهرول لاحتضان ابنه. ابنٌ غاية في الجمال، ووريثه الوحيد الباقي على قيد الحياة. وقع الملك في حب الطفل، حتى إنه سارع إلى تنصيبه وليًا للعهد رسميًا، وهو منصب لم يأتِ بلا ثمن، فما إن أتم يومه المئة، انتزع الأمير الرضيع من حضن أمه ونُقِل إلى جناح جوسونج ليُشرف على تربيته بالكامل مجموعة من الغرباء في جزء معزول من القصر، بعيدًا جدًّا عن والديه، حتى إنه بعد فترة من الوقت لم يعد يراهما إلا مرة واحدة كل عام. الآن تتردد شائعات مُقلقة حول الأمير المُهمَل.

(1) الهانجي: الورق التقليدي الكوري، ومن أهم مظاهر تراث الحضارة الكورية القديمة. (المترجمة)

سمعتُ ممرضةً في القصر تقول ذات مرة: سيحين الوقت قريباً، حينها سيُعدَمُ وليُّ العهد، إما على يد فصيل التعاليم القديمة⁽¹⁾ أو على يد والده. همسات كانت تصمتُ فور رؤيتي أنا وجيون، لأننا كنا جديدتين في القصر.

- أقبلا.

طرفتُ بعينيّ، وعاد انتباهي إلى الطبيب نانشين. أشار إلينا كي نُسرّع خطواتنا أكثر، ففعلنا وتبعناه أمام صف من سيدات البلاط الواقفات من دون حراك كالتمائيل. بيد أن إحدى الشابات رمقنا خلسةً من بين رموشها، فالتقت أعيننا، ثم خفضتُ نظرتها بسرعة. ومع ذلك، ما زلت أشعر كما لو أن ألف عين أخرى تراقبنا.

خفق قلبي بقوة حين وضعتُ فانوسي جانباً. صعدنا الدرجات المؤدية إلى الشرفة، ثم إلى الجناح، حيث بدأت الأبواب الخشبية المصفوفة تنفتح واحداً تلو الآخر يشدها الخدم الذين يتحركون بهدوء، كأنهم ظلالٌ، مفسحين لنا الطريق للتقدم إلى الداخل أكثر حتى وصلنا إلى الركن الداخلي. استقبلنا خصيٌّ له وجهٌ شاحب مفعمٌ بالحزن.

همس الخصيُّ للطبيب: «أعلم أن دوامك انتهى يا يويون-نيم⁽²⁾، لكن الأمر عاجل، الأمير بحاجة إلى مساعدتك».

أخفى انحناءُ رأسي الصدمة التي وسّعت عينيّ، فمِنذ دخولي القصر لم أعتنِ إلا بالنساء: الأميرات، المَحْظِيَّات، سيدات البلاط؛ لم يحصل من قبل أنني ساعدتُ الأطباء في علاج ذكور العائلة المالكة.

(1) أحد الفصائل السياسية في عهد مملكة جوسون. (المترجمة)

(2) بمعنى: سيادة أو السيد الطبيب؛ فـ'Uiwon' تعني طبيب، و'nim' هي لاحقة للتوقيع والاحترام وتعني السيد. (المترجمة)

«رجاء، اتبعوني»، انحنى الخصيُّ بينما رافقنا إلى غرفة يلفُّها الظلام، تنسلُّ الظلال من حواف الفوانيس الأرضية والشموع. تملأ المكان أكوامٌ من الكتب المدفوعة إلى جوانبه بشكل عشوائي. ارتعشت سيدتان من سيدات البلاط أمام ستار خيزراني منسوج بفخامة، ستارٌ يتدلَّى من السقف حاجباً وراءه شخص ما. حين دخلنا، رفعنا الستار كاشفتين عن شخصٍ في ملابس بيضاء مستلقٍ على حصيرة النوم.

أمرهما صوت أنثوي قائلاً: «اذهبا أنتما الاثنتان».

بينما تغادر سيدتا البلاط، اختلستُ النظر إلى سيدة تجلس قرب الجدار، إنها السيدة هيجيونج، زوجة ولي العهد، كلاهما في الثالثة والعشرين من عمرهما، جُمعا منذ زواجهما في عمر التاسعة. بدت مثاليةً كعاداتها، مرتدية ثوباً حريراً مزخرفاً بنقوش دائرية تُشبه الميداليات، بها تنانين لامعة منسوجة بالذهب، وشعرها الأملس يتلألأ في ضوء الشموع وهو معقودٌ بربطة سميكة عند مؤخرة رقبتها، ومثبتٌ في مكانه بقضيب ذهبي. صادفتها عدة مرات من قبل في قاعة تشيبوك، وبدا لي أنها تُفضِّل قضاء معظم وقتها مع حماتها بدلاً من بقائها هنا مع زوجها.

قالت السيدة هيجيونج رافعةً صوتها كأنها لا تُحدثنا نحن، بل مَنْ بالخارج: «سموُّه يشعر بالمرض منذ يومين، ووضعه يزداد سوءاً».

سألها الطبيب نانشين: «هل تناول صاحب السمو الملكي أي دواء اليوم؟».

- لا، بدت عليه علامات التحسن هذا الصباح، ولكن بعد الظهر فقد وعيه، وهو متوعكٌ منذ ذلك الحين.

أحنى الطبيب رأسه: «سأفحص سموه حالاً». جثا الطبيب أمام الشاب النائم وظهره نحونا، وجثونا أنا وجيون خلفه. خشخش غطاء

السريّر؛ صوت حركة ولي العهد وهو يرفع جسده إلى وضعية الجلوس بمساعدة خَصِيّه.

سألت السيدة هيجيونج: «أخبرني، ما خطب صاحب السمو الملكي؟ لقد عانى الضعف والتعب طوال اليوم».

لم أستطع المقاومة، فأنا لم أرَ الأمير من قبل، ولا حتى من بعيد، فهو يقضي معظم وقته يتدرّب في الحديقة المحرمة، يصقل مهاراته في فنون السيف والقوس. مرّرت نظري بحذرٍ على رداء نوم سموّه، ورسغه الممدودة للطبيب، ورقبته الهزيلة... ثم تسمّر بصري أمام وجه مذعور تكسوه التجاعيد.

رمشتُ.

أغمضتُ عينيّ بقوة، ثم نظرت مجددًا: لا شيء تغير، لست أهلوس. اجتاحتني موجة من الارتباك عند رؤيتي رجلًا عجوزًا، خصيًا، يرتدي ثوب نوم ولي العهد، ويجلس على سرير ولي العهد. هذا ليس الأمير جانجهيون. ومع ذلك، بقي الطبيب نانشين جاثيًا، وأصابه الحذقة على رسغ المدّعي، كأن الخصي هو حقًا الملك المستقبلي بنفسه.

«صاحب السمو الملكي يشعر بالضعف لأن «الكي»⁽¹⁾ لديه ضعيفة»، التفت الطبيب من خلف كتفه، فظهر لنا جزء من وجهه، والعرق يتصبب أسفل صدغه.

- يا ممرضة جيون، أحضري شاي الجينسنج.

بقيتُ جيون جامدة، محدّقة أمامها إلى الأمير المحتال. همست: «خ... خصي إيم؟».

(1) Ki التشي أو الكي: كلمة تُستخدم لوصف الطاقة الطبيعية للكون، التي يُعتقد أنها تتغلغل في كل شيء، بما في ذلك الجسد البشري. (المترجمة)

رماها الطبيب بنظرةٍ، وشحب وجهه. قال مهسهساً: «اسكتي»، ثم نظر إليّ وقال: «يا ممرضة هيون، أحضري الدواء من فضلك».

على الفور تناولتُ صينية جيون، ونهضت على قدمي، ارتعشت يداي، واهتزت الصينية فشعرت بالرعب وبأن النظرات المحدقة اتجهت نحوي.

قالت السيدة هيجيونج بصوتٍ منخفض: «تبدين محتقنةً يا ممرضة هيون، ومرتبكةً نوعاً ما».

أحكمتُ قبضتي على الصينية بقوة أكبر، لكنها ظلت تهتز.

- أرجو المَعذرة يا سيدتي.

- أبلغوني أن اسمك هو بايك-هيون.

- نعم، يا سيدتي.

بدا صوتي مختنقاً: «هذا هو اسمي».

- اسمٌ مخصصٌ عادةً للصبيان.

أردتُ أن أمسح حاجبي، لم يعاينني أحد من العائلة المالكة بهذه الطريقة من قبل: «عندما وُلدت، خاب أمل أُمي كثيراً، حتى إنها أَسَمَّتْني باسم صبي».

تفحصتني عيناها من كُتب، فأصبح الهواء من حولي خانقاً ومؤلماً، حتى أقل حركة تؤذي جلدي. ثم همست: «تشبهين أخت الأمير المفضلة إلى حد كبير، الأميرة هواهيوب. لقد ماتت قبل ست سنوات».

بقيتُ أطرافي جامدة، لا أعرف ما إذا كان هذا الشبه يسوءُ سموها أم لا. لم أدرك أن عضلاتي قد تصلَّبت بشكل مؤلم إلا عندما أبعدتُ نظرها عني، وفوراً عادتِ الراحة إلى كتفيّ.

قالت السيدة هيجيونج بصوتٍ ما زال خافتًا: «وأنتِ يا جيون، ابنة عم بعيدة لمحقق الشرطة الجديد».

تلعثمت جيون: «نـ... نـ... نعم، أ. أنا».

وضعتُ الصينية المزعجة جانبًا ورجعتُ إلى مكاني خلف الطبيب، جاثيةً على الأرض دافئةً يديَّ المتعرقتين في تنورتي. أردتُ أن ألقى نظرةً إلى جانبي، حيث تجثو جيون، لكن الخوف أبقاني ثابتةً.

«لقد استدعيتكما أنتما الاثنتين بالتحديد لسبب معين». تمهّلت السيدة هيجيونج في الكلام، وألقت نظرةً خاطفةً نحو وقعِ أقدامٍ على الجانب الآخر من الأبواب ذات الزخارف الشبكية: خيال سيدة بلاط تمشي عابرةً، ومن ثم اختفى، ثم أكملتِ السيدة هيجيونج: «لأنكما تشتركان في شيء واحد».

أخيرًا نظرتُ إلى جيون. نحن في العمر نفسه تقريبًا؛ بلغنا الثامنة عشر حديثًا. كنا بناتٍ لمحظياتٍ متواضعات، وبالتالي كنا خادمتٍ من دماء غير نقية، ننتمي إلى طبقة التشيونمين، أدنى الطبقات. لكن، والد جيون يعترف بها ابنةً له، بينما يعاملني أبي كأنه لا تربطني به أي علاقة، تمامًا مثل الخادمين في منزله.

أوضحتِ السيدة هيجيونج قائلةً: «أنتما ممرضات القصر المختارات حديثًا، وقبل ذلك، كنتما ممرضات الهيمينسيو⁽¹⁾ المفضلات عند الممرضة جيونجسو، وأنا أثق بتلك المرأة».

شددتُ على تنورتي بقوة. لا بد من أن جيون مرتبكة مثلي.

(1) الهيمينسيو Hyeminseo: الهيئة الطبية في مملكة جوسون، والمسؤولة عن علاج عامة الناس، وتحضير الأدوية وتدريس الطب الكوري. (المترجمة)

- الممرضة جيونجسو صديقة العائلة، كما أن عائلة الطبيب الملكي نانشين على صلة بعائلتي، أتمنى أن أثق بكما أيضًا يا جيون وهيون، فقد أكدت لي معلتكما أنكما جديرتان بالثقة. ثم اكتسى صوتها بنبرة حزن قائلة: «آمل ألا يكون قد جندكما أحد، جواسيس له».

قالت جيون مندفعَةً: «لا، بالتأكيد لا يا سيدتي! نحن لن نجرؤ...». وضعت سموها إصبعًا على شفتي جيون وقالت: «في القصر تتحدثين بصوت عالٍ فقط إذا كانت كلماتك كلمات عامة؛ يجب أن تهمني عندما تتحدثين بكلمات خاصة. الكل يسمع في القصر، الكل يتجسس لصالح شخص ما». أبعدت نظرها عنا ليستقر على الأمير المحتال: «هل أستطيع أن أثق بكما إذن؟».

أجبناها أنا وجيون معًا: «نعم».

- إذن استمرا في الاعتناء بصاحب السمو الملكي، وإذا استدعاه الملك، عليكم أن تخبرا جلالته بأن ابنه ما زال متوعكًا.

تريدنا أن نكذب... على الملك نفسه؟

هذا قد يعني موتنا.

ضاقت أنفاسي، لكنني أحنيت رأسي، وكذلك فعلت جيون. مهمتنا الطاعة. بقيت محدقةً إلى الأرض، أستمع إلى دقات قلبي الصاخبة وصوت حفيف الحرير بينما يداوي الطبيب نانشين الأمير المحتال، مؤدياً عرضه أمام جمهورنا الصامت.

سيدات البلاط. المخصيون. الجواسيس.

أكاد أتخيل ماذا رأوا: مسرحيةً من مسرحيات خيال الظل؛ مجموعة خيالات تتحرك خلف الباب المُغطى بأوراق الهانجي، تتجسّد على هيئة طبيب وممرضتين يتحركون حول الأمير في ظلامٍ يضيئه نور الشموع. إلى متى يُتوقّع أن نستمر في هذه المسرحية، لست متأكّدةً، وطالت الساعات المتوتّرة التي أعقبت ذلك، فتحول الإحساس الحاد بالخوف -الخوف من أننا وقعنا من غير قصد في لعبة مميتة- إلى صدادٍ مبرح. ومع مرور المزيد من الوقت، قضى الصمت الطاغي حتى على الصداد، ولم يعد هناك سوى سؤالٍ واحد:

أين اختفى الأمير جانجهيون الحقيقي؟

دار السؤال في رأسي، وبدوري تفحصت غرفته ببطء. مرّ نظري على مزهرية خزفية لامعة معروضة، وعلى أثاث مطلي بالورنيش ومُطعم بالصدف، حتى استقر على مجموعة من الكتب المُبعثرة في مكان قريب؛ كتب غامضة، بحسب ما سمعت من الشائعات. كان سموه مولعًا بكتب الطاو المقدّسة، والوصفات السحرية، وتعاليم السيطرة على الأشباح والأرواح.

لعلّ القصر بات مكانًا عاديًا جدًّا بالنسبة إلى أمير مولع بالأشياء الغريبة. لعلّه يتجول في الخارج، رغم أن ذلك محظور، فلا يُسمح لأي فرد من العائلة المالكة بمغادرة القصر من دون إذن الملك.

تجوّل عقلي بين الكتب والأثاث باحثًا عن شيء أصب عليه أفكار ليبقيني مستيقظةً. مرت ساعاتٌ على هذا الحال، ساعاتٌ راكدةٌ وبطيئة، كما لو أن الزمن يدور في حلقة لا نهائية. جلس الطبيب نانشين ساكنًا مثل الحجر، بينما قضتْ جيون الوقت في عد إبر الوخز في «النوري جاي شيمتونج»، لعبةً فضية صغيرة مزينة بعقد وشراريب تتدلى من أشرطة الخصر في زيها الرسمي، شيء تحمله كل اليوينيو. وأما الخصيُّ إيم،

الأمير المحتال، فيكتمُ تثأوبه. وأنا قرصت جلدي بقوة، ولكن الخدر استمر في التوغل أكثر. لم أعرف خوفًا مرهقًا كخوف هذا اليوم، كنتُ منهكةً، لا أدري ما إذا مرت ساعة واحدة أم عدة.

قرصتُ نفسي مرة أخرى بقوة. ابقِي مستيقظةً.

ثم انقطع حبل أفكارِي، فانطلقتُ بعيدًا عن الغرفة الملكية، بعيدًا عن القصر، متجهةً إلى المكتب الطبي العام القريب: الهيمينسيو. المكان الذي درسنا فيه جيون وأنا، منذ كنا في الحادية عشرة، لنصبح ممرضات. قضينا أيامنا هناك، انقسم وقتنا بين الاعتناء بالعوام من الناس، والدراسة بجد من أجل امتحانات الطب، عازمتين على تحقيق أعلى الدرجات؛ ففي كل عام، تُوظَّف اثنتان من أكثر الطالبات تميزًا في القصر. ومن أجل هذا الحلم، تعلَّمتُ كيف أعيش بقدرٍ قليل من النوم. تعلمت المذاكرة حتى وقتٍ متأخر من الليل للحاق بالطالبات الأخريات في صف المبتدئين، كلهن خادِمات متوقدات الذهن، في عمري نفسه تقريبًا، ما بين العاشرة والخامسة عشر. كنا نقضي اليوم كاملاً مرتديات سترات الجيوجوري الزهرية والتنانير الزرقاء، شعرنا مُجدَّل بعناية، ورؤوسنا دائمًا مُنكبَّة على الكتب، أو مرفوعة لسماع المحاضرات التي يلقيها علينا معلمون صارمون. ذات مرة وبخني معلمٌ بسبب نومي في أثناء الدرس، ومنذ ذلك الحين تعلمتُ أن أبقى مستيقظةً، أيًا كانت الظروف، عن طريق قرص نفسي بشدة حتى يتسلَّخ جلدي.

كوبي، هو الاسم الذي أطلقته عليَّ زميلاتي، لأن أنفي ينزف دائمًا من الإجهاد نتيجة قرصي لنفسي، لأبقى مستيقظةً عندما لا أنام أكثر من ثلاث ساعات. حتى إن الممرضة جيونجسو أعطتني بعض الأشرطة القماشية الصغيرة التي أحفظ بها في جيبي، كي أسدَّ بها فتحات أنفي كلما تسرَّب منها اللون الأحمر.

كان يُفترض أن أكون ممتازة في إبقاء نفسي مستيقظة، ومع ذلك لم يكن النوم من الأمور التي يسهل مقاومتها.

لا بد أنني غفوت في لحظة ما، لأنني استيقظت مذعورةً على صدى الجرس الكبير المدوي. ترنَّح ذهني المشوش، واستغرقني الأمر دقيقة كي أدرك أن الجرس أعلن انتهاء حظر التجول—إنها الساعة الخامسة صباحًا.

فركت عينيَّ ونظرتُ حولي.

ما تزال الغرفة مظلمةً. وفي الظلال السيدة هيجيونج مستيقظة، ما تزال جالسةً وكتفاها مائلتان قليلاً نحو الأمام. تلاًل العرق على جبينها العريض، وهي منتظرة، تجهد أذنيها في سماع صوت خطوات الملك. قريباً سيستيقظ القصر بأكمله، ويكتشف اختفاء ولي العهد. وهذا لا يُنذر بالخير لها.

ولا لأي واحد منا.

انفتحت الأبواب خلفي، انفتحت فجأةً وبقوة، فاسترقتُ نظرةً خاطفة من فوق كتفي. أمامنا خصيٌّ يافع، يلهث بينما يحاول أن يُعدّل قلنسوته السوداء.

قالت السيدة هيجيونج بصوتٍ متقطع: «خصيُّ تشو، أين سموه؟ أخبرتك ألا تعود حتى تجده».

«أنا...»، بدأ ينطقُ متنفساً بصعوبة وماسحاً حاجبيه، ثم أكمل: «لقد دخلتُ القصر فور فتح البوابات يا سيدتي. الأمير في طريقه إلى هنا في هذه اللحظة».

أمالت صاحبة السمو رأسها إلى الوراء قليلاً وعيناها مغمضتان، بدأت الراحة تتسلل إليها، وخفَّ التشنُّج على حافة حاجبيها: «اذهب

وأخبر سموه بأن يستخدم نافذة غرفته الخلفية، حتى لا تراه سيدات البلاط، لقد تركتها مفتوحة». انتظرت، لكن بقي الخصي في مكانه، شابكًا يديه بقوة. قالت: «ما لك؟».

شبك الخصي تشو يديه، ثم قال: «بلوى كبيرة نزلت بالعاصمة يا سيدتي، مذبحة، ثمّة مذبحة».

حبستُ نفسي، واقشعر جسمي من كلماته.

سألته السيدة هيجيونج: «ماذا تقصد؟».

- كنت أرافق سموه عندما أخبرني أنه شاهد للتو مشهدًا شنيعًا. كان ولي العهد مهزوزًا جدًّا، لذا فإنه...

ألقي الخصي تشو نظرة خاطفة نحو الباب، ثم هرع إلى جوار سموها: «إنه في حالة عدم اتزان. سأغادر الجناح فورًا يا سيدتي، وأعود إلى مقر إقامتك».

عبستُ، هل سموها في خطر؟

كأنها استشعرت سُؤالي، اتجهت عينا السيدة هيجيونج نحوي، وبدأت مدهوشةً إلى حد ما لرؤيتنا ما زلنا جاثيتين في الغرفة: «أبواب القصر مفتوحة الآن، غادروا. ولا تخبروا أحدًا بهذا، إذا كانت حياتكم تهمكم».

انحنينا، ثم تراجعنا إلى الخلف بخطواتٍ هادئة. لا أطيق الانتظار كي أتحدث مع جيون؛ دائمًا ما نثرثر حول ما يدور في القصر في أثناء سيرنا إلى البيت، منزلها بالقرب من المنطقة الشمالية، ومنزلي بالقرب من بوابة القلعة.

ما إن أغلقت الأبواب خلفنا، حتى تسلل صوت الخصي تشو إلى داخلي: «يا سيدتي، قُتلت أربع نساء. في الهيمينسيو».

توتر قلبي عند تلك الكلمة: **الهيمينسيو**؛ هو بالنسبة إلى الكثيرين المكتبُ الطبيُّ، لكن بالنسبة إليَّ هو بيتي الحقيقي الأول والوحيد. المكان الذي كبرت فيه أحلامي بأن أصبح ممرضة، وأحظى بمكانة أفضل، بأن أكون أكثر من مجرد هيون، الابنة غير الشرعية، العامية، السوقية.

تمنيتُ لو أنني أخطأت السمع، لكن عندما نظرتُ إلى جيون، إلى عينيها المذعورتين وفمها المفتوح، كدتُ أقع عن الدرجات الحجرية على صفٍّ من سيدات البلاط. حاولتُ أخذَ نفسٍ عميق، لكنني اختنقتُ كأني أتنفس شظايا ثلج.

ممرضات الهيمينسيو... ميتات... قُتلن؟

لم أنتبه حين تحولت خطواتي إلى هرولة سريعة مترنحة.

ناداني الطبيب نانشين: «يا ممرضة هيون، يجب ألا تجري في القصر...».

قلتُ «يا يويون-نيم، يجبُ أن أذهب»، ثم اندفعت نحو الفناء، أقفز من درجة حجرية إلى درجة حجرية أخرى، أتزلق على الطبقة المتجمدة من الثلج. استغرقتني الأمر لحظة كي أدرك أن جيون خلفي تمامًا، ينبض قلبانا بالرجاء نفسه.

رجاء ليكن الخصى مخطئًا. رجاء... رجاء... رجاء.

انساب الضبابُ الأزرقُ نحو الطريق الرئيسي المكسو بآثار الثلج، البرد القارس يقضم آذاننا ووجناتنا، ونحن سائرتان بسرعة في شارع دونهوامونرو، بجوار أكشاك السوق النائمة. لم تكن الشمس قد أشرقت بعد، والظلال منسلّة بعمقٍ في كل زاوية. اصطكتُ أسناني عندما اقتربنا

من الهيمينسيو؛ مجمّع مسوّر واسع يضم المكتب الطبي وساحاته الفسيحة.

«انتظري». لمستُ جيون مرفقي ووقفنا، حيث احتشدت مجموعة صغيرة عند مدخل البوابة التي يحرسها ضابط شرطة، بدا وجهه برتقاليًا محمرًا تحت ضوء المشعل.

- أليست هذه ممرضة القصر إينيونج؟

- الممرضة إينيونج؟ لماذا هي هنا...؟

تعلّق نظري بالوجه المألوف الموجود وسط الحشد. إنها حقًا الممرضة إينيونج، ملفوفة بعباءة من القش، ووجهها شاحب، وعيناها تحدّقان نحو الأمام. أنزلتُ أكمامها إلى الأسفل عندما هبت عصفّة ريح، ثم ارتجفتُ وهي تشدّ العباءة على جسدها بإحكام. بالكاد أعرفها، لا أعرف سوى أنها أكبر مني ببضع سنوات. همستُ: «ربما يمكنها أن تخبرنا ما حدث».

أسرعنا وشققنا طريقنا وسط المتفرجين الذين يهتممون. عندما اقتربنا بما يكفي مددتُ يدي لأرّبّت على كتف الممرضة إينيونج المغطى بعباءة القش، لكنها تراجعَت، واختفتُ متوغلةً وسط الحشد. وبعد هنيهة، رأيتهَا تنسلُّ نحو زقاقٍ، وتتركني وحيدة مع سؤالي:

من مات؟

استدرتُ ورفعتُ رأسي كي أنظر خلف الضابط الذي يحرس البوابة برمحه اللامع تحت ضوء المشعل. أربع جثث مستلقية في الفناء على نقالات، الواحدة بجانب الأخرى بلا حراك تحت حصار من القش. عقدتُ ذراعيّ، واحتضنتُ نفسي بقوة محاولة التغلب على موجة زعر اجتاحتني.

كنت على بُعد خطواتٍ قليلة من البوابة، وتحركتُ كي أقترُب أكثر.

أمسكتُ جيون بكُمي: «إلى أين تذهبين؟».

همستُ: «أريد أن أرى من الذي قُتل».

- لكنه مسرح جريمة يا هيونا!

- ربما بمقدورنا المساعدة؛ كنا يومًا ممرضات في الهيمينسيو.

تقدّمتُ خطوة أخرى للأمام، وعلى الفور أنزل الشرطي رُمحه ليسد عليّ الطريق.

قال زاجراً: «تراجعي!».

تراجعتُ جيون على الفور، لكنني بقيتُ في مكاني، وتفاقم الرعب في دمي وأنا أحدّق إلى الفناء.

حذّرني مجدّداً: «تراجعي».

تشكّلت الكلمات، وتدفقت من بين شفّتي: «لكنني ممرضة، وأرغب في فحص الجثث».

تفحّصني ضابط الشرطة، وعرفت ماذا رأى: امرأةً شابة ترتدي سترة حريرية سماوية اللون، وتنورة زرقاء داكنة، ومئزرة طويلة بيضاء. شعري معقودٌ بربطة، ومثبت بشريطة حمراء قانية و«جاريما»، قبعة رأس تشبه التاج من الحرير الأسود.

سألني: «ممرضة في الهيمينسيو؟».

«لا». أظهرتُ بطاقتي التعريفية المميزة، تلك التي تسمح لي بالدخول إلى أراضي القصر: «أنا ناي-يوني».

أمال الضابط رأسه جانباً عاقداً حاجبيه. الشرطة لا تحتاجني، لديها العديد من الممرضات الماهرات في فحص الجثث، يُطلقُ عليهن لقب «دامو»، ممرضات أرسلوا للعمل في مكتب الشرطة عقاباً على سوء علاماتهم الدراسية. ومع ذلك، أبعد الضابط رُمحه وسألني: «إذن فقد استدعوك؟».

من دون أي لحظة تردد كذبتُ: «نعم، استدعوني يا سيدي».

- ادخلي إذا استطعتِ تحمّل المنظر. أي نوع من الكلاب يفعل شيئاً كهذا.

لم يكن سؤالاً، بل إقراراً.

أخذتُ نفساً عميقاً كي أهدأ، ودخلتُ إلى الفناء، وشعرتُ على الفور بالبرودة تتسلل إلى قلبي. لقد رأيتُ الموت من قبل، لكنني لم أره بهذا الشكل قط. على الرغم من الحصار القش الذي يغطي الجثث الأربع، فقد استطعت رؤية قمم شعرهم المصفّفة بعناية، وأناملهم الهامدة، وأطراف زِيهم الرسمي.

تراجعتُ بسبب حركة مفاجئة، هالة من الضوء تحركت خلف النوافذ المغطاة بورق الهانجي؛ إنهم على الأرجح ضباط الشرطة يفحصون المكتب الرئيسي. توقف الضوء -مضيئاً خيطاً من الدماء المتناثرة على الستار- ثم اتجه الضوء نحو أرض الفناء؛ فتلاًلّ القش الذهبي.

دخلتُ أنفاسي وخرجت على هيئة زفرائٍ متوترة، وأنا جاثمةُ أمام الجثث الأربع. ارتعشتُ يداي عندما أمسكتُ بحافة الغطاء الأول وسحبته. اقشعرَّ بدني من صوت الدم اللزج، كأنني أقشّرُ طبقة سميكة لزجة تشكّلت فوق الميت. سحبْتُ الغطاء مرةً أخرى فظهرَ جبينٌ طويل، ووجه نحيل بعينين محدّقتين، وفم فاغر كما لو كان صرخة مكتومة.

إنها بيتنا، ممرضة طالبة تبلغ من العمر تسعة عشر عاماً. رنّتُ ذكرى صوتها في أذنيّ: هيوناه! هل يمكنني استعارة ملاحظاتك الخاصة بال

إنجاجيجيمايك - ⁽¹⁾Injaejikjimaek?

(1) مقدار الدعم المطلوب لجبر الكسور. (المترجمة)

استغرقني الأمر لحظات صعبة لاستعادة رباطة جأشي. وفور ذلك سحبْتُ الغطاء أكثر نحو الأسفل، وتوقفت عندما رأيتُ جرحين دامين؛ أحدهما شقَّ حلقها، وآخر أطول شقَّ صدرها، أظفارها مبطَّنة باللون الأحمر، لقد خاضت معركة شرسة.

اضطرتُّ إلى إغلاق عينيّ، محاولةً استعادة توازني أمام هذه اللقطة المرعبة، انتظرتُ أن تهدأ نبضات قلبي، وأن يرجع تنفسي إلى وتيرته الطبيعية. ثم عمدتُ إلى فحص الجثتين التاليتين.

الأولى منهما يون تشاي: ممرضة طالبة أخرى عملت معها في الهمينسيو، عمرها عشرون عامًا. وهي مخطوبة، ويفترض أن تتزوج الشهر المقبل. قبضتها ممسكةً بشعر مُقطَّع، وأنفها مغطى بكدمات أرجوانية، والدم يتجمع تحت جلدها. طُعنْتُ في بطنها، ثم تعرضتُ للجرح نفسه الذي شقَّ حلق بيتنا.

التالية هي رئيسة الممرضات المسنة هيجين، واحدة من كبار الممرضات، القلائل اللاتي خصصن وقتًا لتعليم الممرضات المتخلفات في دراستهن. لقد أخبرتني حديثاً عن ابنة أختها الرضيعة وعن الفرح الذي غمرها وهي تحملها. لن تحمل تلك الطفلة مرةً أخرى. ثمة جرح بظهر المرأة العجوز، ربما أصابها عندما استدارت كي تهرب. ومرة أخرى الجرح نفسه عند الحلق.

حينما وصلت إلى الحصيرة الأخيرة، كانت عيناى قد امتلأتا بالعرق البارد الذي كنتُ أطرفُ بعينيّ كي أطرده، جلستُ على الأرض، فلم أعد أقوى على الوقوف أكثر. ملأتُ صدري بجرعات عميقة من الهواء كي أكتم نشيجي. عرفتُ من هي الضحية الرابعة رغم وجهها المغطى، لا بد من أنها الممرضة جيونجسو. تكبرني بعشر سنوات، وهي بمنزلة أختٍ كبيرة لي، وغالبًا ما تُدرِّس الطالبات في الصباح الباكر أيضًا.

أخذت نفساً مرتعداً، ثم سحبت غطاء القش.

حدّقتُ بارتباكٍ لحظةً. إنها ليست معلمتي، بل امرأة ترتدي الزي الأزرق الداكن للموسوري، خادمة قصر متواضعة.

وخزني ألم حاد خلف عيني اليسرى حين استوعبت ما أرى، أنا أعرف هذه السيدة، إنها سيدة البلاط أهني، رأيته من قبل تخدم مدام مون إحدى مَحظِيَّات الملك. هي في نفس عمري تقريباً. لكن ماذا تفعل سيدة بلاط هنا مرتدية زيّ خادمة؟ كيف انتهى بها المطاف ميتة خارج القصر؟ سيدات البلاط هن «نساء الملك»، ممنوعات من الزواج، وممنوعات من مغادرة جدران القصر، وأي تصرف طائش من قبلهن يُعاقب بصرامة، غالباً بالموت.

انسدلتُ خصلةً مفكوكة من شعري المبلل على وجهي، أزحتها جانباً، وفحصتُ أهني من كُتْب. استطعتُ ملاحظة أنها طُعنَتْ في صدرها، جرحها أقل دموية من الباقيات، أحدثه سلاح أصغر. ثم قُتِلَتْ بطعنة واحدة في الحلق، لا يوجد أي علامة على أنها قاتلت، على الأقل ليس بناءً على هذه النظرة السريعة.

جلجل صوتٌ عميق ومدوّ من المكتب الطبي: «إذن، أنتِ تريدين أن تخبريني أنك لم تشاهدي أي شيء». طار نظري نحو الصوت، رسمتُ هالةً الفانوس خيالاً لشخص قوي البنية على الباب المُغطى بالورق. «متأكدة من ذلك؟».

هرعتُ إلى المبنى، ثم اتجهتُ إلى الفناء الخلفي، مبتعدةً عن نظر الضابط الذي يحرس البوابة. اقتربتُ من النافذة ذات الزخارف الشبكية بحرصٍ؛ حتى لا يظهر ظلي على ورق الهانجي.

- لا بد من أنني قد غفوت أيها القائد سونج.

انعقد حاجبي: الممرضة جيونجسو؟

قال القائد: «غفوت؟».

- عندما كانت رئيسة الممرضات هيجين تُدرّس الطالبات، تعبتُ جدًّا، فذهبتُ كي أرتاح في غرفة أخرى. كنتُ منهكةً بعد المساعدة في ولادتين أمس.

قال بنبرة مزمجرة: «ولادتان، لا أستطيع أن أستوعب ما الذي يجعل أي أم تثق بك أنتِ. أنتِ لا تكثرين بحياة الآخرين...».

حاولتُ مجددًا: «أيها القائد، أنا لن أؤدي أيًّا من الممرضات الأخريات. نحن جميعًا على وفاق، أنا أساعدهن في دراستهن. نفعل ذلك كثيرًا، نلتقي إما في وقت متأخر من الليل، وإما في الصباحات الباكرة لتلقي مزيدٍ من الدروس. أرجوك اهدأ وفكّر، أنا أيضًا أريد العدالة لطالباتي الميتات».

قال وصوته يفحُّ بالغضب: «أنا في قمة الهدوء، وسأكتشف كل شيء تخفينه عني. أنا أعرف أنك تخفين شيئًا ما». تقدّم طيفه خطوةً مهددةً نحو الأمام: «أخفيت أسرارًا عني قبل اثني عشر عامًا، وأنا متأكد من أنك تكررين ذلك الآن».

وددتُ أن أتجاوز ستار الهانجي، وأخبر القائد سونج بأنه يضيّع وقته. اسأل أي شخص في هانيانج، عاصمة جوسون، وسيخبرك أن الممرضة جيونجسو طيبةٌ وحنونة. حتى السيدة هيجيونج تحدثتُ عنها بإعجاب هذا الصباح. القاتل الحقيقي ما زال حرًّا طليقًا...

تجمّدت أفكاري، وسرت قشعريرة على طول ظهري، شعرتُ بأنني مراقبةٌ. نظرتُ ببطء خلفي على أمل أن أرى السماء الزرقاء الرمادية فوق الأفق المتشح بالسواد.

لكن بدلًا من ذلك وقع نظري على صندل قش، ثم بنطال أبيض متسخ، ثم سترة مرقّعة. خفق قلبي بقوة وأنا أحدّق إلى وجه هادئ كأنه

منحوتٌ من الظل وخطوطِ الطين. حاجباه المائلان يتموّجان على بشرته القمحية، وشعره الداكن مربوطٌ في أعلى رأسه. كان طويلًا ونحيلًا، ويعاني سوء التغذية كما يبدو من وجنتيه الغائرتين: فلاحٌ، لعله قدِم إلى الهيمينسيو كي يتلقى العلاج.

همستُ: «ماذا تريد؟».

استقرت نظرتَه عليّ، ثابتة مثل صوته وهو يقول: «هذا مسرح جريمة».

ظننت: لا بد من أنه يعمل في مكتب الشرطة، خادم، ربما. في أي لحظة، قد يبلغ عن وجود شخص مشبوه يخبئ في الفناء الخلفي. قلت وأنا أحدّق إلى وجهه: «أنا ممرضة والحارس سمح لي بالدخول، يمكنك أن تسأله إذا أردت».

- أنتِ ممرضة في الهيمينسيو؟

أوضحتُ له: «أنا ممرضةٌ في القصر، لكنني كنت طالبةً هنا يومًا ما». تشكّل خطٌ بين حاجبيه: «هل تعرفين المشتبه بها الموجودة في ذلك المكتب؟».

تراجعتُ عند سماعي كلمة **مشتبه بها**: «إنها معلمتي».

«معلمتك...»، توجّه نظره ورائي، إلى حيث لا يفصل بيني وبين القائد سونج سوى ستار رقيق: «لن يكون القائد راضيًا إذا عرف أن طالبة المشتبه بها الرئيسية تتنصت عليه».

أجبتُ بعنفٍ: «لم أكن أتنصت، كنت أعتزم المغادرة، لكنني تساءلت فقط من أين تأتي هذه الأصوات. كما أن الشرطي الحارس **سمح** لي بالدخول. يمكنك أن تسأله بنفسك...».

دَوَّى صوت القائد سونج من الداخل: «اربطوها»، فانهارت أعصابي.
ثم أكمل: «واعتقلوها في مبنى السجن، ستستجوب لاحقاً في الصباح».
ثم استدار خياله إلى خيال الممرضة جيونجسو: «إذا تعاونت معنا،
سيكون الاستجواب قصيراً، وستعودين إلى الهيمينسيو في غضون
بضعة أيام. كما أخبرتك، الأمر كله متوقفٌ على تعاونك».

في تلك اللحظة سمعتُ صوت خشخشة قماش، من دون أي صوت
يدل على مقاومة؛ سمحت الممرضة جيونجسو لهم باعتقالها. أعقب ذلك
صوت خطوات، ثم انسحاب من المكتب، تلاه صوت القائد سونج مدوياً
من مكان ما في الجانب الآخر من الهيمينسيو: «أيها الضابط جيون،
استمر في استجواب جميع الشهود. الباقيون يستمرون في البحث عن
سلاح الجريمة».

نظرتُ إلى خادم الشرطة: «أعتقد أنني يجب أن أغادر».

- أعتقد أنه يجب أن تتبعيني إلى الساحة الرئيسية.

- أعتقد لا.

حاولتُ المغادرة، لكنه تحرَّك جانباً فجأة، فوجدت نفسي أحْدَقُ
إلى صدره، يكاد أنفي يلامس ملابسه القذرة: «دعني أمر، أنا ممرضة
قصر».

- يجب استجواب كل شخص له علاقة بمسرح الجريمة بشكلٍ أو
بآخر.

أكدت له قائلةً: «ليس لي علاقة بمسرح الجريمة بأي شكل من
الأشكال، لقد وصلتُ للتو».

- حسناً، يمكنك شرح ذلك للقائد...

قاطعته: «انتظر»، والأفكار تركض متواليةً في عقلي، ثم مددتُ يدي عميقًا في جيب مئزرتي، وأخرجتُ عملة معدنية وعرضتها عليه: «خذها».

خفض رموشه مُحدِّقًا إلى العملة المعدنية اللامعة وقال: «الرشوة جريمة عقوبتها الشنق».

زفرتُ ببطء، أكتُم شتيمَةً في سري: «ماذا تريد إذن؟ من المؤكد أنك تريد شيئًا ما».

قال ببساطة: «أريد دليلًا، هذا كل شيء».

إنه خادمٌ مستقيم، مما يعني أنه على الأرجح مخلص للقائد. «هل ستتركني أغادر إذا أخبرتك أمرًا مهمًا بخصوص هذه القضية؟ يمكنك أن تخبر القائد أنك توصلت إلى هذه المعلومات بنفسك».

قال: «لا أعتقد أن أي شيء ستقولينه سيكون ذا أهمية...»، انتفخت «الجاريمان»، ورأيت نظراته تتابع الحرير الأسود المتراقص حول قمة رأسي. شبك يديه خلف ظهره، وبدا أنه قد غيَّر رأيه: «حسنًا، أخبريني ما تعرفينه».

دسستُ العملة المعدنية في جيبِي، وبينما أحاول استجماع نفسي، قلَّبتُ في رأسي صفحات جميع تقارير الحالات الطبية التي قرأتها وحفظتها. ثم ألقيتُ نظرةً خاطفةً على جانبي، متأهبةً لرؤية القائد أو الضباط الآخرين، وقلتُ: «جروح الطعنات دائمًا ما تكون فوضوية، وعادة ما يصاحبها عدة ضربات أو جروح حولها. لكن عندما رأيتُ الضحية الرابعة التي ترتدي الزي الأزرق الداكن، لاحظتُ على الفور الشيء الناقص: الجروح الدفاعية. لم يكن ثمة سوى طعنة واحدة مسددة إلى الحلق؛ وهي ضربة حاذقة جدًّا. القاتل يعرف بشكلٍ دقيق أين يهاجم كي يُحدث الضرر الأكثر فتكًا بالجسم، أجد أن ذلك له دلالة قوية. أيضًا،

هذا الجرح نفسه حدثَ بسلاحٍ أصغر حجماً من الذي استُخدم لقتل الضحايا الآخرين».

توقف حبل أفكارني عندما انتبهتُ أن خادم الشرطة لم ينطق بكلمة واحدة، ولا حتى طرفتُ عيناه وهو يراقبني، نظرته حادةً مثل حدة عينيه. حاولت ألا أبعد نظري.

سألني بهدوء: «كيف عرفتِ كل ذلك؟».

ذكَرته قائلةً: «أنا ممرضة».

«أنتِ ممرضة»، كررها بصوتٍ خفيض، «لستِ محققة».

- اليوينيوس هن محققات الجسد البشري...

سحقتُ خطوات ما الثلج في مكان قريب.

تردد صوت القائد سونج عبر هواء الفجر البارد: «ماذا؟ سمحتَ لامرأةٍ بالدخول إلى مسرح الجريمة؟ أين هي الآن؟».

تسارعن دقات قلبي وأنا ألقى نظرةً خاطفة على خادم الشرطة. قد يختار أن يسلمني إلى القائد بكلمة واحدة...

لكنه على العكس من ذلك همس: «يجب أن تغادري الآن».

انطلقتُ على الفور باتجاه الحائط الحجري الذي يطوّق الهمينيوسو: حائطٌ مرتفع جداً لا أستطيع أن أتسلقه. ألقى نظرةً خاطفة خلفي، قلتُ لخادم الشرطة بنظرة خجلة: «هل يمكنك أن تساعدني كي أصل إلى قمة الجدار من فضلك؟».

قال متوتراً: «كيف؟».

- يمكنك أن تعيرني ظهرك.

- ظهري... كي تصعدي عليه؟

همستُ: «أسرع، إنه قادم!».

مكتبة
t.me/soramnqraa

بقي في مكانه ساكنًا.

تمتعتُ وأنا أطلق زفرةً متأففة: «سأتسلق إلى الأعلى بنفسِي إذن». مسحتُ البلل عن كفِّي ثم ركضتُ وقفزتُ، ثبتُّ يدي على الجزء العلوي من الجدار البارد المكسو بالقرميد. رفعتُ جسدي بكل ما أوتيت من قوة، واحتكت ركبتي بالجدار عند محاولتي الصعود، لكن أصابعي انزلقتُ وسقطتُ على الأرض مرةً أخرى.

اقترب صوت القائد سونج: «ممرضة قصر؟ ما شكلها؟».

يجب أن أغادر. الآن.

استجمعتُ نفسي، وقفزتُ مرةً أخرى، تمسكتُ بالجزء العلوي من الجدار، ورفعتُ جسدي إلى الأعلى، واستطعتُ أن ألمح الجانب الآخر. بللَّ العرق جبهتي وأنا أحاول أن أستجمع المزيد من القوة. ارتجفت ذراعي وألمتني أصابعي، ثم تفاجأتُ بيدين تمسكان بخصري، وترفعانني عاليًا بمنتهى السهولة، عاليًا بما يكفي كي أتمكن من رفع رجلي فوق الجدار. وبينما أتمسكُ بالقرميد، ألقىْتُ نظرةً خاطفةً على الشاب اليافع الجاد، فالتقت عيناها بنظرته القاسية.

قال بنبرة تتأرجح بين التحذير والتحدي: «ابقي بعيدة إن استطعت. إذا كنتِ لا تريدين أن تُدمر حياتك، فأحسن لك ألا أراكِ تحومين حول مسرح الجريمة مرةً أخرى».

عبستُ من كلماته، لست متأكدةً مما يقصده.

رددتُ هامسةً: «أكيد، أشك جدًّا في أن نتصادف مرةً أخرى».

لمحتُ قبعة القائد سونج، فرفعتُ جسدي إلى الأعلى، وهبطتُ على الجانب الآخر، ثم أسندتُ ظهري على الجدار، أستمع إلى خفقان قلبي في أذني. تبادل القائد وخادمه الهمهمات بصوتٍ منخفض، تلتها أصوات

تراجع خطواتهم على التراب. أطلقت تنهيدة ارتياح، أنا بأمان الآن. على الرغم من ذلك، أرجعني الصمت الذي أعقب تلك اللحظة إلى ثقل الواقع المدمر.

قُتِلت أربع نساء.

الشعر المقتلع في يد إحداهن، والدم الذي يغطي أظفار أخرى، وتوسلاتهنّ اليائسة، ورغم ذلك قُتلن.

مَن بمقدوره أن يكون قاسيًا إلى هذا الحد؟ شريدًا إلى هذا الحد؟ مررت يدي على وجهي، ثم نظرتُ حولي، بدا كل شيء كما كان في السابق: بحر الأكواخ الطينية ذات الأسطح القشبية المغطاة بالثلوج، الطرق المتسخة التي تتخلل العاصمة، التلال المظلمة التي تحرسنا داخل حوضها. ومع ذلك، بدا الأمر كأنني قد تسلقتُ الجدار وسقطتُ في كابوس. الهواء خائقٌ مفعمٌ برائحة الرعب، تسرّبت وجوه الموتى إلى عيني، فصار لون السماء أزرق مُحمرًا.

تلاحقني صورة الممرضة جيونجسو: ماذا ستفعلين الآن؟ ماذا ستفعلين؟ مشيتُ، أتعثر قليلًا في كل مرة تلتوي فيها ركبتي. بحثتُ عن جيون، وعندما لم أستطع العثور عليها، مشيتُ عائدةً إلى المنزل باتجاه البوابة الشرقية. بدا كل شيء فوضويًا، وغريبًا، وقاسيًا جدًّا. عندما مررتُ بجزار يُعْمَلُ سكينه في لحم حيوانٍ، جفلتُ ووجدت نفسي على شفا البكاء.

من قتل هؤلاء النساء؟ ما الذي يمكن أن يدفع القاتل إلى قتلهن؟ حدّقتُ إلى وجوه الأشخاص الذين مررت بهم؛ وجوه متسخة مليئة بالخطوط: رجال ونساء وأطفال يصوبون أعينهم الصغيرة السوداء البرّاقة نحوي.

لقد دخلت عالمًا يبدو أنه يخفي عني أسرارًا فظيعة.

2

احترق فتيل الشمعة عن آخره. الوقت بعد الفجر بقليل، لم أرد أن أخرج متعثراً من غرفتي وأزعج المنزل بأكمله باحثاً عن شمعة أخرى، فأخي ذو السنوات الخمس، داي-هيون، غالباً غارق في النوم، أما أمي... حسناً، أتجنبها دائماً، فأنا أكره رؤية جمودها المتوتر وهي تنتظر أبي. أبي نادراً ما يزورنا، يُفضّل تقسيم وقته بين زوجته ومحظيته الجديدة، أما أمي فلا تهمة.

نقلت طاولتي ذات الأرجل القصيرة بهدوء إلى قرب النافذة، وهمستُ بصوتٍ منخفض المانترا⁽¹⁾ الخاصة بي: «لن أصبح مثل أمي أبداً». لن أقع في الحب، إلا إذا أحبني أحدهم أولاً، وأحبني أكثر من أي شيء.

لن أصبح أي شيء على الإطلاق، إذا لم أستطع أن أكون الأولى. لن أجلس صامتة ذابلاً، مثل أمي، بينما يمر الزمان بي. كنت عازمةً على أن أسمع، وأن تؤخذ أفكاري بعين الاعتبار. لذلك واصلتُ كتابة رسالتي إلى القائد سونج؛ تغلغل الحبر الأسود عبر الورق المضاء بنور الشمس، خطّي منمّق بحروفٍ صغيرة. أبقىْتُ أكامي الواسعة مُشمرّة حتى لا تتلطح الورقة.

(1) Mantra، المانترا هي كلمة أو جملة تُردد لتساعد على خلق نوع من التحول النفسي، تتعدد تعريفاتها واستخداماتها. (المترجمة)

وصلتُ إلى الصفحة الرابعة، أوضَحُ فيها لُطفَ الممرضة جيونجسو وعدم قدرتها على القتل، ووجدت نفسي أرجع بالزمن إلى الوراء أكثر فأكثر، رجعتُ مرةً أخرى طفلةً في الثامنة من عمرها، ترتجف خارج بيت جيبانج⁽¹⁾، حيثُ تركتها أمها في قسوة الشتاء، معتقدةً أن ليس لها مستقبل سوى أن تكون جيسينج، امرأةً للتسلية والترفيه. قالت لي أن أنتظر المدام -التي رفضتني من قبل- كي تعيد النظر في أمري وتأخذني. لكن أبواب البيت بقيتُ مُغلقةً، ولم يأتِ أحد من أجلي، حتى انحنت الممرضة جيونجسو أمامي، واحتضنت وجهي المتجمد بكفيها. «أنا يوينيو»، هذا أول ما قالته لي. «لستِ وحدك الآن». حملتني طوال الطريق إلى الهيمينسيو.

كانت الممرضة جيونجسو وقتها في الثامنة عشر من عمرها وحسب. أنا الآن في الثامنة عشر. بعد أن توقفتُ عدة مرات لتدليك أصابعي التي شَنَّجها الألم، نظرتُ من النافذة فوجدت الصبح قد طلع. اليوم إجازتي، فأنا في القصر أعمل يومًا واحدًا كل يومين، مثل الكثير من الممرضات العاملات هناك. عندي وقت كي أشاهد استجواب الشرطة الذي سيُجرى اليوم، وأسمع الشهادات طازجة وحيّة.

أخذتُ رشفةً من شاي الشعير الذي بات باردًا الآن، وكتبتُ السطر الأخير في رسالتي الطويلة للقائد سونج:

لو كنتَ تعرفها كما أعرفها يا سيدي لاقتنعتَ ببراءتها.

(1) بيت جيبانج: هو أفخم البيوت المخصصة لتناول المشروبات الكحولية في عهد مملكة جوسون، وفيه يغني ويرقص الفنانون المدربون أو الجيسينج لإرضاء زبائنهم من الطبقة العليا. (الترجمة)

انتظرتُ حتى يجفَّ الحبر قبل أن أطوي الرسالة. رتبتُ هيئتي سريعاً، وبدلتُ زيي الرسمي، ثم انطلقتُ بخطى سريعة. وفي غضون نصف ساعة وصلتُ إلى بوابة القلعة.

فحص أحد الحراس هويَّتي بينما أحدِّقُ عاليًا -نحو الأعلى- فوق حواجز أسوار القلعة، حيث يتحرك جنديٌّ بملابس حمراء في جولات، وتساءلتُ ما الذي يراه من الأعلى هناك، وما إذا كانت المملكة تبدو مختلفة بعد ليلة دامية كهذه.

أعاد لي الحارس هويَّتي قائلاً: «يمكنك المرور»، فبثتُ كلماته سحابةً من البخار في الهواء البارد.

اندفعتُ باتجاه البوابة فوراً، حواسي يقظةً ومنتبهةً. ما يزال القاتل مختبئاً في بقعةٍ ما داخل هذا المكان. على جانبيَّ امتد خطٌّ لا ينتهي من الأكواخ المأهولة بأناس يبدو عليهم الجوع، وجوههم مُتعبَةٌ، يرتدون ثياباً بيضاء ويدخنون غلايينهم. يدفعني الأطفال جانباً وهم يركضون بجانبني. مررتُ بسيدات يحملن سلاً فوق رؤوسهن، ولففن على ظهورهن أطفالاً، وبعضهنَّ يتبعهنَّ طفلٌ أكبر حاملاً حزمًا من القش.

صاح الخدم: «أفسحوا الطريق! أفسحوا الطريق لسيدي!».

من البروتوكول السجود على التراب أمام النبلاء المارين. لذا سلكتُ زقاق بيماتجول، طريقٌ ضيقٌ يستخدمه أمثالي لتجنُّب الانحناء واتساخ التنورة النظيفة. ما إن اقتربتُ من مكتب الشرطة حتى انسلتُ إلى الطريق الرئيسي مرةً أخرى، ثم تمهلتُ.

لفت انتباهي حشدٌ متجمعٌ أمام جدار عام؛ من الصعب تجاهلُ الهمساتِ المتناثرة في الهواء، والأصابع التي تشير إلى منشور مُعلَّق هناك. لا تُلصق المنشورات المجهولة المصدر على الجدران العامة إلا

عندما يريد المظلومون إيصال صوتهم. عندما يعرفون أن التحدث علناً سيتسبب في إعدامهم.

سأل فلاح: «ما المكتوب؟».

أجابه آخر: «لا أعرف، أنا لا أقرأ».

- لا أحد منا يقرأ! ما المكتوب؟

شققتُ طريقي بين كتلة البشر ونظرتُ، المنشور مكتوبٌ برموز الهانجا، والكتابةُ بالهانجا مخصوصةٌ بالنبلاء وأصحاب السلطة وحسب. لكنني أستطيع أن أقرأ الصينية الكلاسيكية، ولذلك تقدمتُ بضع خطوات، ثم تجمدتُ.

ولي العهد قتل...

تفرّق الحشد فجأةً. علت الصرخات والشهقات بينما اقتحم المكان أشخاصٌ بقبعات سوداء وملابس سوداء ملوحين بهراواتهم، وصلت الشرطة. دفعني واحدٌ منهم بقوةٍ فاصطكت أسناني عندما اصطدمتُ بالحائط، ومع ذلك لم أشعر بأي ألم، فقد كنت مذهولةً من الكلمات التي قرأتها، مذهولةً من رؤية الخوف يملأ أعين رجال الشرطة وهم يمزقون المنشور.

انهرت على الجدار بعد أن ارتخت رجلاي مثل الهلام. ملأت ذهني صورة غرفة ولي العهد المظلمة، الغرفة التي همست بغيابه. سموه غادر القصر سرّاً وعاد شاهداً على مذبحه.

ولي العهد قتل... قتل من؟ من هذا الذي قتله ولي العهد؟

هرعتُ إلى مكتب الشرطة فرأيتُ كرسي تحقيق خالياً أمام الجناح. جلس القائد سونج في منتصف الشرفة الخشبية المرتفعة. كان رجلاً عجوزاً ضخماً أجش الصوت وله لحية بيضاء خفيفة. يسند مرفقه على

ذراع الكرسي، وينقر بإصبعه على وجنته منتظرًا، وكل المتفرجين المجتمعين حول كرسي التحقيق ينتظرون.

- تبدين مريضةً.

نظرتُ حولي مدهوشةً، فالتقتُ عيناَي بعينين عميقتين مبطنتين. إنها الممرضة إينيونج، ممرضة القصر التي رأيتها في مسرح الجريمة، شابةً طويلة ونحيلة في منتصف عشريناتها، وجهها شاحب مثل بتلات الورد تحت ضوء القمر، أو لعل شحوبها سببه بودة الجيبون التي وضعتها بطبقات أسماك من العادة. لكن رغم مظهرها الرقيق، استشعرتُ قوةً في قبضتها عندما سحبتنني جانبًا، بعيدًا عن ضابط شرطة مارّ.

سألتها: «منذ متى وأنتِ هنا؟».

- منذ بداية التحقيق.

- هل بدأ بالفعل؟

- لقد تحدث جميع الشهود، بما في ذلك أفراد عائلة المشتبه بها. قالت الكلمة الأخيرة كأنها هي أيضًا لا تصدق أن الممرضة جيونجسو مذنبّة. سألتها بتردد: «أتظنين أن معلمتي بريئة؟».

«معلمتك؟»، أطلقتُ زفرةً، ثم هزتُ رأسها: «أنا شاهدةٌ، أنا من أبلغت عن مسرح الجريمة».

ارتفع حاجباي بشدة: «ما الذي حدث؟».

همهمتُ: «إنها قصة طويلة؛ قبل رفع حظر التجول انتبهت أن أبي السكّير غائبٌ، وذهبتُ كي أحضره من وكر القمار الذي اعتاد التردد عليه. لم أرد أن يقامر بالمال القليل الذي معه، كما اعتاد أن يفعل. لكن هذه الأيام، ونظرًا للمجاعة القائمة...»، هزتُ رأسها ثم أكملتُ: «أحضرته، وكان غاضبًا لذا مشى بمفرده. في هذه اللحظة، رأيتها... سيدة البلاط

أهنبني تجري في الشارع. بدت خائفةً، تتلفت خلفها باستمرار من دون أن تتوقف لطلب مساعدة شرطي الدورية».

غمغمتُ لنفسي: «ثم انتهى بها المطاف مقتولة».

- أظن أن الشرطة تعرف أنها سيدة بلاط، وليست مجرد خادمة قصر؟
«نعم، لقد أخبرتهم بذلك...»، خبا صوتها كما خبت نظراتها، كأنها تتذكر الساعات التي سبقت الفجر: «لحقتُ بسيدة البلاط أهنبني، لأنني أعلم أنه محظور عليها التجول خارج أسوار القصر، لكنني أضعتها وبحثتُ عنها فترةً قصيرة، قبل أن أقرر العودة إلى المنزل مرةً أخرى. حينها سمعتُ صرخة امرأة».

أخرجتُ إينيونج نفساً مرتجفاً: «كان الجو هادئاً عندما وصلتُ. البوابة مفتوحة، لذا نظرتُ إلى الداخل، عندئذ رأيتُ...»، بدت كأنها على وشك أن تفقد وعيها بينما وضعتُ ظهر يدها على شفيتها، ثم أكملتُ: «لم أرَ في حياتي شيئاً مروعاً إلى هذا الحد».

في تلك اللحظة، علت همسات الحشد الهائجة. تبعت نظراتهم، وتسمّر بصري على الممرضة جيونجسو وهي مسحوبةٌ أمام ناظرنا، لم تعد ترتدي زي اليوينيو الخاص بها، بل فستاناً أبيض سادة. تساقطتُ ندف الثلج بهدوء مماثل لهدوء خطواتها. تباطأ الوقت وأنا أحاول التعرف على السيدة التي علمتني نصف عمري، السيدة التي أنظر إليها بصفتها قدوة. وأنا طفلةً، كانت تُدكّرني بالجنية التي تنزل من بين الغيوم، وجهها منيرٌ مثل القمر، وعيناها برّاقتان مثل نجوم في ليل صافٍ بلا غيوم. لكنها اليوم بدت منطويةً وذابلةً.

الجو المشحون بالتوتر يضغط علينا، بينما يتربقّب الجميع بأنفاسٍ مكتومة. وقف اثنان من الجلّادين على جانبيها، مشهرين عصياً خشبيةً سميكةً، بينما هي مربوطةٌ بكرسي التحقيق.

أردتُ أن أغمض عينيّ، تعذيب الشرطة سييء السمعة... سييء السمعة جدًّا لدرجة أن الملك يونغجو نفسه طالما طالب بمنع الضرب المتهور الذي يمارسه مسؤولو الشرطة. حاول جلالته أن يقلل عدد الجلدات إلى ثلاثين جلدة فقط، وألا يتكرّر التعذيب إلا بعد مرور ثلاثة أيام. لكننا نحن الطبقات الدنيا نعرف، نعرف أن الشرطة لا تمتثل لأوامر جلالته، وغالبًا ما يضربون المشتبه بهم حتى الموت.

صَلَّيْتُ للسماوات: رجاءً، احمي الممرضة جيونجسو.

دَوَّى صوت القائد سونج من الشرفة المرتفعة: «قبيل رفع الحظر بقليل، في ساعات ما قبل الفجر، زعم شهود مختلفون أنهم سمعوا صرخات قادمة من الهمينيسيو. وزعمت أمهات اثنتين من الضحايا أن بناتهن قد غادرتا مبكرًا لحضور دروس إضافية مع رئيسة الممرضات هيجين، التي عُثِرَ عليها مقتولة أيضًا».

استدار إلى الممرضة جيونجسو: «قَلَّتِ إنكِ ذهبتِ أيضًا إلى الهمينيسيو لمساعدتهن في دراستهن؟».

أجابت الممرضة جيونجسو بصوت متوتر: «نعم، حصل».

- في أي وقت ذهبتِ؟

- عادةً ما نفتح أبواب الهمينيسيو للممرضات الطالبات قبل ساعة من رفع حظر التجول.

- هذا يعني في الرابعة صباحًا، أي خلال ساعة النمر؟⁽¹⁾

- نعم.

(1) قديمًا في كوريا كان يُستخدم نظام الـ 12 ساعة لتحديد الوقت، إذ تقسم ساعات اليوم الـ 24 إلى 12 ساعة يُطلق عليها أسماء حيوانات، فساعة النمر مثلًا من الثالثة صباحًا إلى الخامسة صباحًا، وساعة الأرنب من الخامسة إلى السابعة صباحًا وهكذا. (المترجمة)

- إذن لِمَ زعم ثلاثة من الجيران أنهم رأوك تغادرين المنزل عند منتصف الليل، ولم تعودي مطلقاً؟ أين ذهبت؟
تمهلُ الممرضة جيونجسو، ووجهها شاحب.

- ليست جريمة أن تخرج امرأة في وقتٍ متأخر من الليل.
هذا صحيح. يُسمح للنساء بالتجول في الشارع خلال ساعات الحظر؛ التجول محظورٌ فقط على الرجال، إذ يعد الرجال خطراً على العاصمة في الليل. إنها لم ترتكب أي خطأ.
قال القائد سونج بصوتٍ صارم: «أنا أعيد سؤالِي، أين كنتِ بين منتصف الليل وبين الرابعة صباحاً، حين تزعمين أنكِ ذهبتِ إلى الهيمينسيو؟»
ترددتُ مرة أخرى، وهذه المرة وقتاً أطول بكثير: «أنا... أنا ذهبت لأتمشى».

- أربع ساعاتٍ كاملة؟
- كان ذهني مثقلاً بأمورٍ كثيرة يا سيدي.
بقي مرفق القائد ثابتاً على كرسيه، وما تزال إصبعه تنقر على وجنته: «لعلك قضيتِ هذه الساعات الأربع وأنتِ تخططين للقتل. ربما التقيتِ شريكك في الجريمة الذي ساعدك على ارتكاب المذبحة».
- يا لسعة خيالك يا سيدي، حتى تظن بي هذا الظن.
تهدج صوتها، ولست متأكدةً ما إذا كان ذلك بسبب الغضب أم الخوف: «لكن أنا ليس لدي أي دافع...».

قال القائد سونج: «كنتِ مغطاة بالدم عندما عثرنا عليكِ، يداكِ غارقتان بالأحمر. إذا كنتِ بريئة، إذن أخبريني: هل لديك حجة غياب ما بين منتصف الليل وحتى الرابعة صباحاً تؤكد صحة شهادتك».
لم ترتفع عيناها المحمرتان قط عن الأرض: «ليس لدي».

توسلتُ معلمتي بصمتٍ: يا ممرضة جيونجسو، دافعي عن نفسك!
قالت بصوت حاد: «ليس لدي سببٌ لقتل الممرضات الطالبات،
ورئيسة الممرضات صديقةٌ مقرّبة، أما سيدة البلاط الشابة فأنا لم أرها
طوال حياتي قط».

قال القائد سونج مزمجرًا: «يا ممرضة جيونجسو أنتِ كاذبة، أنتِ
تخفين أمرًا عن الشرطة. تزعمين أنكِ غفوتِ، لكن كيف يظل المرء غافياً،
بينما سمع الشهود الصرخات في كل زاوية من العاصمة؟».

سرت موجةً من الهمهمات والهمسات الموافقة بين الحشد المحيط
بي.

«لقد جمع الضباط الأدلة من مسرح الجريمة، ومما وجدوا
ياكجاكدو». أشار القائد، فتقدم أحد الموظفين إلى الأمام ممسكًا بنصلٍ
طويل مستقيم له مقبض خشبي؛ أداة قطع أعشاب مكسورة من لوح
التقطيع ومغطاة بالدم.

أكمل القائد سونج: «مستحيل أن تقتلي أولئك النساء الأربع وحدك،
ولا بد من أن شخصًا ما قد ساعدك على استدراج سيدة البلاط ذات
الثمانية عشر عامًا خارج القصر. من هو؟ من الذي ساعدك؟».

كزّت الممرضة جيونجسو على أسنانها، وتشنجت عضلات فكّها: «لم
أفعل...»، تقطّع صوتها مثل قلبي: «لم أؤذِ أحدًا».

مال القائد سونج إلى الأمام، ويداه على ركبتيه، كأنه ينظر إلى
الأسفل نحو فتاة صغيرة: «في غضون بضعة أيام، إذا أصررت على عدم
التعاون، سأمر الجلادين بضربك حتى لا تعودين قادرة على الوقوف،
حتى تتشظى عظامك»، ثم أضاف بهدوء: «حينها ستتحديثن. المجرمون
الذين يقعون تحت يدي يتكلمون جميعًا في آخر المطاف. لكن الأمر

يعود إليك، كيف تحبين قول الحقيقة. هل ستقولينها بمحض إرادتك الحرة؟ أو بالتعذيب؟».

رفعت ذقنها أخيراً، وقالت وعيناها حادتان مثل النصال: «ما فائدة الكلام؟»، هذه هي معلمتي. «أظن أنك لن تسمح لي بالعيش طويلاً». وَمَضَ الخوف في عينيها، واهتز صوتها، لكنَّ يديها المقيدتين خلف الكرسي كانتا مضمومتين على هيئة قبضتين عازمتين: «إن كان الناس سيذكرونني، فأرجو أن يتذكروني من أجل هذا. من أجل هذا»، كررت عبارتها بصوتٍ مخنوق.

عما تتحدث؟ بداخلي العديد من الأسئلة، لكن القائد سونج صَرَفَهَا بإشارة حادة من يده: «خذوها بعيداً عن نظري!».

فور انتهاء التحقيق تسَلَّتْ إلى فناء الخدم، وبحثتُ عن وجه مألوف، عن شخص موثوق أستطيع أن أكلِّفه بتوصيل رسالتي إلى القائد سونج. في البداية، بحثتُ عن خادم الشرطة، ووصفته للآخرين بأنه «الشاب اليافع ذو الحاجبين المُقْطَبين الذي يرتدي ثياب الفلاحين»، لكن بعد النظرات المريبة التي تلقيتها عند سُؤالي عنه، حَوَّلْتُ انتباهي إلى الدامو الخارجة من المطبخ، اسمها سولبي، طالبةٌ درستُ معها في الهمينسيو، وتعمل هنا لأنها مثل كل «الدامو» الآخرين، رسبت في امتحاناتها ثلاث مرات.

ناديتها: «سولبيه».

استدارتُ فانسدلتُ خصلةٌ من شعرها على وجهها الشاحب. قالت وهي تنظرُ إليَّ في ذهول: «هيوناه، لا أستطيع تصديق أنني اضطررتُ إلى حبس الممرضة جيونجسو في زنزانة؛ الممرضة جيونجسو دوناً عن كل الناس».

اعتصر ألمٌ حارقٌ في صدري: «هل تعتقدن أنها بريئة؟».

همستُ: «نعم، نحن نعرفها، إنها لن تفعل شيئاً كهذا».

- هذا بالضبط ما أفكر فيه...

- ومع ذلك، أنا قلقة عليها يا هيونا. القائد يحمل ضغينةً شخصية ضد الممرضة جيونجسو.

غاصت معدتي بين رجلَيَّ من الخوف: «ماذا تقصدين؟».

- قبل عدة سنوات، أخفقت الممرضة جيونجسو في إنقاذ حياة زوجته وطفله في أثناء ولادتها، ولم يسامحها على ذلك قط؛ على وجه الخصوص، لم يسامحها على محاولتها توليد طفل إلى هذا العالم بقليل من الخبرة.

قلت: «لكننا جميعاً بدأنا بقليلٍ من الخبرة».

عضتُ سولبي على شفتها السفلى، ثم هزتُ رأسها: «لقد كذبتُ على القائد، فادعُتُ أنها أكثر مهارة من الواقع، لقد أرادت أن تُثبت نفسها أمام أقرانها».

زفرتُ: «لكن هذا قتل، بالتأكيد لن يسمح القائد أن تتداخل مشاعره الشخصية مع التحقيق؟ غير معقول أنه يرغب في بقاء القاتل الحقيقي حراً طليقاً».

- أو لعله يرغب في ذلك.

انعقد حاجبائي: «ما الذي قد يجعله يرغب في ذلك؟».

مسحتُ سولبي جبهتها المبللة، ثم تلفتتُ حولها وهمستُ: «لا تقولي لأي شخص: إنني أخبرتك هذا. هل تقسمين على ذلك؟ أنا أثق بك، لطالما تمنيتُ أن أصادقك، مدركةً كم... كم أنت مثالية في كل شيء». أربكتني

كلماتها، فصرتُ أراوح بين رجلٍ وأخرى بطريقةٍ غريبة. ثم أكملتُ: «أنتِ لا ترتكبين الأخطاء أبداً».

هذا هو هدفي في الحياة، ألا أخطئ أبداً. حياتي كانت غلطة: وُلدت بنتاً، وبنثاً غير شرعية. ليس لدي أي مجال لارتكاب المزيد من الأخطاء. قالتُ: «ثمة منشور مجهول عُلق في كل أنحاء العاصمة، يزعم أن ولي العهد قتل النساء في الهيمينسيو». ارتفع حاجباي، وتجدد بداخلي مشهد الحشد والشرطة.

كتمتُ شهقتي وبالكاد حافظت على هدوء وجهي.

قالت بصوتٍ عادي: «لا يمكن أن يكون هذا صحيحاً طبعاً، معظم من هم خارج القصر لا يعرفون حتى شكل الأمير. إذن كيف يمكن التعرف عليه؟».

جال في خاطري: لكن سيدة البلاط أهنبي سيدة قصر، وماتت في الهيمينسيو. من المؤكد أن موتها سيترك خيطاً من الدم، وهذا الخيط سوف يؤدي إلى القصر بشكلٍ ما.

«ثمة شخصٌ ما يحاول زرع مؤامرة، أنا متأكدة»، هزتُ سولبي رأسها وبدأت مقتنعةً بكلامها: «لطالما كان الأمر كذلك في العاصمة، شخصٌ ما يحاول دوماً أن يتخلص من شخص آخر. لعله منافسٌ من فصيل التعاليم القديمة. كما أنه لا يُسمح للأمير بمغادرة القصر وحده. هذا ممنوع، أليس كذلك؟».

همستُ: «هو كذلك»، ناظرةً نحو الأسفل كي أخفي ما أعرفه، فالأمير اختفى بالفعل من القصر في ليلة المذبحة.

ضغطتُ عينيَّ بأصابعي، وأخرجتُ نفساً هادئاً، أحاول تخفيف شعوري المتزايد بالشر المحيِق. باتت مذبحة الهيمينسيو الآن تحمل

في طياتها رائحة بغيضة، رائحة فضيحة ملكية كبرى، فضيحة من شأنها أن تطيح بالمرضة جيونجسو بسهولة إلى حتفها. أبعدتُ عني هذا الشعور المُقلق، وناولتُ سولبي رسالتي: «رجاء، أسدي لي معروفًا، وأوصلي هذه إلى القائد سونج...».

- بايك-هيون.

تسلل صوتٌ بارد مألوف جدًّا من خلفي.

- توصل ماذا؟

اتسعت عينا سولبي ممتلئةً بالذعر -الذعر نفسه الذي شعرت به- وعندما انحنتُ وهرعتُ راكضةً، تمنيتُ لو بمقدوري الاختفاء معها أنا أيضًا. لا أحتاج إلى الالتفات كي أعرف لمن الظل الممتد أمامي. إنه أبي، الشخص الذي مُنعت بالفعل من أن أناديه «أبي». في مملكتنا، يُنسب الأطفال غير الشرعيين إلى الأم، وليس إلى الرجل الذي أنجبهم. همستُ وأنا أستدير ببطء: «لورد شين».

كان والدي يرتدي ثوبًا حريريًا قرمزيًا داكنًا، ورأسه محاطٌ بقبعة رقيقة من نسيج شبكي. لم يكن من المفترض أن تفاجئني رؤيته هنا، إن مهمته هي التأكد من تطبيق العدالة بشكل صحيح. انحنيتُ وبقيتُ متجمدةً.

«رأيتك تتسللين، فلحقتُ بك!». انجرفت كلماته الباردة والمشحونة بقليل من الفضول نحوي، وأنا منحنيةٌ في الأسفل. «ماذا تفعلين هنا بعيدًا جدًّا عن الحشد؟».

تشوش ذهني باحثًا عن الإجابة الصحيحة: «أنا...، أنا كنت أبحث عن خادم لتوصيل رسالة إلى القائد سونج. أود مساعدة الممرضة

جيونجسو». قلت ذلك آملّة أن أظهر له أنني طالبة مخلصّة. «إنها بريئة يا لورد. أعرف ذلك. لو عرف القائد شخصيتها حقًا، لما...».

امتدّت يد أبي أمامي، وقال بهدوء: «أعطني إياها». عندما فعلتُ، اختفتُ يده والرسالة، وسمعتُ قلبي يخفق بقوة في صدري.

تسللت برودة الصباح إلى عظامي وهو يقرأ رسالتي بتمعن، ولا أجروّ أنا على الحراك. خفتُ حتى أن أرمش. أبي يخيفني أكثر حتى من نمر، فالنمر قد يأكلني، لكن أبي قادرٌ أن يسحق صميم روحي.

كما أنه قد مرت خمس سنوات على آخر مرة تحدثتُ فيها إليه.

قضيتُ هذه السنوات ألمحه بشكلٍ خاطف في أنحاء العاصمة؛ دائمًا على ظهر حصان، أو محمولًا على كرسي سيدان⁽¹⁾ بينما يطلب منا خادموه أن نفسح الطريق للورد شين. ينحني الفلاحون له، بما فيهم أنا، ويتناثر الطين عليّ عند مروره. والآباء أمثاله هم من يحكمون المملكة. الرجال أمثاله يحددون من له قيمة ومن لا.

أخيرًا أعاد أبي الرسالة إليّ، وانتظرتُ حابسةً أنفاسي، هل استحسن كلماتي؟

«هذا ليس دليلًا»، اخترقتني كلماته. «لن يقتنع القائد إلا بدليل، وما كتبته ليس إلا مشاعر فياضة وفجّة وسطحية».

أمسكتُ الرسالة بقوة، وتمنيتُ لو مزقتها كي أخفيها عن عين والدي. قال: «ثمة أمور أكثر أهمية بكثير تحتاجين إلى التركيز عليها، لقد سمعتُ أنك أصبحتِ ممرضة في القصر».

(1) كرسي مغلق مثبت على عمودين، يجلس فيه شخص واحد، ويحمّله رجلان، أحدهما في الأمام، والآخر في الخلف. (المترجمة)

حاولت التغلب على الألم في صوتي، وقدرتُ أن أقول له: «نعم أصبحت يا لورد».

- إذن سألعب دور والدك في هذه اللحظة وحسب، وأسدي لك نصيحة.

هَبَّتْ نسمةٌ حركت رداءه، وانتفخ الحرير الأحمر حول حذائه الجلدي: «توقفي عن القلق بشأن مصير الممرضة جيونجسو. إنها ليست أمك، ليست أختك. أنتِ لستِ مسؤولة عن حياتها».

أبقيتُ نظري مسمراً نحو الأرض، تكدّم قلبي، وانهقدت معدتي بسبب كلماته.

- أنتِ عاميةٌ سوقية، لكنكِ أصبحتِ ممرضة في القصر. إنها فرصتك الذهبية، فرصة تحصل مرةً في العمر. لا تشتتي نفسك، ولا تتدخل في أمور الشرطة. إذا فعلتِ، ستعرضين مستقبلك للخطر. همستُ: «أجل».

استدار أبي كي يغادر ثم توقف. شبك يديه خلف ظهره، واستطعتُ الشعور بنظرته العابسة تحدّق إليّ.

- عديني أن تبقي رأسك منخفضاً، وألا تثيري المشكلات. دعي القائد يؤدي عمله، واستوعبي أنه ليس ثمة شيء يمكنكِ أنتِ - مجرد فتاة - أن تفعليه لمساعدته.

بقيتُ منحنيةً حتى غادر أبي، وفور ابتعاده عن نظري، مرّقتُ الرسالة ببرود، ورميتُ قصاصات الورقة على الأرض.

لقد بذلتُ جهداً مؤلماً كي أكون بلا عيوب في نظر والدي، وهو تطلعُ كان يدفعني للنظر إلى النبلاء الشباب بصفاتهم منافسين لي. لهذا السبب درستُ كل الكتب المطلوبة. في الواقع، لو أنني وُلدت صبيّاً،

لتمكنت من النجاح في امتحان الخدمة العامة بسهولة. «التعلم العظيم، عقيدة الوسط، التعاليم، منسيوس» ما زلتُ أحاول حفظ هذه النصوص كلما وجدتُ وقت فراغ، كي أملأ عقلي بالمعرفة التي ملأت عقولهم، كي أصبح مثلهم على قدر استطاعتي.

كي أكون بنتاً جديرة باهتمام الأب.

لكن اليوم، لم أظهر له سوى أنني ما زلت غير كافية. لقد قال: هذا ليس دليلاً.

فما هو الدليل إذن؟

أنا لا أنوي العثور على القاتل، كل ما أردته هو دليل كافٍ لإبعاد غضب القائد سونج عن معلمتي، وأن أظهر لأبي أنني قادرة. لا أستطيع انتظار مجيء حبه واعترافه بي على مهل، بل يجب العثور عليهما بنفسي، أن أحظى بهما عن طريق عملي الجاد.

وضعتُ يدي على جانب البوابة ناظرةً حولي بينما أتساءل أين توجد الزنانة، هذا المكان المظلم الذي جرُّوا الممرضة جيونجسو إليه. إنها تعرف شيئاً ما، هذا مؤكد. ولكن أياً كانت تلك الحقيقة، فهي مستعدة للموت في سبيل بقائها مخفية، مخفية ربما حتى عني.

3

في اليوم التالي، مررتُ على الهيمينسيو وأنا في طريقي إلى القصر. بدا الكل منفعلًا. هواء الصباح الباكر محمل برائحة الموت الطازجة جدًّا، والثلج ما زال يحمل آثار الدماء. استُدعي الشامان⁽¹⁾ سرًّا للقيام بطقسٍ لطرد أي أرواح شريرة عالقة.

في وسط هذه الفوضى، تمكنتُ من أن أنتحي بالمرضة أوكسون جانبًا. لقد درسنا معًا منذ أن كنا في الحادية عشرة، أعرفها صائبة الرأي، دائمًا هادئة مهما كان الظرف قاسيًا.

- عندما يكون لديك وقت...

أخرجتُ ورقة من حقيبة تنقلي وأعطيتها لها، وأكملتُ: «هل يمكنك أن تسألني من تعرفينهم أين ذهبت الممرضة جيونجسو البارحة في منتصف الليل تقريبًا؟ لقد كتبتُ لك كل التفاصيل».

قالت أوكسون ناظرة إلى الأسفل نحو الورقة: «الشوارع عادة تكون خالية وقت حظر التجول، لا أظن أحدًا منهم عنده الإجابة».

ترددتُ، لكنني أعرف أن أوكسون تحترم الممرضة جيونجسو مثلي تمامًا، فقلتُ: «أرجوك، حاولي على الأقل. أي شيء أفضل من لا شيء على الإطلاق».

(1) الشامان هو رجل دين، أو كاهن يحسن استخدام السحر والكهانة. (المترجمة)

- هيوناه...

رفعتُ عينيها، وألقتُ نظرةً سريعةً عليّ: «هل تجرين تحقيقاً؟».

قلت: «لا، أكيد لا، أنا ببساطة أجمع بعض الأدلة. لا أريد سوى أن أجد ما يكفي لإثبات براءة الممرضة جيونجسو. ليس أكثر من ذلك، وحينها سأتوقف».

نظرتُ إليّ بعينين مלאهما الشك، كأنها لا تصدقني: «أنا أعرفك يا هيوناه، أعرفك جيداً جداً. أنتِ مهووسة بالمهام». ترددتُ، ثم غمغمتُ: «لكنكِ صديقتي، لذلك سوف أسأل كل من أعرفه... بسرية».

همستُ: «شكراً لك».

كانت أكشاك السوق قد فتحتُ أبوابها للتو عندما غادرتُ الهيمينسيو. بُسّطت لفات من الحرير الصيني الثمين لتغري الأثرياء، وأوانٍ نحاسية تلمع في ضوء الصباح الشتوي. أكوام من قبعات القش والسلال ترتجف مع نسيم الجبل. ها قد بدأ يوم جديد، وكتفائي مثقلتان بالخطر الجديد الذي جاء معه.

عندما وصلت أخيراً أمام قصر تشانجدوك، أبرزتُ هويتي الخشبية ودخلت عبر بوابة تونجهوا. كنت شبه متوقعة أن يجرّني الحراس بعيداً، ويربطوني في كرسي التحقيق حيث يجبرونني على الاعتراف بمكان وجود الأمير ليلة المذبحة. لكنهم لم يعيروني أي اهتمام أكثر من المعتاد. لقد زاد تحذير والدي من ثباتي: أبقى رأسك منخفضاً، ولا تثيري المشكلات. دعي القائد يؤدي عمله.

قبضتُ على حقيبة تنقلي مُقربةً إياها من صدري، ودلفتُ بخطواتٍ واسعة إلى العطارة الملكية، تلك الساحة الكبيرة ذات الأجنحة الفخمة العديدة. لها أسقف سوداء متموجة مثل قمم الجبال وأفاريز متوهجة

بألوان ملكية، وجدران وأعمدة مطلية بالأحمر، ونوافذ خشبية شبكية متوهجة باللون الأخضر المزرق. المبنى الذي أتوجه إليه، على النقيض من ذلك، باهتٌ ومنزوٍ بعيدًا في الخلف. دخلتُ إلى ركن واسع حيث تبدّل ثلاث ممرضات أخريات ملابسهن بسرعة إلى زيهن الرسمي، شاباتٌ لهن أعين سوداء حادة، وشفاه زيّنتها الحُمره بمهارة. لم أُرَق لهن، يعتقدن أنهن أعلى مني.

أبقيتُ عينيَّ منخفضتين، وانحيتُ، وحييتهن قبل أن أذهب إلى إحدى الزوايا، وأشرع في ارتداء زيي الرسمي. تظاهرتُ بانشغالي بنفسي، ولكن بينما يهمسن، استمعت لهن من كُتب.

- هل سمعتن؟

غمست إحدى الممرضات إصبعها في وعاء صغير للعسل، ووضعتَه على شعرها لتُسَرِّح خصلَةً منسدلة، وتضيف لشعرها شيئاً من اللعنان.

- عن المذبحة التي حدثت في الهيمينسيو؟

هزت الممرضة الثانية كتفها في مئزرها، وقالت باستهجان: «على ما يبدو أن الممرضة إينيونج أول من وصل إلى مكان الحادث».

- لقد سمعتُ أنها كانت دامو مدة سنوات.

عدّلت الممرضة الثالثة وضع تنورتها الزرقاء، فخشخش الحرير وهي تُعدّله.

- لقد أصبحت ممرضة في القصر قبل عام تقريباً، إنها في الخامسة والعشرين! عجوزٌ في رأيي.

خرجن وما زلن يثرثرن مع بعضهن بعضاً. انتظرتُ قليلاً، ثم خرجتُ واتجهت إلى المكتب الطبي، وذهني يدور حول ما سمعته.

لم أكن أعرف الممرضة إينيونج جيدًا، لكنني شعرت بالأسف عليها. لا يبدو أن أحدًا يحبها. عادة ما تتجنب ممرضات القصر من عملن دامو أولاً، فهي مكانة مهينة لأي ممرضة. الدامو امتداد للشرطة، ويتعاملن معظم الوقت مع جثث الإناث الميتات، والمجرمات العنيفات، إذ كان محظورًا على الضباط الذكور، بموجب القانون، لمس أي امرأة لا تقربهم. ترسب الممرضة ثلاث مرات وحسب، فتصبح دامو، أي ممرضة بسهولة قد تصبح دامو. أنا أيضًا، كان يمكن أن أصير واحدة لو لم تُخصَّص لي الممرضة جيونجسو وقتًا لتعلّمني.

لم يحظَ الجميع في حياتهم بمثل الممرضة جيونجسو.

أخيرًا وصلتُ إلى المكتب، جناح كبير وفخم. تردد صوت رجل من الداخل، إنه على الأرجح الطبيب نانشين يوزّع مهام اليوم على الممرضات. أسرعْتُ بصعود الدرجات الحجرية ودفقتُ إلى الداخل. تجمّع جميع أفراد الطاقم الطبي في القاعة الرئيسية، وأيديهم مشبوكة داخل أكمامهم ورؤوسهم منحنية. انضمتُ بسرعةٍ إلى الصف، واستنشقتُ الرائحة الترابية المنبعثة من الأعشاب المجففة، بعضها محفوظٌ في أدراج خزائن طبية كبيرة، وبعضها الآخر مُعلّق في السقف في أكياس بيضاء. تهدّئني هذه الرائحة في العادة، فقد قضيتُ سبع سنوات وأنا أستنشق هذه الرائحة العطرية بينما أدرس وأساعد المرضى، وبينما أضحك وأثرثر مع زميلاتي. ومع ذلك، لا أقدر اليوم إلا أن أتساءل ما الفضاءات المختبئة خلف المألوف والمعتاد.

- بالتأكيد كلكم سمعتم بالحادثة التي وقعت قبل البارحة.

أعادني صوت الطبيب نانشين إلى انتباهي: «ربما سمعتم بإشاعة خطيرة تتردد في الأرجاء. لكنني أنصحكم بالتزام الصمت. أي شخص سينخرط في ترويج هذه الإشاعة سيدفع حياته ثمنًا لذلك».

عضضت شفتي السفلى، إنه يتكلم عن النشرة المجهولة، عن اتهام ولي العهد. نفضتُ رأسي، لا أود أن أفكر في ذلك مرةً أخرى. ارتفع صوته مثل خشخشة الورق عند قلب صفحة جديدة: «حسنًا! اليوم سيكون يومًا حافلًا».

شرع في تكليف الممرضات بالمهام؛ تُقسَّم الممرضات إلى ثلاثة تخصصات: قراءة النبض، والأدوية، والعلاج بالوخز بالإبر. قارئات النبض مثلي مهمتهن هي تقييم وتحديد مستوى التوازن في العقل والجسد، وذلك عن طريق فحص الأعراض، وطرح الأسئلة والاستفسارات، والتحقق من النبض وفقًا لدليل المكتب الطبي الملكي. أما صانعات الأدوية فهن مسؤولات عن إخبار الطبيب بالأعراض، ومناقشة التشخيصات المحتملة معه وفور تحديد العلاج اللازم، تقضين ساعات في تحضير الطبخة الدوائية بعناية فائقة قبل إعطائها للمريض. أما المتخصصات في العلاج بالوخز بالإبر، هن الأكثر احترامًا من بين الممرضات، فهن ممرضات تتمتعن بمهارة فائقة، وتعرفن كيف تخففن المرض والآلام باستخدام نقاط الضغط الموجودة في الجسم. لقد فهمن كوكبة طاقة «الكي» المعقدة التي تتدفق عبر الجسم، وعرفن أين تضعن الإبر بالضبط، وفي أي عمق.

قال الطبيب نانشين فور أن كلّفنا ببقية المهام الأخرى: «ثمة مهمة واحدة أخيرة». تنحنح كأنه منزعج: «أريد ممرضة قارئة نبض، وممرضة وخز بالإبر كي تفحصا صحة مدام مون ورضيعتها».

نظرتُ إلى جانبي نحو بقية الممرضات، لم تتطوع أي واحدة منهن، فلا أحد يحب مدام مون ذات الثمانية عشر عامًا التي تحوّلت من خادمة مطبخ صغيرة رعيدة إلى محظية الملك المتغطرة. لكنني أعرفها أكثر من أي شخص آخر هنا، لطالما كانت متعجرفة حتى وهي طفلة.

في وقتٍ ما، منذ زمن طويل، عندما كنا في الحادية عشرة، كانت صديقتي... نوعًا ما. هي ابنة إحدى صديقات أُمي. عندما التقيتها أول مرة قدّمت نفسها بأنها مون سوهيون، لكنها أمرتني بأن أناديها مون-شي: مدام مون. كانت هذه طريقتها للتفاخر باسم عائلتها؛ اسم العائلة شرف عظيم ونادر بالفعل بالنسبة إلى شخص من الطبقة الدنيا، بصرف النظر عن كيفية الحصول عليه. وهكذا أذعنْتُ لطلبها، وناديتها مون-شي كما كانت تأمرني في جميع رحلاتنا وأفعالنا الصبانية، حاسدةً إياها سرًّا لأنني لم يتح لي استخدام اسم عائلة. كانت صديقةً متسلطة، ولكنها صديقة على أي حال.

تطوع صوت أنثوي فجأة قائلاً: «سأذهب». إنها الممرضة إينيونج. تنحنح الطبيب نانشين مرة أخرى: «جيد، ما زلنا نحتاج إلى قارئة نبض».

اعتزمتُ مساعدة جيون اليوم في تحضير الأدوية. غالبًا ما أساعدها في العمل، عندما لا يكون عندي مريض أعطني به. لكن عندما رأيتُ الممرضة إينيونج، ازدادت رغبتني في التحدث معها.

- أنا أيضًا سأذهب.

قلت بصوتٍ واضح وعازم على الرغم من تحديق الممرضات الأخريات إليّ، وشفاههن المتضايقة المقلوبة نحو الأسفل. نظرتُ إينيونج نحوي مذهولةً أيضًا. حافظتُ على ثبات صوتي وقلت: «أنا أيضًا سأساعد يا يويون-نيم».

بموجب القانون الكونفوشيّ: لا يجوز أن يلمس الرجال والنساء بعضهم بعضًا إن لم يكونوا أقرباء. هذا عُرف مُطبَّق يلتزم به النبلاء،

ولهذا السبب، وبعد سلسلة من الوفيات المؤسفة -والقابلة للعلاج- بين إناث العائلة المالكة اللاتي رفضن أن يلسمهن أطباء رجال، تشكّلنا نحن اليونانيوس. أكثر الناس لا يرون فينا سوى مساعدات للأطباء الملكيين، ممنوعات من اتخاذ أي قرارات بأنفسنا.

لذلك مشيتُ مع الممرضة إينيونج خلف طبيب شاب يتقدمنا للإشرف علينا. مررنا بحراس دوريات في أثوابهم الحمراء وخصيين يهرولون لتوصيل الرسائل. ولكن فور أن أصبحنا وحدنا على الطريق الثلجي بين الساحات، نظر الطبيب خلفه نحونا. وجهه يافع رغم الشعر المحيط بفمه. سألنا: «ماذا قصد الطبيب نانشين؟»، شكّل سؤاله سحابة بيضاء من البخار تجمّعت أمامه: «أي إشاعة؟».

لم أقل شيئاً متذكّرةً تحذير الطبيب بخصوص الصمت.

لكن الممرضة إينيونج صدمتني وأجابت: «عُثِر على منشورات مجهولة في أرجاء العاصمة، تزعم أن ولي العهد هو المسؤول عن حوادث القتل في الهيمينسيو، وأنا لا أصدق أيّاً من هذه الإشاعات طبعاً». بدا الطبيب أكثر شحوباً. «أكيد. أكيد». ثم نظر إلى الأمام وأسرع في خطواته، كأنه يهرب من جواب سؤاله، فبقيت وحدي بضع لحظات مع الممرضة إينيونج. نظرت إلى وجهها المغطى بالبودرة، وتساءلت ما إذا كانت تعرف ماذا تقول عنها الممرضات الأخريات.

قالت بينما نظرتُ أنا بعيداً بسرعة: «أنتِ تحدّقين، هل عندك شيء تودين قوله؟».

ترددتُ للحظة: «البعض يقول... أنك كنتِ دامو فترة طويلة».

بقي وجهها ساكناً رصيناً، وقالت: «تقصدين ممرضات القصر الأخريات»، ثم اعتلت شفتيها ابتسامة يشوبها الحزن: «يجب أن تفكري

مرتين قبل التحدث معي. إذا كنتِ تودين البقاء على علاقة طيبة مع بقية الناي-يوينيوس الأخريات، فمن الأحسن لكِ ألا يروك تتعاملين معي مرةً أخرى».

لست حديثة عهد بالعداوة، لقد كبرتُ في كنف العداوات، منبوذةً من قبل أبي، ومن قبل أولاده الشرعيين، واكتشفتُ طرقاً لمواجهة الازدراء في عمرٍ مبكر.

خاطبتها بأدب، لأنها أكبر مني عمراً: «يوينيو-نيم، لقد التحقتُ بالقصر كي أثبت جدارتي، وليس لتكوين صداقات».

نظرتُ إليّ مرةً أخرى، نظرة طويلة حذرة، كأنها كانت غافلةً عن شيءٍ ولاحظته الآن.

- أنا ببساطة شاهدة على جريمة كما تعرفين، وقد جذب ذلك الأعين نحوي. ممرضات القصر أولئك متحمساتٌ دائماً لسردِ تاريخي، يبحثن عن طريقة للتعالي عليّ ووضعني في مكاني.

سكنتُ عندما مرَّ بنا أحد الحراس، وما إن عدنا وحدنا مجدداً، أكملتُ: «هذا ما يحدث عندما تترقى اليوينيوس الشابات إلى ممرضات في القصر. هنَّ يعتقدن أنهن أفضل من أي شخص آخر، خاصةً ممن هن مثلي: دامو متواضعة أصبحت ممرضة قصر في وقت متأخر من حياتها».

مرَّت هنيهةً، ثم سألتها: «كم بقيتِ دامو يا يوينيو-نيم؟».

- تسع سنوات.

تفحصتها مرةً أخرى مشدوهةً. تسع سنوات تعني أنها رسبت في كل محاولة، كل شهر، لاستعادة منصب الممرضة. إذن كيف تمكنتُ فجأةً من أن تصبح ممرضة قصر بعد تسع سنوات من الفشل؟

قالت كأنها تقرأ أفكاري: «لقد رسبتُ في تلك الامتحانات بمحض إرادتي».

مفاجأة صادمة أخرى، «بمحض إرادتك؟».

- أردتُ مواصلة خدمتي في مكتب الشرطة في جوانجغو، فالقائد هناك، معلمي مثلما الممرضة جيونجسو معلمتك، كان يحقق في قضية قتل، وابتلني التحقيق. بحثنا سنواتٍ، ولم أستطع التوقف عن التفكير في الظلم والقسوة في تلك القضية؛ قُتِلَت عائلة بأكملها في ليلة واحدة، ولم ينجُ منهم أحدٌ سوى فتاة صغيرة. لقد اختبأتُ داخل صندوق، وأُجبرت على الاستماع إلى والدتها تُذبح حيَّةً.

وقف شعر جسدي: «هل قُبِضَ على القاتل؟».

قالت بصوتٍ خشن ضاغطةً على فكِّها: «نعم، ولكن بعد فترة طويلة، بعد أن اكتشفنا أن أحد الشهود شهد زورًا. عَذَّبَ القائد الشاهد حتى الموت. وفور انتهاء التحقيق أردتُ بداية جديدة كي أنسى».

همستُ: «عذبه حتى الموت...»، هذا القائد الذي تتحدَّثُ عنه أبعد ما يكون عن الممرضة جيونجسو.

- قررتُ أن الوقت قد حان للمضي قدمًا حين صفعتني مأساة جديدة: توفيت أُمِّي التي كانت تحلمُ دومًا أن أصبح ممرضة في القصر. ولذلك نجحتُ في كل امتحان شهري حتى استطعتُ أخيرًا الحصول على أعلى علامات تراكمية في نهاية السنة. أردتُ الالتحاق بالقصر إكرامًا لها.

هزتُ رأسها وغمغمتُ: «كما أنني بحاجة إلى المال، وممرضات القصر أجورهنَّ جيدة».

تذكرتُ ما قالته لي قبل يوم: «وقمار والدك...».

- سيشيب شعري مبكرًا بسببه. ولكن كيف ألومه؟ لقد مرَّ بالكثير في حياته.

خنقتُ مشاعر حقيقية صوتها، وعصف بوجهها طيفٌ من الكآبة: «يبدو أن في كل عائلة شخصًا يدفعنا إلى الجنون».

فكَّرتُ بمرارة: مثل أبي... وأمي.

قبل أن أتمكن من الإجابة، تنحنح الطبيب الشاب. لم يعد بعيدًا جدًّا، وانتبهتُ إلى أننا وصلنا إلى مقر مدام مون. أغلقنا شفاهنا ونحن نمشي إلى داخل الجناح.

غمرت نظرة متعجرفة وجه مدام مون عند دخولنا. تابعتني بنظرها كأنها تسألني: هل ما زلتِ تحسدينني يا هيونا؟ أحنيتُ رأسي، ولكنني لم أستطع التوقف عن النظر إليها خلسةً من بين رموشي: نعم ما زلت.

بشرتها مشرقةً مثل قطرة الندى، وشفتاها متوردتان مثل زهرة، وعيناها برّاقتان مثل غروب الشمس. إنها ليست مجرد واحدة من محظيات الملك الكثيرات، بل إحدى محظيات جلالة الملك الأربع الأعلى رتبة، إنها محظية لها امتيازات الزوجة.

- مدام.

تعثر الطبيب الشاب وهو يتقدّمنا إلى الأمام: «لقد أتينا لتأكد من سلامة صحتك».

رفعتُ إصبعها: «باشِر عملك».

وضعتُ كل مشاعري جانبًا، وألبستُ وجهي قناع الأدب وأنا أجتو
أمام مدام مون كي أفحصها، وأطرح عليها الأسئلة وأتحقق من نبضها.
بعدما أخبرت الطبيب الشاب بالنتائج، أنهيتُ فحصي قائلةً: «إنها
بحاجة إلى استعادة مستوى طاقتها»، فأوماً الطبيب موافقًا.

شرعت الممرضة إينيونج في علاج مدام مون بالوخز بالإبر. بحثتُ أنا
عن شيء يلهيني، وتحول انتباهي إلى الرضیعة التي وضعتها المُرْضعة
بين ذراعيّ.

سألتها مستخدمةً اللقب التشریفی للأميرة الصغيرة: «كم عمر
الأجاشي الآن؟».

حكّت المُرْضعة جانب أنفها: «أسبوعان».

- كم مرة رضعت الأجاشي من نهدك اليوم؟

- مرة واحدة.

- هل تحركت أعضاؤها اليوم؟

- مرة واحدة.

- جيد.

مكتبة

t.me/soramnqraa

عليّ أن أدوّن هذه المعلومات لاحقًا، فبعد بضع ساعات ستتناوب
ممرضات أخريات على تسجيل الحالة الصحية للأم والطفلة، لكن في
تلك اللحظة نظرتُ مرة أخرى إلى الرضیعة. شعرتُ بخيبة أمل مدام
مون الثقيلة المستلقية بين ذراعيّ، لكم تمنّت أن تُنجب صبيًا. سمعتُ
أنها صلّت وقدمت القرابين إلى سامشين هالموني⁽¹⁾، وإلى أرواح النجوم
السبعة، وأرواح الجبل، وإلى بوذا، وإلى بعض الصخور والأشجار

(1) آلهة الولادة والقدر في الأساطير الكورية. (المترجمة)

المقدّسة، حتى إنها تناولت كل الأكل المناسب لإنجاب الذكور، ومع ذلك، فقد منحتها السماء ابنةً.

أخرجتُ نفسًا بطيئًا كي أخفف الألم عن صدري. أردتُ أن أهدس إلى الطفلة: أتمنى أن تحبك أمك يومًا ما... أن تحبك أكثر مما أحببني أُمي أنا.

كانت أُمي تضعني على الأرض كي ألعب بالتراب، أما أخي الذي وُلد بعدي فكانت تحمله دائمًا. وما إن كبرتُ تركتني للخادمة لتربيني، أما عندما كبر أخي أحاطته بالمعلمين والبسكويت النادر المقلي بالعسل.

تفاقم كل هذا الظلم بداخلي، وحتى الآن أشعر به يلقي بظلاله عليّ، غضبٌ يندلع إلى حرائق صغيرة. لطالما لُمْتُ أُمي على ولادتي بشكلٍ غير شرعي. خبأت خاتم اليشم الأخضر العزيز عليها تحت خزانة كبيرة، وألقيتُ دفاتر مذاكرة أخي تحت المطر الغزير، وسرقتُ مقتنيات أختي غير الشقيقة الثمينة، والهدايا التي كان يُغدقها عليها أبي، وألقيتُ بها في جدول. كسرتُ ودمرتُ وأنا أحاول تخفيف الألم.

غضب كهذا لا يختفي بشكلٍ كامل، لكن الممرضة جيونجسو منعت هذا الغضب من ابتلاعي.

همستُ للطفلة: «الهيئة التي أنتِ عليها هي صورة للجنة والأرض». هذه كلمات صن سيمياو، اقتبسستها من كتاب أهدتني إياه الممرضة جيونجسو: موسوعة «دونجوي بوغام» (Dongui Bogam) التي كتبها الطبيب الأسطورة هيو جون، وما زلت أقرأها بتمعن كل سنة. «رأسك المُدَوَّر يشبه السماء، وقدماك المسطحتان تشبهان الأرض. لك أربعة أطراف مثلما للكون أربعة فصول، لك عيانان مثلما للكون الشمس والقمر». مسحتُ لعابها: «تذكّري دائمًا من تكونين حقًا يا أجاشي...».

قالت مدام مون: «هل سمعتِ؟»، فشعرتُ بنظرِتها المكدقة إلى حادةً مثل خنجرٍ مصوّبٍ إلى حلقي. «ثمة منشور مجهول منتشر في العاصمة، وهناك إشاعة خطيرة. هل سمعتِ بها؟ هل تظنين أنها صحيحة يا ممرضة هيون؟».

طرفتُ بعينيّ ونظرتُ إليها، وأنا ما أزال ممسكةً بالرضيعة: «ها؟».

- عرفتُ أنك وممرضة أخرى كنتما تخدمان ولي العهد في تلك الليلة.

هل كان بالفعل في غرفته طوال الوقت؟

لمحتُ بطرف عيني الممرضة إينيونج والطبيب الشاب يتبادلان

نظراتٍ متوتّرة. النميمة على أحد أفراد العائلة المالكة مع محظية الملك

ليست مجرد فعل غير ملائم، إنه فعل تتدحرج لأجله الرؤوس.

أصرتُ في السؤال: «إذن؟».

شعرتُ بالعرق البارد يلمع على حاجبي: «ولي العهد كان في غرفته

يشعر بالمرض طوال اليوم يا مدام، لذلك استدعونا لنعتني به. لقد بقينا

قلقين على سلامته طوال الليل».

- حقًا؟ بالعادة هناك ممرضات لمثل هذه المهام. أنتِ لستِ ممرضة

ليلية، أليس كذلك؟».

تسللتِ البرودة إلى أناملي: «لست كذلك يا مدام».

- إذن لماذا استدعوكِ أنتِ؟

تمهلْتُ متسائلةً ما إذا كان عليّ أن أخترع كذبةً، لكن على العكس،

أجبتها بالحقيقة: «لست متأكدة».

ردت مدام مون بعنف ملوحةً بيديها: «فليغادر الجميع باستثناء

الممرضة هيون».

شعرتُ بضيقٍ في معدتي وأنا أناول الطفلة إلى المُرْضعة وأنتظر خروجهم. حالما بقينا وحدنا، أسندت المدام مرفقها على ركبتيها، ثم سألتني والإصرار يملأ وجهها: «أمتأكدة أنك لا تعرفين؟».

قلتُ بقناعة أكبر: «نعم، لا أعرف يا مدام».

سكتتُ هنيهةً طويلة، ثم قالتُ: «أنا أصدقك، لكنّ لدي جواسيس في كل ركن من هذا القصر، إن كنتِ تكذابين عليّ، سأكتشف ذلك وسأخبر جلالته». نظرتها ثقيلة كأنها وخزٌ في رأسي المنحني. «أنتِ تعلمين أنني بإمكانني إخبار الملك بأي شيء عنكِ، وسيصدقني».

انسابت قطرة عرق نحو أسفل ظهري. مدام مون من عمري، لا ينبغي أن أخاف منها، ومع ذلك فقد شعرتُ بوخزةً من الخوف... ربما هي لا تخيفني، ولكن الملك بالتأكيد يخيفني.

أضافتُ برفقٍ: «لكنني سأحرص على ألا يصيبك مكروه، إذا أصبحت عيني وأذنيّ. عليك أن تخبريني بأي شيء تسمعيه بخصوص ما حصل في الهيمينسيو». أخفضتُ صوتها وأكملتُ: «خاصةً لو كان الأمر متعلقاً بولي العهد».

تجمّد قلبي: «سأحاول يا مدام».

صححتُ لي: «لا، ليس تحاولين، بل سوف تفعلين ذلك».

صررتُ على أسناني وأنا أحنّي رأسي: «نعم، سأفعل».

كانت كذبة طبعاً؛ الأكاذيب هي دفاعات الطبقة الدنيا الوحيدة في وجه أصحاب السلطة.

جلستُ بشكلٍ مستقيم، ورفعت ذقنها، وثمة ابتسامة على شفتيها: «حسناً، يمكنك الانصراف إذن».

نهضتُ مستعجلةً، لم أعد أقوى على البقاء معها، ولكنني تمهلْتُ، فإذا كان لدى مدام مون جواسيس في القصر، فربما لديها إجابة على أحد الأسئلة الكثيرة التي تزعجني.

قلت ببطء: «لقد قُتِلَت سيدة بلاط خارج جدران القصر، هل تعلمين من قد يرغب في أذيتها؟».

تلاشت ابتسامة مدام مون، وهمست: «لا تتكلمي إلا إذا تحدثتُ إليك». حاولت مجدداً: «يا مدام أنا لست سوى خادمة، لكننا كنا صديقات ذات يوم، إذا كانت ذكريات طفولتنا الجميلة غالية عندك، فهلاً أجبتي من فضلك عن هذا السؤال؟».

عندما طال صمتها نظرتُ من بين رموشي، لقد شحب وجهها من الخوف حتى بدت كأنها مضطربةٌ، لكن هذه التعبيرات اختفت، وحل محلها بريق إثارة لم تقدر أن تُخفيه.

قالت: «أحد خدمي رأى سيدة البلاط أهني والطبيب الملكي خون - هذا الذي يعمل في الحديقة الطبية- يتجادلان في اليوم السابق لمقتلها، وعلى ما يبدو أنه في لحظةٍ ما أمسك بكتفها». ثم تعجبتُ قائلةً: «يا له من تصرف غير لائق، لعله الوحش الذي تصطادينه»، ثمّ لوحت لي مدام مون بيديها كي أغادر.

وبينما أغادر مقرها انجرفت أفكاري نحو شبكة الأسماء التي نسجت خيوطها في عقلي:

سيدة البلاط أهني، الطبيب خون، مدام مون... وولي العهد. كلما فكرت ملياً ازداد ضيقي. يتملكني خوفٌ لا أستطيع لجمه، خوفٌ من حقيقةٍ مخفية ما سوف تنكشف، ثم تنتشر في المملكة: عاصفة عنيفة ستأتي على كل شيء.

4

همستُ لنفسي وأنا أسرع الخطى عبر العاصمة، وأرحب باندفاعات الثلج التي ذابت على وجنتيّ الدافئتين: «ستكون مهمة بسيطة، ثم سينتهي كل شيء».

أمضيتُ ساعةً أسأل عن بيت الطبيب خون، ساعةً قضيتها وأنا أتعرضُ لنظراتٍ مستنكرة وأسئلةٍ عديدة عن سبب رغبتني في زيارة منزل رجل أعزب.

ورغم كل ذلك، منعني عنادي من التوقف. كنتُ مقتنعةً أن الطبيب خون يعرف الحقيقة وراء حوادث القتل؛ الحقيقة التي ستحل خيوط اللغز، وتخلص الممرضة جيونجسو من حلق القائد. ففي نهاية الأمر، سيدة البلاط التي تجادل معها الطبيب خون في الحديقة، انتهت بها المطاف مقتولة. وحسب ما عرفتُ، فمن الوارد أنه حبيب سيدة البلاط أهني؛ أعمارهما متقاربة إلى حد كبير، هو في التاسعة عشر وهي في الثامنة عشر.

تسمرتُ في مكاني عندما باغتني فجأة احتمالٌ، احتمالٌ أن يكون الطبيب خون هو من قتلها. يُفضّل الرجال السكاكين حين يقتلون ضحاياهم؛ لقد لاحظتُ ذلك وأنا أعنتني بالجرحى في الهيمينسيو، كما أن جرائم قتل السيدات على يد أزواجهن وعشاقهن ليست قليلة أو متباعدة.

أستطيع أن أتخيل ما حدث بوضوح: دس الطبيب خون ورقة في يد سيدة البلاط أهني، ورقة تستدرجها خارج القصر، مهدداً إياها ألا يراها مجدداً إن لم تخرج. ثم حين انفرد بها خارج جدران القصر بين الظلال طعنها في صدرها، فحاولت الهروب إلى الهيمينسيو. ربما طاردها إلى هناك وطعنها في حلقها مُجهزاً عليها. حينها أدرك الطبيب خون أن شهوداً قد رأوه: مجموعة دراسية تتألف من ممرضتين طالبتين ومعلمتهما، فقتلهن أيضاً.

لكن بعد أن مرت دقيقة صفى ذهني، وتباطأت دقات قلبي؛ لا يمكن أن يكون الطبيب خون هو القاتل، إنه مُعالج ينقذ حياة المرضى، من المستحيل أن يرتكب جريمة قتل.

مرّت بقربي مجموعة من الجنود فكدتُ أسقط الورقة التي أعطاني إياها أحد الأطباء موضعاً فيها عنوان الطبيب خون. صاح القائد: «اعثروا عليه! لا تدعوه يهرب!».

حدقتُ إليهم فترة، ثم تابعتُ سيري عبر الطريق المزدحم المؤدي إلى بوابة القلعة الضخمة. أبرزتُ هويتي فأشار لي الحارس بالمرور، فخرجتُ من العاصمة نحو الطريق الذي اعتدتُ أن أصادف الطبيب خون فيه أحياناً ونحن عائدان من القصر إلى منازلنا.

الطبيب خون هادئ ومتحفظ، يذكّرني بالنباتات التي تنمو في حديقته الطبية، ودائماً ما يكون مُنشغلاً جداً بأفكاره، فلا ينتبه إلى نظراتي الفضولية المصوبة نحوه. له عيانان داكنتان تنظران دوماً نحو الأمام، وساقان طويلتان تتجاوزانني في المشي حتى يخطو بسرعة على جسر نهر تشونج جاي، ويختفي بعيداً عن نظري. وفي العادة أكمل أنا في الطريق المؤدي إلى منزل أُمي، لكن اليوم عبرتُ الجسر.

اتبعتُ التوجيهات المدوّنة على الورقة التي حفظتها من أول قراءة،
الحفظ سهلٌ عليّ، أستطيع حفظ صفحةٍ كاملة بنظرة خاطفة. بعد أن
شقتُ طريقي حول القرية، وصلتُ إلى حافة الغابة. قادتني التوجيهات
إلى طريق الغابة المليء بأشجارٍ عارية وصخورٍ مغطاة بالثلوج. مشيتُ
بصعوبةٍ في طريقٍ مليء بأغصان تعيق كاحلي حيثما سرتُ.

انفتحت الغابة أخيراً على فسحة بلا أشجار، في منتصفها كوخٌ
وحيد مسقوف بالقش، له جدران طينية متداعية وأبواب منزقة مغطاة،
بينما تحيط به بوابة من الأغصان الشجرية.
توقفتُ في مكاني.

منزل الطبيب خون منعزلٌ جدًّا لقد تخيَّلت كوخه داخل القرية،
وتخيَّلتُ أننا سنتحدث خارجه ونحن نومي للقرويين المارين والمتفرجين
الفضوليين. أنا لا أثق به -ولا بأي رجل- بحيث أبقى وحدي معه في
مكانٍ معزول كهذا. استدرتُ كي أغادر، لكنني سمعتُ غصناً ينكسر في
مكانٍ ما قريب.

تحركَ ظلٌ خلف الأيكةات.

وقف الشعر على مؤخرة عنقي، وتسمَّرت في مكاني، أعد أنفاسي
الواهنة وأنا أترقب.

بعد بضع دقائق، رأيتُ رجلاً يعتمر قبعة رجل نبيل سوداء ومعطفًا
طويلاً باهتاً... طالبٌ فقير. بقي الرجل واقفاً في الظل، وتبيَّن لي أنه
يراقب كوخ الطبيب خون. بقي واقفاً هناك فترة طويلة، طويلة بما يكفي
كي تتحرك سحابةٌ ما في السماء، فيشقُّ شعاع من النور طريقه بين
الأغصان ويقع عليه.

اتسعتُ عيناوي عندما استقرتا على وجه مألوف وسيم خالٍ من كل
مسحات الطين التي غطته آخر مرة رأيته. له عيناوان داكنتان أخاذتان،

وأنف معقوف وفكّ نحيل، ووجنتان غائرتان تنمان عن الجوع، رغم أن بضع وجبات دسمة يمكنها إصلاح أي شيء، حتى هاتين الوجنتين الغائرتين. إنه خادم الشرطة، الشاب الهادئ الصارم الذي ساعدني على الهروب من مسرح الجريمة.

لكن ما الذي يفعله هنا الآن مرتدياً ملابس طالب؟

لم يحرك ساكنًا رغم قطع الثلج المتساقطة على وجهه، عنده ثباتٌ ليس بمقدوري محاكاته. نخز غصنٌ فخذي من الخلف، فاستدرتُ وأبعدته، ثم نظرتُ أمامي مجددًا. لقد اختفى.

شعرتُ بارتباك شديد، ثم سمعتُ صوت تكة غلق الأبواب المُنزلة، فاقتربتُ بسرعة. تسللتُ إلى جانب الكوخ حتى عثرتُ على الباب الخلفي وفتحته قليلًا، وعندما نظرتُ إلى الداخل رأيتُ غرفةً فارغة. واصلتُ سيرتي إلى جانب الجدار، ثم فتحتُ بحذر نافذةً متهالكة تطل على جزء آخر من المنزل: غرفة أخرى فارغة. تساءلتُ أين ذهب خادم الشرطة؟ استدرتُ لتفقدُ بقية الغرف لكنني اصطدمتُ بشيء صلب. سمعتُ صوتًا عميقًا ومرتبكًا يقول: «أنتِ مرةً أخرى؟».

حدقتُ إلى عينين بُنيّتين صافيتين، على رموشهما الداكنة ندفات من الثلج. فغرتُ شفتيّ كي أتحدث لكنني لم أعرف ماذا أقول، حدةً نظرتِه ألجمتُ لساني وأنستني الكلمات. رمشتُ بسرعة، ثم نظرتُ نحو الأسفل فرأيتُ أنه سحب خنجره، والآن يغمده: من الواضح أنني لا أمثلُ تهديدًا بالنسبة إليه. لا أدري هل يجب أن أشعر بالإهانة بسبب ذلك أم لا.

سأل: «لماذا تتبعينني؟».

- أنا هنا قبلك. لماذا أنت داخل منزل الطبيب خون؟

- لأنه ليس بالداخل.

استغرقني الأمر دقيقة لأفسّر كلماته. لا بد من أنه جاء للتفتيش في أغراض الطبيب، لكن عمّ يبحث؟ «إذن الشرطة أرسلتك إلى هنا، على ما أعتقد».

- لا.

- إذن لماذا جئت...؟

- أظنني قلت إنني لا أريد رؤيتك مرة أخرى أبداً.

قلت بنبرة بالغة التهذيب: «إذا كنت أتذكر بشكل صحيح، فقد كانت كلماتك لي بالضبط: «أحسن لك ألا أراك تحومين حول مسرح الجريمة مرة أخرى»». لكن هل هذا مسرح جريمة؟».

حدّق الشاب اليافع إليّ كأنني كائن غريب، كأن أحداً لم يتحدث معه بهذه الطريقة من قبل.

هزرتُ كتفي مستنكرةً صمته: «ببساطة جئت كي أتحدث مع الطبيب، هذا كل ما في الأمر».

قال وهو ما يزال مدهوشاً: «لماذا؟».

- عندي تفسير مثير جداً لوجودي هنا، وإذا رغبت في معرفته... نظرتُ إلى الكوخ الفارغ أتساءل أين ذهب الطبيب خون، ثم أكملتُ: «أجب عن سؤالي أولاً: لماذا تتنكر في زي طالب؟».

- كي أندمج وسط الآخرين.

- ولماذا أنت هنا إذا كانت الشرطة لم ترسلك؟

تمهل، وسأل بهدوء: «هل تحقّقين معي؟».

- لا، نحن نتحدث وحسب...

قال مستديرًا بعيدًا عني: «ليس عندي وقت لهذا الحديث للأسف».

قبل أن أتمكن من إيقافه، اختفى داخل كوخ الطبيب خون... منزل الرجل الذي قد يعود في أي لحظة.

حذرنى صوتٌ في رأسي: غادري وحسب يا هيونا. لا أرغب في التورط، لكن شيئًا ما في خادم الشرطة يثير اهتمامي. أخبرني حدسي أن لديه معلومات، وأردتُ معرفتها.

دلفتُ إلى الكوخ ووجدته يتحرك بسرعةٍ من ركن إلى ركن، فاتحًا الأدراج والصناديق، مفتشًا تحت البطاطين المطوية وبين صفحات الكتب. استقرتُ عيناى على كتابٍ قلبٌ فيه ثم وضعه جانبًا: كتاب عسكري.

قلتُ: «ما تفعله غير مسموح به، لا يمكنك اقتحام المنازل كما تشاء، والتفتيش في أغراض أصحابها».

واصل عمله كأنه لم يسمعني. كل غرض يفحصه يعيده إلى مكانه بالضبط: المزهرية الخزفية، صندوق الوثائق، الشمعدان. التقط برطمانًا صغيرًا له غطاء، ثم فتحه ونظر بداخله. انتابني شيءٌ من القلق حين رأيتُ مسحوقًا أبيض بداخله. لكنه أغلق الغطاء، وأعاد البرطمان إلى مكانه، وواصل التفتيش، حينها أدركت أنه لم يجب عن سؤالي بعد.

ناديته بوقاحة: «هاي!». بدأ صبري ينفد: «إذا كنت لا تريد أن أبلغ عنك، عليك أن تجيبني. لماذا أنت هنا ما دامت الشرطة لم ترسلك؟».

أطلق تنهيدة وقلب بين صفحات كتاب آخر.

- عندي أسباب جيدة تستحق أن أورط نفسي في هذا التحقيق، ثقي بي.

- لماذا يجب أن أثق بك؟ أنا حتى لا أعرفك.

- وثقتُ بي كفايةً حين بقيتُ معي وحدنا في الغابة. وعلى ما يبدو أنك هنا للسبب نفسه: تشبهين في الطبيب خون.

وضع الكتاب جانباً، ثم فحص الغرض التالي: صندوق صغير. همستُ بيني وبين نفسي: «إذن أنت حقاً تعرف شيئاً ما»، ثم همستُ له: «سمعتُ إشاعات حول الطبيب خون: لقد شوهد آخر مرة وهو يتجادل مع سيدة البلاط أهني». تمنيتُ سرّاً أن يرد لي الجميل إذا أخبرته ببعض المعلومات. أكملتُ: «وعلى ما يبدو أنه كان ممسكاً بكتفيها، جعلني ذلك التفصيل أتساءل ما إذا كانا حبيين. لو صح ذلك، فمؤكد أن الطبيب خون يعرف شيئاً عما حدث لها، ولهذا السبب أنا هنا». تشنجتُ عضلات فكّ: «قضيتُ البارحة بأكملها أكتشفُ ما ذكرته أنت في دقيقة. ثم احتجتُ نصف يوم آخر حتى أعرف مكان سكن خون». نظر إليّ وفي عينيه بريقٌ غريب: «أظن أن عملك في القصر يتيح لك معرفة معلومات يستحيل على الشرطة اكتشافها». قلتُ: «هذا صحيح».

- وهل ستخبرين الشرطة بهذه المعلومات؟

- سأخبرهم ما يكفي لأبعد الشبهة عن معلمتي. وحتى حينها، لن أخبر الشرطة بكل ما أعرفه.

مشيتُ إلى الباب وترقبتُ عودة الطبيب خون. «ثمة مقولةٌ متداولة بين العاملين هناك: يجب أن تبقى أسرار القصر داخل أسواره، وإلا ستراق الدماء لا محالة».

انتظرتُ جوابه، لكنه لم يقل شيئاً. سكون الهواء التام أشعرني أنني بمفردي. التفتُ إلى جانبي فرأيتُ خادم الشرطة يبحث أعلى خزانة الكتب، كان طويلاً بما يكفي، فلم يحتج للوقوف على رؤوس أصابعه.

ثم توقف فجأة عن البحث، ومشى باتجاه النافذة رافعاً غرضاً صغيراً نحو الضوء.

همس: «وجدته».

انتابتنى قشعريرة وأنا أنتظر في ترقب، لعله وجد دليلاً قد يحل لغز مذبة الهيمينسيو. تصلبت عضلاتي وأنا أراه يسير نحوي. وقف قريباً، قريباً جداً مني، وهو يمد يده بخاتم سميك من الفضة.

قلت: «خاتم جاراكي مفرد؟»، هذه الخواتم تأتي عادةً في أزواج، إذ ترتدي السيدات المتزوجات هذه الخواتم المزدوجة دلالةً على التناغم بين الزوجين؛ والزوجات التقليديات يرتدين هذه الخواتم حتى وفاتهن. سألته: «لماذا تبحث عن هذا الخاتم؟».

قال شارحاً: «ذكرتُ سيدة البلاط أهني الطبيب خون عدة مرات في رسائلها إلى عائلتها. إنه الرجل الوحيد المذكور في خطاباتها. وعند تشريح جثتها، عثرتُ دامو على خاتم جاراكي مفردٍ معلقٍ في قلادتها، خاتم بنقش زهر البرقوق».

رفع يده فصار الخاتم أمام أعيننا نفحصه من كثب، وذُهل عندما رأيت زهرة برقوق رقيقة محفورة في الفضة.

قلت: «ترتدي المتزوجات خاتماً مزدوجاً طوال حياتهن، لكن عند الموت يُدفن واحدٌ معها، ويُعاد الآخر إلى زوجها. هل يعني ذلك أن أهني وخون كانا متزوجين سرّاً؟»، نظرتُ إلى الأعلى، وشعرت بالقلق عندما لاحظت اقتراب وجهي من وجهه، فتراجعتُ فوراً خطوةً إلى الوراء.

تابعني بنظره وهو يقول: «تماماً».

تنحنحتُ بصوت عالٍ، وأعدت تركيزي على الخاتم. أهني سيدة من سيدات القصر، وزواجها بشكل عام يعد جريمة زنا ضد الملك. ثم قلت:

«لم أفهم، لماذا لم يكن الخاتمان معها؟ لماذا عُثِرَ على خاتم جاراكجي واحد فقط معها؟».

- هذا ما أريد أن أعرفه أنا أيضًا.

استدار ليلقي نظرةً على الباب، توقف تساقط الثلج. قال: «قد يعود الطبيب في أي لحظة الآن».

سألت: «هل تعرف إلى أين ذهب؟».

- أرسلتُ له رسالةً قائلًا: إنني شقيق أهنبي، وطلبتُ منه أن يلتقيني في الخان. هكذا أستطيع أن أفتش منزله من دون...

سكت، ثم نظر إليَّ وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة: «من دون مقاطعة. لا بد من أنه أدرك الآن أن هذه الرسالة مجرد حيلة. هيّا، يجب أن نغادر».

تبعْتُ خادم الشرطة، فخرجنا من الغابة، ثم دخلنا حقلَ قصبٍ طويل، أعلى من رؤوسنا. كان عقلي مشوّشًا يحاول أن يفهم حكاية الخاتم؛ الطبيب خون احتفظ بالخاتم الثاني، هل أخذه قبل مقتل سيدة البلاط أهنبي أم بعده؟ وهل يرتبط لغز هذين الخاتمين بالمذبحة؟

قال خادم الشرطة قاطعًا حبل أفكارِي: «سألتني من قبل: ماذا أفعل هنا؟». سحقتُ أقدامنا العشب الهش، والثلج البكر، ونحن سائران.

- لقد عملتُ سنة في مقاطعة بيونجان حيث وقعت جريمة قتل ثلاثية مماثلة... جريمةٌ تعلقت بشخصٍ عزيز عليّ. عندما وقعت مذبحة الهيمينسيو، تساءلت ما إذا كانت الحادثتان مرتبطتين ببعضهما بعضًا.

سألته: «ما أوجه الشبه بين الحادثتين؟»، ثم لم أستطع منع نفسي من أن أضيف: «ألا تظن أن تساؤلك هذا يتضمن الكثير من الافتراض؟»

إن جرائم القتل الجماعي تقع طوال الوقت، ينفذها رجال قضاء فاسدين، أو نبلاء، أو جنود».

تحجّرت تعبيرات وجهه لوهلة، ثم قال: «لدي أسبابي».

أزحتُ خصلةً منسدلةً من شعري بعيداً عن حاجبي، وتراجعتُ خطوةً نحو الوراء، وعيناى لا تتزحزحان عن ظهر خادم الشرطة، بمنكبيه العريضين، ووقفته الشامخة كقمم الجبال.

سألته: «أياً يكن، ما اسمك؟».

بقيتُ نظرتي مثبتةً نحو الأمام، لم يستدر ولو مرةً كي ينظر إليّ: «سيو إيوجين».

انتظرتُ أن يسألني عن اسمي، لكنه لم يفعل. «اسمي بايك-هيون، لكنني أفضل أن تناديني هيون». خطواته واسعة جداً، اضطررتُ إلى الهرولة خلفه حتى لا أتخلف عنه كثيراً. «ماذا ستفعل بالخاتم الآن؟».

- سأحتفظ به.

شعرتُ بانزعاج شديد، القائد سونج يحتاج إلى دليل كافٍ ليطبق العدالة بشكل صحيح، ويحتاجه الآن. قلت: «يجب أن تخبر القائد».

- ليس بعد.

- لماذا ليس بعد؟

- لإتاحة الفرصة لخون للإدلاء بشهادته... من دون تعذيب.

لم أستطع أن أخفي شكوكي: «إيوجين أنت لست سوى خادم، ولا يمكنك أن تقرر من تلقاء نفسك».

توقف فجأة، فأسندتُ يدي على ظهره حتى لا أصطدم به، ظهره عريض وقوي، لم يسعني سوى ملاحظته. سحبْتُ يدي بعيداً وتراجعتُ بينما استدار، نظر إلى عينيّ مباشرةً وكرر: «خادم؟».

قلت: «نعم، أنت خادم شرطة، ولست بمكانة تسمح لك بفعل ما تشاء. لقد عثرت على دليل، وعليك الآن تسليمه إلى القائد...».

هزَّ رأسه ثم دسَّ الخاتم في كيس مربوط في حزام قماشي حول خصره. احتقن وجهي، وغلث دمائي عندما رأيتُ الدليل يختفي. سوف يبدأ القائد بتعذيب الممرضة جيونجسو قريباً، كي يجبرها على الاعتراف. ملأت صور تعذيبها ذهني بضباب مُلطَّخ بالأحمر: جلدها يتشقق، عظامها تتحطم، دماؤها تُغرق الثياب، وتقطر على التراب. وأنا سأعيش مع شعوري بالذنب، أنني ربما كنت أستطيع منع هذه الوحشية لو قدّمت الخاتم للقائد.

تحركتُ يداي من تلقاء نفسيهما، وتوجهتا نحو الكيس، فلمستُ أصابعي القماش، ولكن قبل أن أتمكن من الإمساك بالخيط، أمسك إيوجين رسغي بقوة وأوقفني. بدا مذهولاً مثلي.

سأل: «ماذا تفعلين؟».

قلت بصوتٍ مُنْهَك: «ما دمت لن تسلّم هذا الدليل، سأسلمه أنا».

أرخی قبضته لكن أصابعه السمراء ما تزال ملفوفة حول رسغي الشاحبين.

غمغم بصوتٍ منخفض: «اسمعيني، أنا أعرف القائد. ما دام يظن أنه وصل إلى الحقيقة، فلن يغيّر رأيه أي شيء. لن يساعدك في إنقاذ معلمتك، لا يقدرُ على فعل ذلك إلا شخص واحد فقط».

انقشع الضباب الأحمر ببطء من ذهني. انعقد لساني قليلاً ثم همستُ: «من هو؟».

«القاتل الحقيقي. الاعتراف الكامل سيجبر القائد سونج على إعادة النظر أو...»، ثم أضاف وهو يفلت رسغي برفق: «...المرضة الرابعة؛ إذا كانت ما تزال حية، فشهادتها ستكون مفتاح القضية».

حدّقت إليه بدهشة: «ماذا تقصد بالمرضة الرابعة؟».

- جاءت امرأةٌ إلى مكتب الشرطة تُقسِم أن ابنتها، ممرضة طالبة، قد تركت المنزل مبكرًا، وذهبت إلى الهمينسيو في ليلة المذبحة، ولم تعد إلى المنزل قط.

- ما اسمها؟

- مينجي، تبلغ من العمر اثنا عشر عامًا وحسب. لعلك تعرفينها؟ ارتجف قلبي بقوةٍ داخل صدري وتخبّط ذهني: «لا... لا أظن ذلك». أنا لا أعرف الكثير من ممرضات المستويات الأصغر سنًا، ويعمر الثانية عشر، فمينجي على الأرجح برتبة «شوهاكوي»: طالبة مبتدئة. «ما الذي تظنه قد حدث لها...».

- انتظري.

رفع إيوجين يده، فبقيت ساكنةً، وتمايلت عيدان القصب الخفيفة على وجهي. اتسعت عيناه وهو يحدّق إلى شيء ما وراء ظهري: «أسمع شيئًا».

أدرت أذني واستمعتُ. في البداية، لم أسمع سوى صمت الشتاء القارس.

ثم سمعتُ صوتًا خافتًا، صوت خطوات مهرولة ولهاثًا يبحث عن هواء.

على الفور اخترق إيوجين حقل القصب، وتبعته نحو الطريق. ثمة فلاح مرتعب يجري باتجاهنا، وملابسه غارقة بالدماء وجلده مُزرق،

يضغط بإحدى يديه على جانبه المجروح، بينما تمسك اليد الأخرى بلفّة من الورق. عندما أوشك على المرور من جانبنا، وصل إيوجين إليه وأمسك كتفه. صرخ الرجل صرخةً مدويةً، وانهار على الأرض مباشرةً.

- ماذا حدث؟ مكتبة سرّ من قرأ

عندما لم يجبه الفلاح، انحنى إيوجين على الرجل المرتعد وسأله برفقٍ مرةً أخرى: «من فعل ذلك بك؟».

- أنا... أنا...

ضغط الرجل على شفّتيه محاولاً تكوين أي كلمة، لكن كل محاولاته باءت بالفشل. بعد فترة طويلة، قال متلعثمًا: «أنا... أنا لا أعرف م... ما الخطأ الذي اقترفته».

قال إيوجين: «أخبرني، أنا أستطيع مساعدتك».

وقفتُ إلى جوار إيوجين، أحاول إلقاء نظرة أفضل على الجرح. قلتُ وأنا أطمئنّه: «أنا يوينو، دعني أرّ جرحك، ربما أستطيع إيقاف النزيف». حدّق الرجل إليّ ودفقت الدموع من عينيه، كأنه ارتاح لرؤيتي: «لقد دفعوا لي كي ألصق تلك في أرجاء العاصمة اليوم، بس... س... سرية قدر الإمكان. أنا لا أستطيع قراءتها حتى». تقطع صوته إلى تأتأة، لكن عندما جثوث أمامه، تمالك نفسه بما يكفي ليُكِمِل حديثه: «أنا أحتاج طعامًا لأولادي لذلك وافقت، وبينما كنت ألصقها هاجمني جندي، فهربتُ إلى خارج القلعة».

أخذ إيوجين المنشور من الرجل وفتحه. وما إن قرأه حتى اعتلت الكأبة وجهه.

سألته وأنا أداوي الجرح: «ما الأمر؟»، لقد انشقّ لحم الرجل حتى ضلوعه؛ جرح ناجم عن نصلٍ حاد.

قال إيوجين بصوتٍ ينم عن خطر: «إنه المنشور المجهول ذاته الذي انتشر في اليوم السابق، متهمًا ولي العهد بحوادث القتل». تجمّدت الدماء في عروقي، واتسعتُ عينا الفلاح في صدمة. سألته: «مَن طلب منك أن تلصق هذا؟».

قال بنبرةٍ حادة: «لا أعرف!».

ضغط عليه إيوجين: «ما شكل ذلك الشخص؟ رجل أم امرأة؟ أخبرنا عن طوله، عن أي علامة مميزة به، أي وصف».

حدّق الفلاح خلفه نحو الشارع الفارغ. «الآ...الآن فهمتُ لماذا أرادوا قتلي. لم أكن أعرف... لم أكن أعرف أنني ارتكبتُ مثل هذه الجريمة الشنيعة... يا أيتها الآلهة، لا أملك وقتًا للكلام». اهتز جسده وهو يحاول النهوض بصعوبة، ثم أكمل: «عليّ أن أبتعد...».

اهتزت الأرض تحت أقدامنا، فأمسك إيوجين بنا نحن الاثنين، وسحبنا عميقًا إلى داخل حقل القصب. مددتُ عنقي، ولمحتُ فرسانًا يرتدون قبعات حمراء مزخرفة بثمرتي برقوق، ومُدببة مثل آذان النمر. همست: «إنهم حراس ملكيون».

شدني إيوجين إلى الأسفل وانحنى فوقِي، صدره يغطي ظهري، وذراعه تحميان رأسي. همس للفلاح أن ينحني أيضًا، لكن الرجل ازداد شحوبًا، واتسعت عيناه أكثر فأكثر، وحدّقنا إلى الأمام كأنهما قبران مفتوحان.

انتحب الرجل وهو يتراجع رغم محاولات إيوجين للإمساك به: «يا أيتها السماوات ساعديني، عليّ الذهاب».

استدار الفلاح وركض متعثّرًا، يدفع العشب جانبًا كأنه يسبح عبره، يلتفت خلفه بين الحين والآخر حتى اختفى عن أنظارنا. لكنني ما زلت

قادرة على سماعه؛ صوت ركضه فوق العشب. في حماسة اللحظة بدا له الهروب ممكناً.

ثم تلا ذلك صوت الحوافر المدوي.

التصقّت بإيوجين بينما كان القصب يُسَحَق من حولنا، ويزأر الهواء بينما يمر الفرسان بقربنا، وملأت رائحة الخيل المكان. توقفت العيدان الخفيفة عن الحركة فوقنا أخيراً، بينما كانت الحوافر تدق الأرض مبتعدةً. أدتُ رأسي قليلاً فوجدتُ وجهي ملاصقاً لوجه إيوجين، عيناه حادثان تحت حاجبيه الداكنين. تبادلنا نظرات متوتّرة، ثم راقبته وهو ينظر نحو الأعلى.

شقّ الهواء صفير إطلاق سهم.

ارتعد جسدي كله عندما سمعت اصطدام السهم بجسدٍ، وتبعه صرخة؛ إنه الفلاح. اصطادوه كحيوان بري. تحوّلت صرخته إلى مناشدات بالرحمة، وسمعتُ صوتاً آخر يزمجر بوحشية: «أتجرؤ على التشهير بولي عهد هذه المملكة؟ لقد شوهت سمعة «السيجا-جيوها»⁽¹⁾، وهذه جريمة عقوبتها الموت.

- أر... أر... أرجوكم! لم أكن أعرف...

سمعتُ رنة معدن حادة، ثم صوت الدم المراق الرطب.

انفتحت شفّتاي، وكنت على وشك أن أصرخ من رعبي، لكن إيوجين وضع يده فوق فمي، شعرتُ بدقات قلبه تتسارع فوق ظهري، كان خائفاً مثلي.

(1) صاحب السمو الملكي ولي العهد، حيث تعني سيجا: ولي العهد وجيوها: صاحب السمو الملكي. (المترجمة)

قال الجندي آمرًا: «خذ الجثة، وادفنها في التلال، وأنت ابحث عن عائلة الخائن واعتقلهم. سيتعامل الملك مع الأوغاد بما يُرضيه. الباقون يواصلون تقطيع بقية المنشورات، يجب ألا يبقى أيُّ منها مع حلول الليل».

بالكاد أستطيع أن أتنفس. لم أشهد من قبل حياة إنسان تؤخذ بهذه القسوة، بهذه السرعة، من دون حتى ذرة ندم. ثم خطر لي شيءٌ مرعب: إن التحقيق في مذبحه الهيمينسيو قد يتسبب في قتلي.

همس صوتٌ في عقلي يحذرني: اهربي إذن، الممرضة جيونجسو ليست من دمك ولحمك. اهربي انجي بنفسك.

حدّقت إلى العشب المتمايل، والذعر يتصاعد بداخلي. ما زلتُ صغيرة جدًا على أن تُدمّر حياتي، ومستقبلي مليء بالاحتمالات. أستطيع أن أغض نظري عن معاناة الممرضة جيونجسو، ولن يلومني أحد. لا أحد على الإطلاق.

فكرت: لكن لا يجدر بي ذلك، كانت هذه مناشدةً لنفسي كي أستمّر أكثر منها قرارًا اعتزمت عليه. لن أقدر أن أقول عن نفسي: إنني ممرضة مرة أخرى، لن يرتاح ضميري لذلك إذا غضضتُ طرفي بعيدًا عن مثل هذا الظلم. يجب أن أفعل شيئًا.

5

انتظرنا بين أيكات القصب حتى اكتست السماء بلون قرمزي. حين تأكدنا أننا وحدنا، نهض إيوجين ببطء على قدميه، وخزنتني أطرافي وأنا أسير متعثرةً عبر الحقل وألحق به إلى الخارج. لم أسأله حتى إلى أين نحن ذاهبون، لم أهتم، ما دمنا سنذهب بعيدًا عن هنا.

قال إيوجين وهو ينظر نحوي: «إذا كنتِ تودين أن تتكلمي...». لم أستطع نطق كلمة واحدة. مهما حاولت جاهدة أن أنسى، لم أستطع التوقف عن سماع صفير السهم، ولا صوته المكتوم وهو ينغرز بقوة في اللحم ونحن نسير في صمت. تردد صدى الأصوات داخل رأسي، حتى ظننت أنني سأفقد عقلي لا محالة.

أما إيوجين فقد تمالك نفسه سريعًا، وأخذ يدرس المنشور المجهول المفتوح أمامه بتركيز شديد.

قلت أخيرًا: «أريد أن أعود إلى المنزل». لم أرغب في التعامل مع المنشور، أو الطبيب خون، أو أي من كل هذا في تلك اللحظة. «سأغادر الآن».

أخفض نظره نحوي قائلاً: «هل أنت متأكدة من أنك تريدين المغادرة الآن؟ لست واثقًا أن من الصحيح أن تعودي إلى المنزل بعد».

نظرتُ إلى حيث استقرت نظرته، ورأيت أصابعي ملطخةً بالدم، وأكمامي حمراء، وجذعي تلوّث بمزيد من الدماء عندما حاولت إيقاف نزيف الرجل. اجتاحتني موجةٌ من الدوار.

«عليك أن تنظف نفسيك قبل العودة إلى المنزل. خذي». خلع إيوجين معطفه الأبيض الطويل، ووضعه عليّ، فوجدتُ القماش ما زال يحمل دفتّه، مانحًا إياي شعورًا غريبًا بالراحة، ثم قال: «حتى لا تجذبي الكثير من الاهتمام».

همست: «إلى أين نذهب؟».

- مكانٌ يقصده المسافرون كي يجدوا وجبةً دافئة.

وصلنا إلى خانٍ خارج القلعة، تضحُّ جدرانُه بالضحكات، وتفيض بأناسٍ صاخبين. يشربُ الرجالُ على منصات مرتفعة، أو على الأرض الباردة في مجموعات صغيرة حول طاولات صغيرة. تهرول الخادמות حاملاتٍ صوانيَ ملأى بالنبيذ والوجبات الساخنة. في مقابل هذا المشهد المزدحم، اندفع بخارٌ من المطبخ مالتًا الفناء برائحة البحر، والأعشاب المقطوفة من الجبال.

في هذه اللحظة، كنت سعيدةً جدًا بقدومنا إلى الخان. مكانٌ غامر بالروائح والأصوات، لا يترك لي أي مجال لتذكُّر صفير الأسهم.

قال إيوجين وهو يطوي المنشور ويدسه في ثوبه: «سنأخذ غرفةً لك كي تبدلي ثيابك ونتحدث». استدّار وصاح: «جومو!».

تقدّمت امرأة على فمها ندوب، تحملُ صينية توازنها على وركها. نقلتُ عينيها بسرعة بيني وبين إيوجين، قبل أن تتسع ابتسامتها كاشفةً عن أسنانها المكسورة: «آه، يا لكما من ثنائي وسيم. متزوجان حديثًا؟».

تنحنح إيوجين، وتورّدت بشرته.

إنها فضيحة؛ أن نخرج معًا في هذا الوقت المتأخر ونحن لسنا متزوجين، وليس من الحكمة أن نلفت الانتباه، ونفتح الباب للقليل والقال، فأسرعتُ قائلة: «نعم، تزوجنا اليوم فحسب».

ازدادت أطراف أذن إيوجين احمرارًا، وغمغم قائلًا: «نحن بحاجة إلى غرفة ووجبة ساخنة». ارتبك صوته الرزين المعتاد.

قوّست المرأة حاجبها معبرةً عن فهمها: «بالطبع تحتاجان يا عزيزي، اتبعاني».

شققنا طريقنا حول الطاولات الأرضية، وفوق أذرع وأرجل السكاري، متعثرين بضغمرات، حتى وصلنا أخيرًا أمام غرفة صغيرة.

«هل تتفضلين عليّ، وتحضرين لي وعاءً من الماء؟». ضمنتُ المعطف مغلقةً إياه، يداي مدكوكتان داخل الأكمام حتى لا تظهر أصابعي الملطخة بالدماء. ثم أكملتُ: «حتى... أنظّف نفسي».

«حالا، يا عزيزتي!»، فتحتُ لنا الخادمة الباب المغطى بأوراق الهانجي، وأشعلتُ شمعةً في الداخل، فقد بدأ الظلام يحل، ثم أحضرتُ لي وعاءً من الماء. «سأعود قريبًا كي أحضر وجبتيكما».

دفع لها إيوجين، وما إن أصبحنا وحدنا، جلس وراء طاولة ذات أرجل منخفضة، وأخرج المنشور المجهول مجددًا.

استدرتُ بعيدًا عنه، ونظرتُ نحو الوعاء الخشبي؛ كلما أسرعتُ في تنظيف نفسي انمحت ذكرى حادثة القتل أسرع. شمّرتُ أكمامي الواسعة، وغمستُ يديّ في الماء أفرك وأحك أصابعي، لقد تغلغل الدم حتى في ثنايا جلدي.

ما إن انتهيتُ، واجهتُ الحائط، وفككتُ حزامي، وخلعتُ مئزرتي الملطخة، وأخفيتُها في أحد الأركان. تفتقدتُ نفسي مرةً أخرى؛ بقع

حمراء صغيرة على ملابسي هنا وهناك، لكن ما قمت به من تنظيف يفي بالغرض.

دككتُ خصلات شعري المنسدلة خلف أذنيّ، وأصلحتُ تجعيدات تنورتي، ثم انضممت إلى إيوجين على الأرض، يفصلُ بيننا طاولة خشبية متهاكة.

قال إيوجين بصوتٍ منخفض: «لقد طلبتِ من قبل أن تري المنشور، هل ما زلت تريدين رؤيته؟».

لا تختبئي. لا تهربي. أومأت برأسي موافقة: «أريد».

أدار الورقة المجعّدة نحوِي، ورقة عليها بقع وقطرات من الدم. شعرتُ بوخز القشعريرة ينسلُّ حتى أسفل عمودي الفقري، وسمعتُ صفير السهم مجددًا؛ دويّ الموت. أغمضتُ عينيّ لحظةً حتى صفا ذهني، وحين فتحتهما رأيتُ أمامي رموز الهانجا: حبرٌ يقطرُ في خطوط عمودية:

ولي العهد قتلني.

ولي العهد قتل النساء الأربع.

ولي العهد سيقتل مجددًا.

شبكتُ يديّ إلى بعضهما بقوة. اجتاحني شعور بالخطر المحيِّق بي؛ أن ينتهي بي المطاف مقتولةً لتستري على الأمير. أُملي الوحيد أن يكون هذا المنشور مجرد كذبة. من المؤكد أن الناس يكذبون بخصوص أفراد العائلة المالكة طوال الوقت.

قال إيوجين: «يتعرّض القائد للضغط للتوصّل إلى نتيجة سريعاً، لم أكن متأكّداً من السبب من قبل، لكنني الآن فهمتُ: على الأرجح تحاول العائلة المالكة إخماد الشائعات المثارة حول ولي العهد».

تقطّع صوتي: «لماذا...»، ثم حاولت مجدداً: «لماذا قد تفعل العائلة المالكة ذلك؟».

بقي إيوجين ساكناً غارقاً في التفكير، ثم تحدّث بصوتٍ منخفض: «قد يكون الأمير قاتلاً، أو قد لا يكون، والتهمة مُلقّقة له، في الحالتين سيتعامل القصر مع الأمر على أنه مسألةٌ عائلية، مسألةٌ لا دخل للشرطة بها».

تذكّرتُ وعدي لنفسي هذا الصباح الباكر: مهمة بسيطة، وسينتهي كل شيء. لكن الحقيقة لم تكن بسيطة على الإطلاق.

مال إيوجين مُقترباً من المنشور الذي وضعتهُ أمامي: «يبدو أن من كتب هذا كتبه بطريقةٍ غير معتادٍ عليها، لعلها محاولة لتضليل المحققين».

نظرتُ إليه في ارتباك ثم قلت: «كيف عرفت كل ذلك؟»، هو ليس سوى خادم شرطة.

ارتبكنا نحن الاثنين عندما سمعنا صرير الباب وهو ينفتح، تقدمت الخادمة ذات الشفاه المتندبة، حاملة صينية ملاءى بالطعام والشراب. سحب إيوجين المنشور الملطخ بالدم من على الطاولة، بينما وضعتُ هي وجبتنا عليها: وعاءان من الجانج جو كباب الساخن، وأطباق جانبية، وزجاجة بيضاء، وعاءان للشرب.

ابتسمت الخادمة وهي تنقرُ الزجاجات التي تفوح منها رائحة السوجو: «أحضرتُ لعرساننا الجدد شيئاً مميزاً، ضيافة بسيطة».

المشروبات الكحولية القوية محظورة في مملكتنا، ولكن الجميع يشربون سرًا. كثيرًا ما أرى العاميين وهم يبيعون ويشربون السوجو في الأزقة الخلفية في منطقة تشيونغجين-دونج. لم آخذ رشفة واحدة منه من قبل، لكنني اليوم حدّقتُ إلى الزجاجاة وتساءلت: هل يا ترى تقدّر رشفةً منه أن تمسح ذكرى الدم؟ تساءلتُ وحسب، لم يكن لدي النية للتجربة، ليس وبرفقتي رجل غريب ومريب.

- آيجو⁽¹⁾! ما أجمل رؤيتكما معًا.

غمزت الخادمة لنا، وقالت شيئًا أخيرًا حول «آلام حُب الشباب»، لكن كلماتها مرّت من جانبا، وحدّقنا أنا وإيوجين إلى الطاولة منتظرين، وفور مغادرتها، سألته مجددًا: «كيف عرفت أن الكتابة غريبة؟».

وضع إيوجين وجباتنا ومشروباتنا جانبًا، وفردَ المنشورَ مرة أخرى. «لقد تحققتُ من الحروف ونحن سائران. هذا المنشور كُتب بالحبر، ولكن إذا نظرتِ عن قرب ستريّن علامات فحم باهتة، كأنها أثر تحت الكلمات، وثمة أيضًا رفعات غير طبيعية للفرشاة، حيثُ كان الكاتب يتوقف باستمرارٍ للتحقق من عمله. كلُّ شيءٍ في هذا الخط متعارض، بدءًا من ضغط الفرشاة الغريب إلى علامات الاهتزاز؛ يبدو أنه مزوّر، كأن من كتبه يحاول تقليد طريقة كتابة شخصٍ آخر».

ثمُ مرّق المنشور إلى نصفين. جفّلتُ من صوت تمزيق الورقة، وتفاجأتُ أكثر عندما أعطاني جزءًا منها وقال: «أنتِ تعملين عن قرب مع من في القصر، إذا كنتِ ترغبين في إنقاذ المريضة جيونجسو تحقّقي من خطوطهم. ابحثي عن أي توافق بين خطوطهم وبين المنشور. قد لا نكتشف الحقيقة المتعلقة بولي العهد، ولكن اكتشاف الشخص الذي كان كاتبُ المنشور يحاولُ أن يقلّد خطّه قد يُقدّم لنا بعض الأجوبة».

(1) كلمة تعجّب كورية. (المترجمة)

قلتُ بصوتٍ ضعيفٍ: «هل أنت... أنت تطلب مني الانضمام إليك في تحقيق سريّ».

- نعم، أطلب ذلك.

حدّقت إلى الورقة الممزقة منتظرةً أن يضيق صدري بألف عُذر يجعلني أرفض؛ لقد رأيتُ للتو فلاحًا يُقتل على يد الحراس الملكيين، ووليّ العهد نفسه قد يكون متورطاً في مذبحة الهيمينسيو.

لكن على العكس، شعرتُ أنني استفتت لأول مرة منذ سنوات. القلق حيال دراستي، وحيال تحسُّن مكانتي، وحيال اعتراف أبي بي؛ كل هذا القلق تبخّر. لعل سبب تبخره هو هواء الليل البارد، والمنعش، والمفعم بروائح الثلج والصنوبر البكر. كان لهذه اللحظة عذوبة، وقوة جعلتا عرض إيوجين لا يقاوم.

سألته، وما زال جزء مني يأمل في سببٍ ما يجعلني أرفض: «لماذا أنا؟».

قال بهدوء ناظرًا إليّ وضوء الشمعة منعكسٌ في سواد عينيه: «أخبريني، عندما قلتِ: إن انعدام الجروح الدفاعية في جثة سيدة البلاط أهني له دلالات... ماذا كنتِ تقصدين؟».

ترددتُ، ثم قلت: «هذا يعني أن الضحية سمحتُ للقاتل بالاقتراب منها».

- كيف عرفتِ؟

أكملتُ: «البشر أقوياء، نحن لا نرغب في الموت، غريزتنا للقتال والنجاة قوية جدًا. لذلك، ثمة جروح دفاعية في كل جثث الضحايا المطعونين تقريبًا، إلا إذا كانت الضحية غير قادرة على القتال».

- ما تعنيه هو أن سيدة البلاط أهني على الأرجح وثقتُ بمن قتلها. سمحتُ للقاتل بأن يقترب منها بما يكفي معتقدةً أنها بأمان، وبالتالي لم يكن لديها أي وقت للدفاع والقتال عندما طُعنَت مرتين».

همستُ: «بالضبط».

- لقد فحص الدامو الجثة، وأبلغنَ عن وجود طعنة واحدة مسددةٍ إلى الرئتين، وأخرى إلى الحلق، ولا يوجد أي كدمات أو جروح. عbstُ: لا توجد أي علامات تدل على المقاومة.

- لم يُبلغنَ عن أي ملاحظات أخرى. لم يعثرن على أي شيء يُثبت استنتاجك، لهذا السبب سألتك، أنتِ ترين أشياء لا يراها الآخرون، أشياء أنا لا أراها.

حطّم صدقه واجهة الكتمان التي كان يتعامل بها؛ كان الأمر أشبه برؤية طريق يظهر مع انخفاض المد، ويربطُ اليابسة بجزيرة بعيدة عبر البحر. ثم أضاف بصوتٍ مُعبرٍ: «لا يمكنني أن أكتشف الحقيقة بمفردي، وأظن أنك تستطيعين المساعدة، وأظن أنك أيضًا تدركين ذلك».

خفق قلبي خوفًا وترقبًا، نفس شعوري تمامًا عندما سألتني الممرضة جيونجسو: ما إذا كنت أحب أن أصبح يوينو، ما إذا كنت أرغب في تلبية النداء، ووضع حياة الآخرين قبل احتياجاتي الشخصية. في هذه المرة، شعرتُ كأنني أُستدعى للانضمام إلى مغامرة مظلمة أكبر مني.

ساد هدوء مؤقت بعد محادثتنا، وازدادت حيرتي؛ الشعور بالإنارة مذهل، ومعه فكرةٌ أنني قد أستطيع إنقاذ الممرضة جيونجسو. ومع ذلك، لم أكن ساذجة بحيثُ لا أنتبه أن الحبل الملفوف حول رقبتها قد يلتفُّ حول رقبتني.

حاولتُ مجددًا أن أجد سببًا يجعلني أرفض: «أعرفُ أنك قلت: إنه لا يُمكن الوثوق بالقائد، لكن بالتأكيد يمكن إقناعه بالحقيقة. مؤكد أنه يرغب في العثور على القاتل الحقيقي بشدة مثلك. إنه ضابط شرطة». هز إيوجين رأسه، وتوتّرت تعبيرات وجهه: «إذا كانت العائلة المالكة متورطة فسيحرص على دفن هذه القضية».

- كيف لك أن تكون متأكدًا إلى هذا الحد؟

أجاب بكلمة واحدة: «التاريخ».

انتظرته يشرح، وأنا أشعرُ بالتوتر يسري على طول عمودي الفقري.

- علينا أن نتذكر الماضي، ونعتبر من تحذيراته.

التقطَ نصف الورقة الممزقة الخاص به، وأداره نحو وهج الضوء الدافئ، ثم قال: «قبل ما يقرب من عشرين عقدًا، قتل الأمير إيمهاي نساء ترفيهه، ونفذ من العقاب بسهولة. إنها مثل قاعدة غير معلنة: ألا تتدخل الشرطة ضد ترتيب الأمور، خاصة إذا كان الأمر ليس سوى مقتل بضع سيدات وضيعات. سواء أكان ولي العهد هو القاتل أم لا، لا يهم. لقد تورّط، لذا فإن الشرطة ستسعى إلى إغلاق هذه القضية فورًا وبأي طريقة لازمة».

نظرتُ إلى إيوجين، إلى قبعته السوداء الطويلة المغبرة، وثوبه الأبيض الملطخة أكمامه ببقع الدم، ببصمات أصابع الفلاح. إيوجين الشاب الذي شهدت معه مقتل رجل، إيوجين الذي يطلب مني الآن أن أنضم إليه في بحثه عن الحقيقة.

- ربما عليّ مصارحتك الآن.

وضع المنشور الممزق جانبًا، محدّدًا في الفراغ فوق كتفي: «لم أجد وقتًا مناسبًا من قبل... كي أخبرك من أكون».

كررتُ عابسةً: «من تكون؟».

- عيّن مكتب الشرطة جونجساجوان جديدًا.

تحدث ببساطة كما لو أنه يُطلعني على الوقت.

- أنا محقق الشرطة سيو.

عصفت بي صدمةٌ باردة جمّدتني، ثم فلتتُ من بين شفّتي همسة:

«كذاب».

بقي ساكنًا كأنه لم يسمعني.

كررتُ، لكن هذه المرة متعمدة: «كذاب... لماذا كذبت عليّ؟».

فتّش في ثوبه ثم سحب ميدالية نحاسية، ووضعها على الطاولة.

أخذتها وأدركت أنني أحققُ إلى «مابيه»: الشارة التي تسمح لضباط

الشرطة -من الرتب العليا والمحققين الملكيين- باستخدام أحصنة

الحكومة في أثناء مهامهم. على وجهها محفور خمسة أحصنة، أما

الخلف فعليه الختم الرسمي لهيئة شؤون الموظفين.

همستُ: «لقد ظننت أنك مثلي...».

خادم... تشييونمين، شخص يمكنني التعاطف معه لأنه منبوذ،

شخص على قدم المساواة أخوض معه هذه المغامرة التي لا مثيل لها.

لكنه مختلف عني. أفضل مني.

ثم قفزت إلى ذهني فجأة ذكرى مؤلمة: المحقق سيو، أعرف ذلك

الاسم، وأعرف عنه الكثير، إنه ابن عم جيون. إنه أيضًا الشاب الذي سمعتُ

أبي يذكره لأمي من فترة ليست ببعيدة - ذلك المحقق الجديد الذي نجح

في امتحان الخدمة العامة في سن صغيرة، صغيرة جدًا حتى إن الملك

امتنع عن تقليده هذا المنصب مدة سنتين. قال أبي أيضًا: إنه تمنى لو أن

هذا العبقري ابنه هو. تغلغل الحقد إلى أعماقي عندما سمعته يتحدث عنه هكذا، حقدٌ على شاب لم أقابله، وتمنييتُ أن أكون مكانه.

قلت: «إذن أنت تنكّرت كي تعرف مني معلومات عن القصر». لكن ما وددت أن أقوله حقًا هو: كيف تجعلني أشعر أنني ضئيلة إلى هذا الحد؟ قال: «ليس عمدًا... في البداية».

عندما أدركت أنني في حضرة أحد النبلاء، انتظرتُ أن يراودني الخوف الذي يسكن عظامي في العادة وأنا في حضرتهم. لكنني على العكس شعرتُ بالكره. نظرتُ إلى إيوجين، ما زلت لا أرى فيه سوى خادم الشرطة الذي رأيته ذلك اليوم، بوجهه المتكدّم، ووجنتيه الغائرتين. بدا الأمر مثل خدعة قاسية، أن يكون هذا هو الشاب الذي فضّله أبي عليّ.

قلت: «تقول: إنك محقق، مستحيل أن يزيد عمرك على العشرين».

- ليس غريبًا أن أتولى منصب جونجساجوان في عمر العشرين، الكثيرون فعلوا.

سكتَ قليلًا: «لكنني لم أبلغ التاسعة عشر بعد».

غاصت معدتي بين رجلَي أكثر: «نحن بالكاد بالغان، أنت وأنا».

رمى نصف المنشور الممزق الخاص بي والميدالية في يده... ورمىتهما معهما إثارتي وشعوري بالهدف. جثمت الحقيقة الباردة فوقَي الآن، إن ما يتحدث عنه هو تحقيق رسمي خطر، وأنا في الثامنة عشر من عمري وحسب. لطالما شعرتُ بأنني أكبر من عمري حتى اليوم.

- أنا واثقة من أنك تستطيع حل هذه القضية بمفردك يا ناوري.

ناديته باللقب التشريفي المناسب وفقًا للبروتوكول: «لديك مكتب شرطة كامل يساعدك».

أصرَّ إيوجين، واحتدَّ صوته بنبرةٍ يائسة: «أتعرفين ماذا قال لي القائد سونج هذا الصباح؟ قال: إن ذبح أربع نساء فقط ليس سببًا كافيًا للوقوف أمام العائلة المالكة. قال لي أن أفكر في سُمعتي، وفي عائلتي، وفيما يمكن أن أخسره إذا واصلت التحقيق».

أجبتة: «ربما عليك ذلك، ربما عليك أن تفكر في سُمعتك وعائلتك، هذا هو الشاغل الأول والرئيسي عند كل الأرستقراطيين اليانجبان الآخرين الذين التقيتهم»، ولكنني كنت أستشعر ندمي على الكلمات وأنا أنطقها. إيوجين لم يتأثر إطلاقًا، قال وطيف من التردد يعتلي وجهه: «أخبرتكَ أن لديَّ سببًا شخصيًا يدفعني إلى العثور على القاتل». كنت أستطيع الهروب في هذه اللحظة، لكنني أردتُ أن أعرف.

- العام الماضي في مقاطعة بيونجان... عُثِرَ على قرويٍّ مذبح يُدعى هونجتشول. رأى الشهود فارسًا يحمل سيفًا، ورأس امرأة مقطوعًا. عثرتُ لاحقًا على ذلك الرأس في الغابة... جنبًا إلى جنب مع أبي المطعون حتى الموت.

تلاشت حدتي وتعاطفت معه.

«لست أخبركِ بهذه القصة كي تشعري بالذنب، وتنضمي إلى التحقيق. أنا أخبركِ بها حتى تعلمي أنني لا أخشى خسارة شيء. سأتحمل كل اللوم إذا حصل أي خطأ». ضغط نصف المنشور الممزق في يدي، وقال: «لديكِ الكثير لتخسريه مقارنةً بي، لذا قرري بنفسك، لكن قرري بسرعة. ليس أمامكِ الكثير من الوقت حتى تنقذي الممرضة جيونجسو».

6

رافقني إيوجين إلى المنزل في صمت، وفي وقت لاحق من تلك الليلة، أستلقيت دافنة نفسي عميقًا تحت بطانيتي. كلما غفوتُ استيقظتُ غارقةً في عرقٍ بارد، متذكّرةً القرار الذي ينتظرني، والتحقيق السريّ الخطر، وحياة الممرضة جيونجسو المهدّدة.

بحلول الصباح، كان توتري قد ازداد وتحول إلى طفح جلدي يشبه النتوءات الضخمة التي تخلفها قرصات البعوض. أمضيتُ بقية اليوم في غرفتي، أكتب قائمةً بكل الأمور التي على المحك:

قوانين القصر الصارمة.

ولي العهد مشتبه به.

الفلاح المقتول.

تدريب التمرّيز الخاص بي المهدّد بالخطر.

استمرت القائمة وطالت، ثم أخيرًا كتبت:

رفض.

بقي ذهني عالقا عند تلك النقطة.

لم يكن أكثر ما يربعني الافتراء على ولي العهد، أو حتى خسارة حياتي، بل كان خوفي أكثر هدوءًا من ذلك: كنت أخشى رفض أبي، ورفض من هم مثله، أصحاب السلطة ومن يحظون بالاحترام. لقد أصبحت أعتقد بطريقة ما أنه إذا اعترف والدي بقيمتي، فسيكون ذلك أشبه بوسام شرف يمكن أن يراه العالم بأسره أيضًا.

وربما بسبب هذه الرغبة، تحوّل أبي إلى شبح يقبع في زوايا عقلي. لعل كل ذلك بدأ في اليوم الذي زار فيه الهيمينسيو قبل خمس سنوات. قال لي: «الأساتذة هنا يشيدون بك. يقولون حتى إنه بإمكانك أن تصبحي يومًا ما إيو-يونيئو: الممرضة الأعلى رتبة، امرأة حتى الملك نفسه يثق بها ويحترمها. يصعب عليّ تصديقهم، لكن لعلك تفاجئيني».

لمعت عيناه، ورأيتُ فيهما طيف ابتسامة، ولم أنس تلك النظرة قط. كان هذا التطلع هو الذي يؤرقني، التطلع إلى نظرة ثانية مثل تلك، والخوف من ألا أحظى باعترافٍ دافئ منه مرة أخرى. خوفٌ ينجرّف في بعض الأحيان نحو الغضب.

أمسكت بالورقة وجعدتها بقبضتي. حياة الممرضة جيونجسو على المحك، وأنا هنا قلقة حيال اعتراف أبي. بدا تفكيري تافهاً وأناثياً جداً. لا أريد أن أكون كذلك: فتاة خائفة جداً من فعل ما هو صحيح، خشية ما قد يظنه الآخرون.

وأنا بالفعل أعرف ما الصحيح، أميّزه بوضوح مثلما أميّز الشمس في السماء.

في الصباح التالي بدّلت بزّي زياً جديداً نظيفاً. في العادة أحمل زّي إلى القصر، وأبدّل ثيابي هناك، كي أتجنب اتساخ تنورتي على الطريق، لكنني اليوم لم أرغب أن يرى أحد جلدي المليء بالطفح. أخفيت النتوءات -بإنزال أكمامي إلى الأسفل، ووضع بودرة الجيوبن على وجنتيّ المتورمتين- وتسللتُ إلى خارج المنزل بخطواتٍ هادئة أمله ألا أوقظ أخي الصغير، ثم استقبلت الصباح الباكر. خيم الضباب الأبيض على الطبيعة المحيطة، وملأت رائحة البراعم الخضراء فتحات أنفي، الشتاء على وشك الرحيل.

أمسكتُ بحاشية تنورتي، وركضتُ على الطريق كي أخفف من توتري. ركضتُ حتى شعرت بأن رئتيّ تحترقان، وجبيني مرصعُ بالعرق. وصلتُ إلى باب القلعة في لمح البصر، وفي منتصف طريقي نحو القصر لمحتُ جيون تسير، وكثفها مضمومتان ممسكةٌ بحقيبة تنقلها.

ناديتها: «جيوناها!».

جفلتُ جيون وارتجفتُ، فسقطت حقيبتها، وشحب وجهها. «أوه، هذا أنت!»، خرجتُ تنهيدة ارتياح منها وهي تضع يدها على صدرها: «لقد أخفنتي لوهلة».

التقطتُ الكيس القطني، الذي أعلم أنها تضع زيّها فيه، وأعطيته لها. «ما الأمر؟».

«لم أعد أستطيع النوم جيداً»، ثم وجهت نظرها إليّ وأكملت: «لم أحظُ بفرصة للتحدث معكِ في القصر منذ يومين. أردتُ أن أسألك كيف حالك بعد جرائم القتل. أخبرني ابن عمي بأن ما حدث لأولئك الفتيات مروّع».

الدفع الذي شعرتُ به عند رؤيتي لجيون تحوّل على الفور إلى برودة، وحلّت محله ذكرى إيوجين والقرار العاجل الذي ينتظرني. يصعب عليّ تصديق أن طريقي تشابك مع طريقه، الشاب الذي تحدثت عنه جيون معي لسنوات. ومع ذلك، فإنها لم تشر إلى إيوجين باسمه قط. إنها ابنة غير شرعية، ولذلك كانت دائماً تشير إليه بـ «ابن عمي» أو «السيد الشاب سيو» أو «المحقق سيو»، منذ أن جاء ليعيش مع والدها ليدرس في العاصمة.

سألتني جيون: «ما الأمر؟».

لا بد من أنني حدّقت إليها بانشدها، سألتها: «ابن عمك هو سيو إيوجين، أليس كذلك؟»، ما زال جزءٌ مني لا يصدّق الأمر: «هذا الذي وصفته بالعبقري المتفرد؟».

أومأت جيون برأسها إيجاباً، ونحن نشقّ طريقنا نحو القصر. «هل التقيته؟ لعلك رأيته ذلك اليوم في الهيمينسيو. لقد عاد للتو من سفر طويل». هزت رأسها: «أظنه كان يحقق في أمر ما في الريف، فعندما وصل كان يرتدي ملابس شخص محتاج».

أجبتها: «لكن...»، ما زلت لم أتمكن من تجاوز صغر سنه ونار الغيرة: «ما يزال صغيراً على أن يكون جونجساجوان».

قالت جيون مستنكرة: «المحقق السابق كان في الواحد وعشرين من عمره وحسب، المحققون في العادة شباب، لا أحد يهتم لأعمارهم ما داموا من عائلة جيدة».

التزمتُ الصمت، وانعقد حاجباي بينما أحاول أن أستوعب كيف يمكن لشخص في الثامنة عشر أن يقود تحقيق شرطة. فور وصولنا إلى بوابة القصر، أبرزنا بطاقاتنا، وسُمح لنا بالدخول.

قالت جيون: «سأذهب إلى المكتبة بعد العمل»، بدأ اللونُ يتسلل عائداً إلى وجنتيها، لم تعد تبدو مثل الشبح الآن. «إذا رغبتِ يمكننا الذهاب معاً؟».

عندما كنا نخدم أنا وجيون في الهيمينسيو، كنا نقضي أوقات الاستراحة في مكتبة السيد جانج؛ مكاننا المفضل والمكان الذي تهرب إليه جيون كلما ازدادت الأيام قتامةً.

«أمل أن أحصل أخيراً على نسختي من...»، تلفتت جيون حولها، ثم همست: «قصة أونيونج».

ارتسمت ابتسامةٌ باهتة على شفتيّ. تدور هذه القصة حول علاقة حب محرّمة بين سيدة من سيدات القصر وطالب شاب. منذ أن دخلنا أنا وجيون القصر، وهي تقضي كل وقتها تبحث عن نسخة منها.

ارتسم طيفٌ من الخوف على ملامح جيون، وتحولت ابتسامتها إلى رجفة متوتّرة: «لكن من جهة أخرى... لعل قصة أونيونج ليست أنسب ما يُقرأ في هذا الوقت. أظن أنها ستذكّرني بسيدة القصر المقتولة. ماذا كان اسمها مرةً أخرى؟ سيدة البلاط أهني؟»، تلعثم صوتها وهي تنظر نحو الأعلى.

حينها شعرتُ بعينين تراقباننا.

الطبيب نانشين واقفٌ على مسافة أماننا، حاجباه منعقدان في عبوس، ويداه مضمومتان في أكمامه، بينما ينتفخ ثوبه بفعل النسيم البارد. لوهلة خفتُ أن يكون سمعنا، وسيوبّخنا إما للتحدث عن الكتاب الفاضح، وإما للتحدث عن حادثة الهيمينسيو. لكن بعد ذلك، بدا لي أنه مضطربٌ أكثر منه منزعجٌ.

«يا ممرضة هيون»، لفظ اسمي بنبرة ثقيلة لا تنذر بخير. تشنّجتُ كتفائي فوراً: «السيدة هيجيونج ترغب في التحدث إليك في سكنها».

أردتُ أن أسأل: لماذا؟ لكنني تعلّمت أن الإنسانَ في القصر عليه أن يعض لسانه ويطيع، على المرء ألا يسأل أسئلة أبدًا.

ضغطتُ على أصابعي بقوة، وأحنيت رأسي: «نعم، يا يويون-نيم». «لكن من الأفضل أن تنتظري، لا تذهبي بعد». أَلَقْتُ نظرته القلقة بثقلها عليّ، بينما بقيتُ أنا منحنيةً. «ولي العهد هناك، ومن الحكمة ألا نصادف السيجا-جيوها». ثم أضاف بصوتٍ خفيض: «أنتِ تشبيهن كثيرًا أخته المتوفية، الأميرة هوايوب. قد... يزعجه ذلك».

لم تكن المرة الأولى التي يعلّق فيها أحد على تشابهنا. لقد أشارت السيدة هيجيونج نفسها، قبل يومين، إلى أنني أشبه أخت ولي العهد المتوفية.

بينما أنتظرُ جيون وهي ترتدي زيتها، حدّقتُ إلى بركة من الثلج الذائب، تموّج انعكاسي على سطحها، أو لعله انعكاس الأميرة هوايوب-ملامح دقيقة في وجه مغطى بالبودرة البيضاء، يتباين بشكل حاد مع عينين داكنتين، مهدبتين برموش بسواد منتصف الليل، وشعر بلون ليلة لم يسطع فيها القمر.

لكن ما المشكلة إذا كنت أشبه الأميرة هوايوب؟ لماذا عليّ أن أخاف من ولي العهد؟ ما دامت أخته السابعة هي المفضّلة لديه، أليس هذا أمرًا جيدًا؟ سمعتُ ذات مرة أن الأميرة هوايوب كانت الرفيقة الحقيقية الوحيدة لولي العهد. فمن بين جميع أبناء الملك كانا الأكثر تعرضًا للكراهية، ولا بد من أنهما ترافقا في بؤسهما المشترك.

بعد لحظة تردد، تجاهلتُ نصيحة الطبيب نانشين، وبدلاً من الانتظار التقطتُ صينية فارغة من غرفة تخزين قريبة، حتى لا أبدو كأنني أتجول

بلا هدف. قد تكون هذه فرصتي الوحيدة كي أرى ولي العهد. أردت أن أرى بنفسني:

من هو الأمير الذي يتهامس الكل حوله؟

هل هو قاتل، أم شاب بريء تُشوّه سمعته؟

خرجتُ مسرعةً من العطاراة الملكية، وشققتُ طريقي نحو سكن السيدة هيجيونج، المقابل للجبل الحارس الذي يلوح في الأفق من بعيد، ذلك المراقب الصامت لكل ما تخفيه هذه الجدران. حالما دخلتُ المُجمّع، وقفتُ إلى جانب أحد الأعمدة أنتظر. مرّ الوقت بطيئاً، ثم رأيته... الحرير الأزرق اللامع، ثوبٌ يتألق بتنانين فضية.

ولي العهد.

بقيتُ ساكنةً مثل الحجر، وأنا أراقبه، لا أقدر أن أرمش، أو أتنفس، غير قادرة على تحريك عينيّ بعيداً عنه، إنه شابٌ وسيمٌ له بشرة بيضاء وبنيان قوي، وعينان سوداوان تخلوان من أي تعبير. ترمقُ القصر الفارغ من حولها. تحرّك برشاقة غزال، لكن بُنيته بُنية جنرال عسكري. حاولت أن أتخيله يمسك سيفاً، ويذبح نساء الهيمينسيو، لكن على العكس وجدتُ نفسي أستحضر أساطير الآلهة والخالدين، القصص التي تتناقلها الأجيال منذ بداية الزمان.

استطعت أن أفهم إلى حد ما لماذا لم يجرؤ القائد سونج على التحقيق، لماذا لم يجرؤ على إزعاج السيجا-جيوها. بينما أُحدّق في سموّه وهو يمر بجانبني، ومرافقوه يتبعونه، شعرتُ بأنني أراقب رجلاً هو المملكة بنفسها. ليس هناك من يمكن مقارنته بطول وعرض وارتفاع سموّه. هو مستقبلنا.

فجأةً، ركض جرو خارجًا من مقر السيدة هيجيونج. تدرجت كرة الفرو الصغيرة عبر الطين، وانزلقت في التراب، ثم تعثرت في ثوب سموه مُصدرةً نباحًا قويًا.

تجمّد المرافقون، وتشنّج ظهري عندما انحنى ولي العهد ومد يده، توقعت أنه سيسحق هذا المخلوق بعدما لوّث حاشية ثوبه. لكن على العكس تحوّلت عيناه السوداوان الخاليتان من التعبير إلى عينين حانيتين، وهو يرفع الجرو أمامه، ولم ينزعج عندما تلقى لعقةً على فمه. تدفّق صوت سموه العميق الرقيق كماء النبع قائلاً: «الجو بارد في الخارج يا جونا. يجب أن تعود إلى الداخل أيها الصغير». أشار إلى إحدى مرافقاته، وأعطاهما الجرو: «أعيديه إلى أمه».

ثم نهض على قدميه واختفى عبر البوابة. اجتاحتني موجةٌ عارمة من الفضول، موجةٌ سحبني إلى خارج المُجمّع. إن لطف ولي العهد مع الحيوانات يعني بالتأكيد أنه لطيفٌ أيضًا مع بني البشر...

حافظتُ على بضع خطوات بيني وبين الأمير، ولحقتُ به وبطابور مرافقيه، وهو يشقُّ طريقه إلى قلب قصر تشانجدوك، وعندما وصلوا إلى بوابة جناح كبيرة، تسللتُ إلى مؤخرة الطابور كي يسمح لي الحراس بالدخول من دون تدقيق.

حين دخلتُ رفعتُ رأسي أخيرًا ونظرتُ حولي، مبنى طويل يلتف حول فناء مربع، مبنى به صفوف من الأعمدة الحمراء، ونوافذ ذات لون أخضر مزرق، وسقف مموج مثل تنين أسود له بطن أخضر. ساد هدوء مهيب داخل المساحة المسوّرة. ثم رأيت اللافتة المعلّقة أسفل الإفريز، فتجمّد الدم في عروقي.

قاعة هويجيونجنانج- مكتب الملك.

همس صوتٌ محذّرًا داخل رأسي: يجب ألا تكوني هنا.

نظرتُ خلفي، واصطدمتُ عيناى بالحراس الذين يرافبوننى. يجب أن أغادر الآن قبل أن ألفتُ الكثير من الانتباه، ومع ذلك لم تقو قدمائى على الحركة. أدركتُ أنني أنتظر شيئاً يدفعنى كي أستجمع شجاعتى وأتقدّم أعمق نحو الفناء. أردتُ أن أعرف بشدة ما الهمسات التى تتردد بين أرجاء مكتب الملك. لعل هذا المكتب هو مركز كل الأسرار، وربما سأعرف الآن أخيراً ما إذا كان التحقيق - فى هذا المكان وبين هؤلاء الناس - قضية خاسرة.

أخذتُ نفساً عميقاً، وحاولتُ أن أبذو متماسكة.

مشيتُ ببطءٍ، بلا هدف، أستمعُ لأي إشارة.

حطَّ غرابان على الإفريز المتوهج، وملأ نعيقهم العالى الفضاء. أصدرتُ أشجار الصنوبر صريراً بفعل الرياح. ثم سمعتُ أصواتاً، فଲحقْتُها إلى الفناء الخلفى، حيث اصطفت دزينة على الأقل من النوافذ المغطاة بأوراق الهانجى على طول الجدار. ثمة فتحة صغيرة تُقبَّت فى إحداها، ثقبٌ صنعه جاسوس؟ اقتربتُ كي ألقى نظرة.

فى الداخل صفوف من الطلاب الجاثين، مرتدين أثواباً حريرية، ورؤوسهم منحنية، كان ولى العهد جاثياً بينهم. فى الجانب الآخر من الغرفة، جلس الملك بلحيته البيضاء، وقبعته السوداء، وثوب التنين الأحمر، على منصة منخفضة. جلس منعزلاً، وراءه خلفية مرسومٌ عليها الشمس والقمر وقمم الجبال. لوحةٌ ترمز إليه، فقد كان هو الشمس والقمر والجبال.

- قرأتُ هذا وأنا صغير، وما زلتُ قادراً على تذكره.

أمسك الملك كتاباً مخاطاً على طريقة الغرزات-الخمس. ثم أكمل: «ومع ذلك، أنت لا تستطيع تذكر سطر واحد منه حتى، لذلك لا يمكنك شرحه. إذا كنت تريد أن تفهم، يجب أن تحفظ».

- أنا لست الابن الذي كنت تتمنى أن أكونه، وأنا آسفٌ على ذلك.

كان صوت ولي العهد هادئًا ورتيبًا، يكاد ينطقُ بلا نبر، ووجهه جامد بلا تعابير: «كما أنني كنت مريضًا جدًّا هذه الأيام بحيث لم أقدر أن أدرس يا أباماما».⁽¹⁾

أطلق الملك يونغجو تنهيدةً ضجرة، نظراته تحوم فوق الطلاب: «أنت تكذب عليّ دائمًا. ببساطة أنت لا تُحِب أن تدرس». كانت كلمات جلالته موجعةً، تمامًا ككلمات أبي، تشبهها جدًّا؛ مثقلةٌ بخيبة الأمل، فضاقت صدري وسرى شعور بالسخونة في ظهري.

أكمل الملك حديثه: «مرضك لا يمنعك أبدًا من لعب الألعاب العسكرية في الحديقة المحرمة، وبقية وقتك تقضيه مثل الطفل ترسمٌ». رمى كلمته الأخيرة، ثم أشار بيده: «أحضروها هنا!».

هرول خصيُّ مرتبك حاملًا صينية عليها ورقة.

«رغم امتناعك عن محاضراتك بحجة المرض، علمتُ أنك بدلًا من الدراسة قضيتُ الوقت ترسم. أنت... الحاكمُ المستقبلي لمملكة تعاني تحتاج إلى أب حكيم...»، سكتُ جلالته أمام اختناق صوته الشديد، انعقد حاجباه، وكسا الاضطراب وجهه: «أنت بدلًا من الدراسة قضيتُ وقتك ترسم كلابًا؟».

انتزع الملك الورقة، ومزَّق اللوحة إلى نصفين، سرتُ قشعريرةً في جسدي عند سماعي صوت تمزيق الورقة الحاد. قطعةً قطعةً، تحوَّلت اللوحة إلى فوضى ممزقة. بقي ولي العهد جاثيًا، ظهره متصلبٌ وأطراف أذنه حمراء.

زمر الملك: «خذها بعيدًا عن وجهي».

(1) لقبٌ يستخدمه الأبناء الملكيون لمخاطبة والدهم. (الترجمة)

جمع الخصى القطع ورماها من النافذة. طيّرت الرياح بعض القطع باتجاهي، فوضعتُ صينيّتي جانبًا، والتقطتُ حفنةً منها، جمعتُ القطع مع بعضها بعضًا بحذر. وبينما أفعل، ظل صوت الملك يرن في أذنيّ.

- أنت ابني، ومع ذلك لا تشبهني في أي شيء. لقد عملتُ جاهدًا كي أكون جديرًا بالعرش، كي أصبح ملكًا جيدًا للشعب، بينما تعيش أنت في راحة كبيرة، مدللٌ ككلب هجين. دومًا منصرفٌ عن دراستك، بعكس ابنك أنت، الذي يستيقظ في الفجر، ويدرس حتى وقت متأخر هنا إلى جانبي مباشرةً، قادرٌ على تذكر كل شيء تعلمه من دون أن يتلعثم في كلامه كالأحمق. كيف تكون أقل قدرةً من طفل في السادسة من عمره؟ سيصبح هو ملكًا أفضل منك.

بقي ولي العهد جانجهيون هادئًا، عيناه محمرتان مثل اللهب. لم تفلت من بين شفّتيه كلمة دفاع واحدة.

طقطق الملك بلسانه بحدة: صوت ازدراء مطلق.

- تتيح التعاليم الكونفوشية للمرء أن يكبر على الفضيلة، وأن يغرس الخير الإنساني.

أغرق طيف الانهزام ملامح الملك: «ومع ذلك، أنت لا تدرس طرق كونفوشيوس، وبالتالي لا تكبر على الفضيلة. ولأنك لا تزرع الفضيلة تعاقب السماوات الشعب بهذه المجاعة المستمرة...».

همس ولي العهد: «اليوم ذكرى ميلادي يا أباماما».

توتّر الجميع. أستطيع أن أشعر باتساع أعينهم، وهروب الدماء من وجوههم، وتسارع نبضهم، أستطيع حتى أن أشعر بخفقات قلوبهم الفزعة في صدري أنا.

أكمل ولي العهد بصوتٍ متهدج: «كل سنة في اليوم الذي وُلدت فيه، تستدعيني إلى هنا لتوبّخني أمام موظفيك. لا أقدر أن أقضي اليوم في سلام. أنا ابنك، وم... مع ذلك...»، تمهل ليهدأ: «ومع ذلك، لا شيء أفعله يرضيك. كيف يمكن أن يحتقر أب ابنه الوحيد إلى هذا الحد؟».

اهتزّت لحية الملك البيضاء، وتغصّن وجهه بالغضب. ذكّرني ذلك بأبي كثيرًا، فأخذتُ الصينية وابتعدتُ. تركتُ قصاصات الورق حيث وقعت، القصاصات التي كانت ذات مرة لوحة ألوان مائية رُسمت بمهارة، لوحة لكلبٍ أب، ظهره مدارٌ لجرويه اللذين يصرخان طلبًا للاهتمام. فور خروجي من المُجمّع مبتعدةً عن الحراس المتمركزين عند البوابة، أخرجتُ نفسًا مرتعبًا وأغمضتُ عينيّ. الآباء مخيفون.

أعرف كيف أحافظ على هدوء قلبي في مواجهة الموت والاحتضار، وأمام صراخ المرضى، ومع ذلك كلمة واحدة قاسية من أبي تحوّلني إلى طفل هش. أمامه، لم أعرف قط كيف أمنع نفسي من البكاء -ذلك النوع من البكاء الذي يجعلني أنتحب وسط كومة من الرعشات والمحاولات اللاهثة للكلام- مهما استاء من رؤيتي في تلك الحال. أردتُ بشدة أن يتقبّلني.

وكرهتُ هذا الشعور وتمنيته أن يزول.

أخيرًا وصلت إلى الأبواب الشبكية المغطاة الخاصة بغرفة السيدة هيجيونج، شعري غير مرتّب قليلًا، وزيتي رطب بسبب العرق. فتحت اثنتان من سيدات البلاط الباب لي.

جنّوت أمام سموّها آملّة ألا تلاحظ غيابي الطويل. ارتدت ثيابها بأناقة كعادتها، وجلست على حصيرة أرضية، وتنورتها الحريرية الثقيلة مُجمّعة حولها. وجهها هزيل مُتعب، ولكنه يبدو هادئاً.

قالت: «سمعتُ أنكِ قارئة نبض ممتازة».

تبعثر عقلي وأنا أستقرئ ما وراء كلامها، أحاول أن أفهم لماذا استدعيتني. بالكاد استطعت أن أجيبها: «أنا... أنا لي الشرف أن يُقال عني ذلك».

- دعيني أر بنفسي.

رفعت ذراعها كاشفةً عن رسغها العاري الذي تتشعب فيه عروق زرقاء باهتة.

أخذت بضعة أنفاس هادئة كي أخفف ارتباكي. اقتربت منها وأنا أجر ثقلي على الأرض، مددتُ يدي واضعةً ثلاث أصابع على معصمها كي آخذ نبضها، تشون، جوان، شوك: ثلاث نقاط مختلفة تعطيك ثلاثة خيوط مختلفة لقصةٍ واحدة، كأن للنبض لغته الخاصة.

بقيت صامتةً منحنيةً فوق رسغها، أُتيح لحساسية أناملِي أن تستمع إلى قصة نبضها. في بعض الأحيان تكون نبضاتها زلقة، متقطعة، مترددة، فارغة. قراءة نبضها تشبه الاستماع إلى سر، وفك شيفرته. وكلما استمعتُ فترةً أطول ازدادَ فهمي لسموّها. إنها تختلف عمّا تُظهر لنا. تقدر أن تكذب على الجميع، لكن نبضها لا يكذب. كان نبضها مشدوداً بالنسبة إلى امرأة في الثالثة والعشرين من عمرها وحسب. إنها تحمل نبض امرأة خمسينية منكوبة وقلقة، معرضة لأن تجتاحها يوماً موجات من الأفكار الثقيلة؛ الثقلُ يسحقها.

أبعدتُ يدي ببطء، وبينما نظراتها تحدّق إليّ بلا توقف، تجرأتُ على قول الحقيقة: «القلقُ يعترِك كل يوم يا سيدتي». أنا أعرف السبب، بعد

رؤية ما حدث بين الملك والأمير، أستطيع أن أتخيل مدى الخوف الذي يجتاح السيدة هيجيونج كلما التقت زوجها، لا شك أنها من سيتلقى غضب الأمير ونوبات انفعاله. أكملت: «تشعرين بأنك محاطة من جميع الجوانب، وكثيرًا ما تشعرين بأنك مُثقلة».

كأنني لمستُ جرحًا مؤلمًا، ترقرتُ عينا السيدة هيجيونج، وانحدرتُ دمعة إلى أسفل وجنتها، قبل أن تبعتها سريعًا. سألتني وهي تخفي وجهها: «هل أخبرتِ أحدًا بأن الأمير كان غائبًا في تلك الليلة؟».

سرت ارتعاده بداخلي: «بالتأكيد لا يا سيدتي».

راقبتني فترة طويلة: «هل تظنين أن الممرضة جيون فعلت؟».

هزرتُ رأسي بعنف: «لا يا سيدتي، نحن نخاف جدًا على حياتنا، فلا نفصح عن شيء كهذا».

«أصدقك»، بقيتُ ثابتةً وشففتها شاحبتان: «منذ وقت قريب، أمسكتُ إحدى سيدات البلاط التابعات لي بواشيّة كانت تتجسّس على الأمير لصالح مدام مون. اسمها الممرضة آرام، هل تعرفينها؟».

همستُ: «لا يا سيدتي، إنها على الأرجح تعمل في الأيام التي لا أعمل بها في القصر».

- فهمتُ.

انتظرتُ وأنا أعصر يديّ الباردتين.

- حسنًا، لقد استجوبتُ الجاسوسة بالجلد على ربله رجليها. واعترفتُ لي أن مدام مون تتصيّد معلومات حول مكان وجود ولي العهد في ليلة المذبحة. لا أعرف حتى ما الذي جعل تلك المرأة مون تشك في غيابه.

عضضتُ شفّتي السفلى، ثم شعرتُ بما يكفي من الجرأة كي أسألها: «ألتمس العفو منك يا سيدتي، لكن لماذا تعتقدين أن مدام مون مُصرّة بهذا الشكل؟».

أطلقت السيدة هيجيونج تنهيدةً مُتعبة: «ما دامت مُصرّة على تشويه سمعة الأمير، كي تؤجج الملك على ابنه. إنها محظيّة جشعة مصرّة على أن يكون جلالته بالكامل لها هي. القصرُ يعجُّ بجواسيسها، سيدة البلاط أهني كانت إحدى جواسيسها أيضًا».

فلتُ مني شهقةً.

دلّكت السيدة هيجيونج صدغيها، ثم نظرتُ إليّ بعينين حزينتين قائلةً: «لا بد من أنكِ مُحطّمة من أجل معلّمتك».

ما زال رأسي يدورُ من المعلومة التي شاركتها معي للتو: سيدة البلاط أهني جاسوسة؟ لكنني تماكنت نفسي، وأجبتها أخيرًا: «نعم يا سيدتي، أعرف أنها بريئة».

- بالتأكيد بريئة. الممرضة جيونجسو عزيزة على عائلتي. أختي الصغرى كبرت بلا أم، محبّطة ومريضة. اقترحت الممرضة جيونجسو أن تتعلم أختي القراءة في صغرها، مقتنعة بأن العقل السليم سيؤدي إلى جسد سليم، وثبتت صحة كلامها، وأنا احترمتها كثيرًا.

أحنيّت رأسي لا أعرف ماذا أقول.

- لذلك، عندما علّمتُ أن اثنتين من طالبات الممرضة جيونجسو ستلتحقان بالقصر، استدعيتها وسألتُ عنكِ وعن جيون. لقد مدحتكما، خاصة أنتِ. قالت إنكِ مثل طائر كركي بين الذئاب.

أدارت نظرها نحو النافذة الشبكية، وعقدت نظرة إصرار على حاجبيها: «أنتِ ذكية وقوية الإرادة، وأنا على يقين بأنكِ تهتمين لأمر الممرضة جيونجسو كثيرًا. أعرفُ أنكِ تحققين في جرائم القتل».

غاصت معدتي بين رجليّ من الخوف، وشعرتُ كأنني أسقط من علو؛ فأصابني الدوار. «يا سيدتي، أنا لن أجرؤ...».

- أبلغتني جاسوسة مدام مون بذلك أيضًا. قالت: إن المدام جندتك لتحققني بشكل خاص.

هزرت رأسي نفيًا، واندفعتُ قائلةً: «لقد وافقت وحسب، لأنني حقًا أبحثُ عن إجابات. لم أكن أنوي الإفصاح لها عن أي معلومات مهمة...». قالت بهدوء: «طائر كركي بين الذئاب، أعرفُ أنكِ هكذا، ليس لديك أي نية سيئة تجاهي. أمل فقط أن تكوني مخلصًا بالقدر نفسه لولي العهد».

غرزتُ أظفاري في راحة يدي: «بالتأكيد سأكون يا سيدتي»، وعניתُ ما قلته، ومع ذلك حام سؤالٌ في الأفق حولي: لكن ماذا لو كان هو القاتل؟ قالت كأنها تسمع ما يجول في نفسي: «لقد سمعتُ الإشاعات، هذا المنشور المجهول المنتشر الذي يتهم ولي العهد بالقتل، وبأنه يجب محاكمته...».

تلا ذلك سكتةً، وبينما كنت أنتظرُ، سرى الذعر تحت جلدي.

- لكن أتعرفين يا ممرضة هيون؟ الكاتب المجهول لا يعرف ما الذي يطلبه. محاكمة الأمير تعني تجريم العائلة بأكملها... حتى ابننا الوحيد، الحفيد الوحيد للملك يونججو. لا المدان ولا ابن المدان يمكن أن يرث العرش. وبالتالي لا وريث. لا مستقبل. الإدانة من شأنها أن تطيح بهذه السلالة.

مدت يدها، ولمست يدي، فامتلاً صدري بشعور مُثقل: «لكنني لن أحاول إيقافك».

قلت بصوتٍ بدا لاهثاً: «نعم؟»، إنها من العائلة المالكة، وفي وسعها أن تأمرني بالقفز من على جرف، ولا أقدر إلا أن أطيعها.

أكملت: «نحن نساء، ولا شيء يستطيع منعنا عن فعل ما نريد إلا الموت. هذا ما تغرسه فينا القوانين والقيود التي تحكم حياتنا: الإصرار والدهاء. أمثالك لن يطيعوني، ستخبريني أنك تنوين أن تبقي جامدة مثل صخرة، ومع ذلك أعلم أنك ستتحركين من ظل إلى ظل في الخفاء مثل السمكة». ثم خفضت صوتها حدَّ الهمس: «الآن انظري إليّ، واسمعيني جيداً».

ففعلت. رفعت نظري نحو عينيْن صادقتين، صادقتين جدّاً لدرجة أن أياً ما كانت على وشك أن تقوله يجب أن يكون هو الحقيقة المطلقة.

- عندما عاد الأمير جانجهيون إلى القصر تلك الليلة، لم يكن ثوبه ملطخاً. لم أرَ أي دماء على الأمير ولا حتى خدشاً. أريدك أن تصدقيني، إنه بريء يا ممرضة هيون.

كادت تفلت مني تنهيدة. لم يكن عليه أي أثر دم، هذا مستحيل إذا كان هو القاتل حقاً. لقد رأيتُ الجروح الفوضوية، واللحم المغروز تحت أظفار أحد الضحايا، وكتلة الشعر في يد أخرى. لا بد من أن القاتل يحمل علامات واضحة تدل على العنف. الأمير حقاً بريء.

- يمكنك أن تأتي وتحدثني معي في أي وقت تريدين يا ممرضة هيون. وفي الوقت الحالي، افعلي كل ما بوسعك لإنقاذ الممرضة جيونجسو، إنها امرأة جيدة في حاجة إلى صديقة جيدة. كل ما أطلبه أن تفعلي ذلك من دون أن تزعجي أربعمئة عام من التاريخ.

اضطربت معدتي بشكلٍ غريب بعد أن غادرتُ مقر السيدة هيجيونج، كأنني طائرٌ خرج للتو من القفص. أدركتُ أن تفكيري في قوانين القصر قد ألجم لساني، ومنعني من مساعدة المحقق الشاب. لكن السيدة هيجيونج من العائلة المالكة، هي القصر، وقد سمحت لي بالبحث عن الحقيقة. أما بخصوص الأعوام الأربعمئة من التاريخ، فأنا لا أكرث. ما الذي يمكن أن أفعله حتى أتسبب في إحداث الفوضى؟ كيف لخدمة أن تظنَّ بأنها تستطيع إزعاج الكون؟

فلتتُ مني ضحكةٌ جامحة وأنا أُسرِع بالعودة إلى العطارة الملكية. يمكنني أن أساعد في اكتشاف الحقيقة من دون أن تنهار حياتي من حولي، وإذا عملتُ بما يكفي من التكتّم، فإن أبي لن يعرف أيضًا.

شعرتُ بخفة في قلبي بقية اليوم، وقد كان يوم عمل هادئًا أيضًا. ليس عندي سوى بعض أفراد العائلة المالكة، والمحظيّات المرضى الذين يجب أن أذهب إليهم، ولذلك كُلفت بالمساعدة في قطع وتجفيف النباتات العشبية. ثمة الكثير منها هنا، فسلال الحديقة الطبية ممتلئة عن آخرها بالنباتات الورقية الخضراء ذات الجذور المغذية. آلمني معصامي في نهاية اليوم بسبب الساعات التي قضيتها في تقطيع النباتات، وتعليقها كي تجف. هذا الألم الحاد لم ألحظه في أثناء العمل، فقد انشغلتُ بالتفكير في التحقيق، وفي أنني لم أر الطبيب خون طوال اليوم، وهو

المُشتبه به الأبرز في هذه القضية. وبينما الممرضات والأطباء يدخلون إلى العطاردة ويخرجون منها، كنت أسألهم عن مكان الطبيب خون، لكن أحدًا لم يره، لم يأت للعمل ذلك اليوم.

فور انتهاء مناوبتنا، مشيتُ بهدوء مع جيون إلى خارج القصر، وبقيتُ أفكر في الطبيب خون طوال الطريق إلى المكتبة. أردتُ أن أسأل إيوجين عما عرفه، وكنت بحاجة إلى إعطائه جوابي أيضًا. ولكن إن كنت سأساعده بسرية ومن دون أن يدري أحد، فعليّ أن أفعل ذلك بتكتم. فعليّ أستطيع أن ألتقيه في مكان ما خارج القلعة، لكن عليّ أولًا أن أوصل الرسالة إليه... وابنة عمه تقف هنا أمامي مباشرة.

لسبب ما، شعرتُ بسخونة تتسلل إلى وجنتيّ، وأنا أحاول أن أفتح سيرته: «جيونا...».

- إيونج؟⁽¹⁾

تنحنحتُ: «أنا... أحتاج إلى التحدث إلى ابن عمك».

رمقتني وعلى شفثتها نصف ابتسامة مرتبكة: «ابن عمي؟ أتعرفان بعضكما بعضًا؟».

دلّكتُ رسغي، فعلتُ أي حركة كي أبقى نفسي منشغلة: «إيونج».

لم تُجِبي، دخلنا إلى المكتبة واطلعنا على الأرفف المفتوحة المكسدة بكتب مخيطة على طريقة الغرزات-الخمس، وعلى الرغم من أنها لم تُجِبي فإنني استطعت أن أشعر بعقلها يدور، ويحاول ملء الفراغات. تنحنحتُ بارتباك، وقلّبتُ بين بضعة كتب، ثم أعدتها مرةً أخرى إلى الرف. لا شيء أثار اهتمامي، عقلي مشغول جدًا.

سألتني جيون فجأة: «هل أنتما معجبان ببعضكما بعضًا؟».

(1) الطريقة المحكية - غير الرسمية - لقول: 'نعم'. (الترجمة)

قلت مذعورة: «لا، لا، لا، لقد التقينا في الهيمينسيو، وثمة بضعة أمور متعلقة بال... المذبحة... أرغب في التحدث إليه عنها. سرًا. لا أريد أن يعرف أبي». نظرتُ نحو باب المكتبة المفتوح، نحو السماء التي ما زالت ساطعة وقلت: «هل تسألينه إذا كان يستطيع مقابلتي قبل حلول الليل؟».

طوت ذراعيها حول كتاب، واعتلت وجهها ابتسامةً مشاغبة: «يمكنني أن أتحدث إليه، وأخبره بمكان يلتقيك فيه. لكنني يخطر لي الآن أن ابن عمي لم يقع في الحب من قبل، لم يلتقِ بنصفه الآخر قط. لكن أنتِ... إن تزوجته، هل ستصبحين زوجة ابن عمي؟».

كدتُ أختنق من المفاجأة، رغم أن كلامها لا يجب أن يفاجئني على الإطلاق، جيون رومانسية، وعندما لا تدرس فإنها تلعب دور الوسيطة بين المحبين.

أضفتُ بسرعة: «لن يحدث شيء كهذا، أؤكد لك. يمكنك أن تنضمي إلينا، يمكننا البحث عن الحقيقة معًا». بدا هذا التفكير فجأة مُغريًا جدًا. «نعم، ينبغي أن تنضمي إلينا! يمكننا أن نلتقي في الخان، نحن الثلاثة. وفور انتهاء المناقشة، يمكننا أن نتناول أنا وأنتِ وجبتنا معًا. سأدفع ثمنها عنك، ثم يمكنكِ المبيت في منزلي، وندرس معًا للامتحان القادم...»، خبا صوتي مرتبكا أمام صمت جيون المطبق.

هَمَسْتُ: «لن أفعل، لا تطلبي مني أن أنضم إليكما».

طرفتُ بعيني: «لكن لماذا؟ إنه ابن عمك، والمرضة جيونجسو معلمتك، أنتِ تحبينها».

بقيتُ جيون صامتةً، وذراعاها ما زالتا مطويتين، بيد أنها بدت الآن كأنها تحاول أن تلف نفسها بقوة أكبر، كأن الهواء صار باردًا جدًا فجأة، وقالت: «لا أريد أن يكون لي أي علاقة بالتحقيق».

الخوف واضحٌ في عينيها، سألتها بلطفٍ: «ماذا حدث؟».

تقطعُ صوتها وهي تنظرُ بعيداً، ثم قالت: «لقد كذبتُ عليكِ، لم أنتظر خارج الهيمينسيو. على ما يبدو وقعتُ سرقة في وقت سابق من ليلة المذبحة، وركض رجال الدوريات قائلين إنهم عثروا على الرجل أخيراً. تشتت الحراس، فتسللتُ كي ألحق بكِ، ورأيتُ الجثث المغطاة. كان عليّ أن أتركهنّ، لكنني... رفعتُ الغطاء ونظرتُ». ابيضّ وجهها، شحبَ مثلما كان شاحباً هذا الصباح. الآن فهمتُ لماذا بدت خائفة إلى هذا الحد. «أياً كان من قتل أولئك النسوة... فهو ما زال حراً طليقاً، وإذا اكتشف أننا نبحت عنه... فسوف نجدُ أنفسنا نحنُ المقتولات تحت أغطية الحصير». «جيوناه»، حاولتُ أن أنظر إلى عينيها، لكنها تجنبت النظر إليّ: «لهذا السبب أعتزم أن أحقق بسريّة تامة. لا داعي لأن يعرف أحد بذلك. يمكننا...».

هزت رأسها رافضة: «لا أريد أن يكون لي أيّ علاقة بهذا التحقيق. أنا أسفة إذا ضايقتُ ذلك».

حدّقتُ إلى صديقتي... صديقتي الوحيدة. لقد قضيتُ سنوات أنظر إلى جيون، إلى وجهها المدور وذقنها الرقيق، إلى عينيها الساطعتين، وشفثتها دائمتي الابتسام. لقد فعلنا كل شيء معاً. لكنني تذكرتُ مرة أخرى أن هذا التحقيق ليس لعبة، ومهما كنا حذرين، سلامتنا ليست مضمونة.

«أنا لست متضايقة. على الإطلاق». مددتُ يدي وأمسكتُ بيدها؛ أصابعها باردة مثل الثلج، حتى إنني شعرتُ فوراً بالأسف؛ لأنني سألتها من الأساس. «لن أضغط عليكِ أكثر في هذا الموضوع. أعدكِ».

همستُ وهي تنظر إليّ أخيراً: «شكراً لك. مع ذلك، سأحدث مع ابن عمي، وسأنقل له رسالتك. لقد أخبرني أنه يعتزم زيارة جبل بوجاك

لاحقًا اليوم، كي يستجوب بعض أقارب مينجي ممن يعيشون هناك، على ما أظن».

فكرتُ: الممرضة الرابعة المفقودة.

- لعلِّي أخبره أن يلتقيك في مكان قريب من هناك.

هزرتُ رأسي، وما زلت ممسكةً بيدها: «تظاهري بأن هذه الرسالة ليس لها علاقة بالتحقيق».

أومأت برأسها: «سأتظاهر فقط بأنني...»، تمهلتُ، ثم نظرتُ إلى الكتاب الذي بين يديها؛ لقد اختارتُ كتاب «قصة تشونيهانج» من على الرف، قصة حب بين ابنة جيسينج وشاب من النبلاء. مرَّ طيفُ ابتسامةٍ خفيفةٍ على شفثيها، ثم أكملتُ: «بأنني أرتب مكانًا رومانسيًا لتلتقيا. سأخبره أن يرتدي أجمل ثيابه، وأكثرها ملائمةً للقاء تحت ضوء القمر». تورّد وجهي مجددًا، وامتدت الحرارة إلى أسفل عنقي وعبر صدري. لكنني كنت سعيدةً لرؤية ابتسامتها: «سأقابله الليلة تحت ضوء القمر إذن. ربما في جناح سيجيومجيونج».

همستُ وقد عاد البريق إلى عينيها: «جناح سيجيومجيونج، سأخبره بذلك».

- لا، لقد قلت ذلك من باب المزاح وحسب...

وضعتُ جيون الكتاب جانبًا وخرجتُ، خطواتها عازمة، لقد زرعتُ فكرةً سخيضةً في رأس فتاة أنفقت كل مالها على شراء كُتب الأدب الرومانسي.

كررتُ وأنا ألحق بها مسرعةً: «كنت أمزح وحسب».

عَبَرْتُ الجسر الصغير المقوَّس فوق جدول هونغجونشون، جدولٌ تملؤه الأحجار الكبيرة المسطحة أكثر مما يملؤه الماء، وعلى الفور لمحتُ سيجيومجيونج: جناحٌ له سقف أسود، يقع على سفح جبل بوجاك. في هذا المكان الأسطوري كان المحاربون يرتاحون لتنظيف سيوفهم في الجدول، وهنا يلتقي العشاق حتى لا يراهم أحد سوى الجبل والضفادع. مكانٌ سخيْفٌ لا يناسب اللقاء مع المحقق الشاب. كرهتُ أن أكون سخيْفة، ولكن جيون أوصلت الرسالة، وقد وافق على لقائي هنا قبيل الغسق.

أطلقتُ تنهيدةً، ما قد حدث قد حدث، لا فائدة من القلق حيال شيء لا أستطيع تغييره.

عندما وطأت قدميَّ الشرفة، أملتُ رأسي إلى الوراء. أحاطتني أعمدةٌ بُنيَّةٌ تدعم أفاريز مزخرفة، ومنمَّقة مطلية باللون الأخضر المُرَقق ومرسومة بالألوان الأساسية. هبَّت نسمةٌ خفيفة، فأخذتُ نفسًا عميقًا ملأ رئتي برائحة عشرة آلاف شجرة.

لا عجب أنني قرأتُ اسم جناح سيجيومجيونج كثيرًا في الأدب والأشعار. يختبئ الجناح تحت جبل مغطى بالغابات إلى جانب جدول مُتدفِّق يتلألأ تحت غروب الشمس، مكانٌ يلقي تعويذةً في عقل المرء فيرى أن كل أحوال المملكة على ما يرام؛ لا مجاعة، لا خوف، لا ألم، لا حزن، ولا يوجد إلا الماء والأرض والأشجار.

استمر هذا الشعور الرقيق الخفيف لوهلةٍ فحسب.

استندتُ على السور الشبكي المنخفض، وتغلغلت بداخلي فكرة: ليس كل شيء على ما يرام، والحقيقة ما زالت صعبة المنال حتى الآن. في طريقي إلى هنا، مررتُ على الهيمينسيو كي أتحدث إلى الممرضة أوكسون، لأرى ما إذا كان لديها أي معلومات. هزَّت رأسها نفيًا، وأوضحتُ

أنها قد سألت جميع من خطروا ببالها، لكن لا أحد يعرف إلى أين خرجت الممرضة جيونجسو في منتصف الليل، قبل بضع ساعات من مذبحة الهيمينسيو.

غرقتُ في أفكاري؛ فلم أنتبه إلى مرور الوقت، حتى سمعتُ وقع حوافر حصان من بعيد. التفتُ خلفي، الشمس في منتصف غروبها، تنيرُ السماء وتكسو الأرض المغطاة بالثلج ببريق ذهبيٍّ. ميَّزتُ الفارس المقترب بسرعة، إنه إيوجين.

اجتاحني رعبٌ غاصَّ إلى معدتي، لكنني أزحته جانبًا، فعدَّلتُ استقامة ظهري وعقدتُ ذراعيَّ أمامي، لقد اتخذتُ قرارًا وسألتزم به. سأفعل أي شيء وكل شيء لمساعدة الممرضة جيونجسو.

ترجل إيوجين عن حصانه، وربط لجامه بالجسر، ثم عبَرَ إلى الجانب الآخر حيث كنت. بعد بضع خطوات واسعة، وقف أمامي جالبًا معه رائحة الضباب والصنوبر وقليلًا من العرق؛ كأنه جاء إلى هنا مسرعًا. عندما رأيته في زيِّ الشرطة، شعرتُ كأنني أهدقُ إلى نسخة مصغرة من القائد سونج بقبعته السوداء، ذات الخرزات المنسدلة والملفوفة في حلقةٍ حول وجهه. ثوبه من الحرير الأزرق، وأكمامه مُرصَّعة بالفضة، وثمة سيفٌ مُغمَدٌ بإحكام إلى جانبه.

غمرني شعور باردٌ بالاستياء، وأنا أخفض نظري إلى الأسفل: «أعتذر لأنني جعلتك تقطع كل هذا الطريق إلى الجناح يا ناوري».

انتظرتُ أن تبدأ جولةً مسرحية من تبادل التحيَّات، أو ربما حتى تعليق مُخجلٍ حول المكان الذي اخترته. لكنه سألني ببساطة: «هل قررتِ؟».

- هل لي أن أتجرأ كثيرًا فأسأل...

قاطعني بصوتٍ حازم جدًا حتى إنه فاجأني: «لكنك جريئة حقًا، ولذلك كوني جريئة معي، لا لزوم لهذا التهذيب».

أعدتُ التفكير في طلبه، ثم تمتمتُ: «معك حق، لا يوجد أي تهذيب في موضوع القتل».

قال: «تمامًا»، استطعتُ أن ألمح طيف ابتسامة في صوته.

رفعتُ نظري بجرأةٍ إلى أعلى قليلًا: «إذن أخبرني يا ناوري، أخبرني بكل ما تعرفه عن هذا التحقيق، وسأكشف لك ما أعرفه».

استند إلى السور الشبكي، وأخرج صحيفة صغيرة، ثم فتحها: «لقد استجبنا كل شاهد كان قريبًا من اليمينسيو في تلك الليلة».

مررتُ إصبعي على ياقة زي الرسمي، ثم وقفتُ إلى جانبه بخجلٍ، ونظرتُ إلى الورقة التي أشار إليها. رأيتُ قائمة أسماء مكتوبة بخط أنيقٍ برموز الهانجا. أول اسم في القائمة: **المرضة إينونج**.

قال إيوجين: «مرضة القصر إينونج، ودامو الشرطة السابقة، هي أول الشهود. تزعم أنها لحقتُ بسيدة البلاط أنهني لتحذرها بشأن قوانين القصر حيال ترك المبنى، لكنها فقدتُ أثرها، ثم سمعتُ صرخاتها التي قادتُها إلى مسرح الجريمة».

سرت رعدةً أسفل ظهري لهذه الذكرى، ثم قلتُ: «أين عُثر على الجثث؟».

- عُثر على سيدة البلاط أنهني مقتولة بالقرب من البوابة.

انسلتُ صورتها إلى عقلي، باردةً ومغطاة بالأحمر: الطعنات النظيفة المسددة للرئة والحق.

- رئيسة الممرضات هيجين عُثر عليها أسفل الدرج خارج المكتب مباشرةً.

جرحٌ عبر ظهرها، ثم عبر حلقها.

- عُثِرَ على ممرضتين طالبتين داخل المكتب، الطالبة يون تشاي ممددةً بالقرب من المدخل، والطالبة بيتنا مكومةً إلى جوار الحائط.

بيتنا بأظفارها المغطاة بالدم، جُرحت في حلقها وصدرها. ويون تشاي بأنفها المكسور وفي قبضتها حفنة من الشعر، مطعونةً في بطنه، ثم أُجهز عليها بضربةٍ مسددة إلى الحلق.

همست: «ثمة شيء مشترك بين كل الضحايا: جرح الحلق».

أوماً إيوجين برأسه قائلاً: «في الفحص الثاني، قاست الدامو طول الجروح التي نفذت إلى رئة وعنق سيدة البلاط أهنبى. لقد طُعنت باستخدام سلاح أبعاده تقريباً 4 شون و2 بون».⁽¹⁾

عbst: «ولكن القائد يظن أن سلاح الجريمة هو قاطع أعشاب. أظن أن هذه القياسات أصغر بكثير من قياسات الياكجاكدو، فقاطع الأعشاب أشبه بالسيف من حيث الطول، ولكن بهذه القياسات، سأكون أكثر اقتناعاً بأن... بأنها طُعنت بنصلٍ طويلٍ ورفيعٍ جداً».

- أعتقد ذلك أيضاً، ولكن بخلاف أهنبى، تتطابق آثار بقية الجروح مع قياسات قاطع الأعشاب.

عقدتُ ذراعِي، وتمشيْتُ في الشرفة، أحاول تخيل الجثث بنفسى، أحاول فحص الطعنات والجروح من كُتب في عقلى، بشكلٍ أكثرَ تمعنًا من الفحص السريع الذي أجريته في مسرح الجريمة. قلت له: «هل من الممكن أن أفحص الجثث؟».

- لم تعد هنا.

(1) الشون يعادل 3.03 سم، والبون يعادل 0.30 سم. (الترجمة)

همست: «ماذا؟ لم يمر سوى أربعة أيام».

- قال القائد سونج: إن الجثث تتحلل سريعاً جداً. حاولت إقناعه بالإبقاء عليها فترة أطول، لكنه في اليوم الثالث دفن النساء الأربع. ازدادت دهشتي. جثث القتلى تتحدث نيابة عنهم في العادة، وجروحهم قادرة على سرد قصص مُفصلة جداً، ومع ذلك يُدفن مثل هذا الدليل في غضون أربعة أيام وحسب؟

سيتعين عليّ أن أعتمد على ما رآه إيوجين والدامو. قلتُ له: «ذكرت أن سيدة البلاط أهني طُعت في رثتيها، والرثات محمية أسفل الضلوع...»، تركتُ أفكاري عالقة عند هذه النقطة، أبحث عن قصة أخرى يحاول الموتى إخباري إياها. عبستُ ونظرتُ إلى الأعلى نحو إيوجين: «ما مدى سهولة أن تطعن أحداً في رثتيه؟».

- ليس سهلاً على الإطلاق إن كان الشخص لا يعرف شيئاً عن الجسم البشري، عليه أن يحرك النصل بين الضلوع... هذه هي الطريقة الوحيدة كي يصل إلى الرثتين بسهولة.

تشكّل خطٌ بين حاجبيه، ثم قال: «من منظور طبي، ماذا يحدث إذا طُعن شخصٌ ما في رثتيه؟».

ازداد النسيم قوة، ومهما حاولت دك شعري خلف أذنيّ يعود للتطاير مجدداً. قلت: «خسارة دم فادحة، وصعوبة في التنفس، لكن الموت لا يكون فورياً في العادة...»، أزحتُ جانباً خصلةً أخرى، ثم استسلمتُ تاركةً إياه يتطاير على وجهي. «قد يستغرق الأمر بضع ساعات حتى تموت من جرح كهذا، ساعات حتى تمتلئ الرئة بالدماء».

- لعل ذلك هو ما دفع القاتل لمطاردة أهني كي يطعنها مرةً أخرى، لقد عرف أنها لن تموت بسرعة كافية. ربما خسرت الكثير من

الدم فلم تستطع الدفاع عن نفسها، ولذلك وجدنا جرح الحلق الذي لاحظته.

- ماذا اكتشفت الدامو بخصوص هذا الجرح؟

- لقد أَكَّدَ لي أن الجرح عميق بما يكفي ليكون قاتلاً، هذه الطعنة قطعت شرياناً كبيراً في حلقها.

أَكَّدَ هذا الكلام الإحساس المُربِك الذي انتابني أول ما رأيتُ الجرح؛ هل يعلم المهاجم أين يقع بالضبط الشريان الكبير؟

قلتُ: «إما أن القاتل عثر مصادفةً على المكان الذي قد يتسبب في قتل ضحيته على الفور، وعرف أنه وجده بضربة واحدة، لأنه لم يضرب مرة أخرى، وإما أنه قد حصَّل الكثير من التدريب العسكري أو الطبي». قفز الطبيب خون، والممرضة إينيونج، وولي العهد إلى ذهني، أول اثنين قضيا حياتهما يدرسان جسم الإنسان، والأخير معروفُ ببراعته العسكرية. سألتُ: «من المشتبه بهم؟».

أطلق إيوجين تنهيدة: «حتى هذه اللحظة، ما زال هنالك كثيرون نحتاجُ إلى استبعادهم».

- مثل من؟

- الطبيب خون هو المشتبه به الأبرز.

قلتُ فجأةً متذكراً غيابه: «لم يأت إلى العمل اليوم، لم يره أحد. هل رأيته؟».

قال: «ذهبتُ كي أتحدث معه قبل قليل. إنه معتكف في كوخه ومثقلٌ بالحزن حتى إنه لا يستطيع النهوض من سريره».

وعندما رأى أنني أنتظرُ سماع المزيد، أكمل حديثه: «استجوبته حول علاقته بسيدة البلاط أهني، فأنكر كلَّ شيء، حتى الخاتم الذي يخصه.

وعلى الرغم من ذلك، فقد ظهرَ أنه يعلم الكثير عنها. وقال لي: إنه ليس هو الذي يجب استجوابه، بل مدام مون».

انخفض حاجباي عند سماع اسمها: «مدام مون؟».

- قال لي إن المدام قد حوّلت حياة سيدة البلاط أهنبي إلى جحيم، ومع ذلك فإنه لم يفصح عن التفاصيل. قال: إنها قد تكون استأجرت قتلة لتنفيذ أعمالها القذرة... لإنهاء حياة أهنبي.

نظر إيوجين إلى دفتره، وقال: «إذن مدام مون مشتبه بها أيضاً، على الرغم من أنني لا أعرف لماذا قد تستهدف سيدة بلاط».

تسمّرتُ في مكاني، وقد سيطر عليّ إحساس مؤرّق، إحساس المعرفة، فأنا أعرف إجابة هذا السؤال. ثم خرجتُ مني فكرةٌ مثل الشهقة: «سيدة البلاط أهنبي كانت جاسوسة لصالح مدام مون».

رفع إيوجين نظره مشدوهاً: «أنّى لك أن تعرفي ذلك؟».

- أخبرتني السيدة هيجيونج...

سألني: «السيدة هيجيونج، زوجة ولي العهد؟ لكن ما الذي يجعل فرداً من العائلة المالكة يثق بك، أنتِ خادمة؟». أدركتُ أنني قلت الكثير، وأمام نظرته المتمعنة استيقظتُ بداخلي ذكرى تلك الليلة، وخشيتُ إذا نظر إيوجين إلى ما بداخلي عن قرب أكثر، أن يرى... أن يرى سر القصر الذي قد يتسبب في قطع الرؤوس... في قطع رأسي أنا.

سأل بهدوء: «هل ثمة شيء يجب أن أعرفه؟».

قلتُ: «أنا ممرضةٌ، وأولئك الذين أعتني بهم يثقون بي».

ثم غيّرت الموضوع بسرعة: «أعرف تماماً أن مدام مون كلّفت خدماً للتجسس على الأمير. أسمعُ بأنها تحاول تأجيج الملك على ابنه، لتعزل جلالته، لتبقيه بالكامل لنفسها».

استمر إيوجين في تمعُّنه بي، ولعله لاحظ القلق الذي ورَد وجهي. تشكَّل خطٌّ بين حاجبيه، كأنه أدرك شيئاً، فتصاعد قلقي. يئستُ من تحويل انتباهه عني، فنظرتُ إلى الأسفل نحو دفتره، وقلت: «ماذا عن مينجي؟»، وأشارتُ إلى اسمها المدوَّن على الورقة: «تلك التي هربتُ من المذبحة، صحيح؟ هل وجدتها بعد؟».

خالج صوته شيءٌ من الحذر وهو يقول: «لم أنته من تسجيل قائمة المشتبه بهم، وليَّ العهد مشتبهٌ به أيضاً».

قلتُ: «بدأ الليل يحل»، نظرتُ في كل مكان، لكن ليس إلى إيوجين: «يجب أن أغادر قبل أن يحل الليل، سأحتاج إلى ساعتين على الأقل حتى أصل إلى البيت».

كأن السماء نذفت نورها، وحلَّ مكانه توهُّج أرجواني أحمر يتجمع فوق الأفق، ملقياً ظلاله على الطبيعة المحيطة، وعلى نصف وجه إيوجين.

قال بصوتٍ منخفض: «ما زال لدي الكثير من الأسئلة، سأرافقك إلى المنزل».

من دون أن ينتظر احتجاجي، سار إيوجين نحو حصانه، وتبعته وأنا أفكر في طريقة أتهرب بها من استجوابه. عندما توقفنا أمام جواده الأسود، كنت متأكدةً من أنه سيجعلني أمشي، ففي النهاية أنا خادمة، وُلدتُ كي أمشي في الطين. على الأقل الطقس لطيف اليوم.

عدَّل إيوجين سرج الحصان، وألقى عليَّ نظرةً خاطفة، ثم قال: «يمكنك ركوب الحصان». عندما فغرت فمي بارتباك لا أعرف كيف أجيبه، فركَ رقبة حصانه وهو يبدو مضطرباً على غير المعتاد، ثم قال: «هل أنتِ... تخافين من الأحصنة؟».

قلتُ متغلبةً على شعوري بالمفاجأة: «لا، بالطبع لا».

مشيتُ باتجاه الحصان، وواجهتُ صعوبةً في تعليق قدمي بركاب السرج. حاولتُ بضع مرات، ثم ترنح قلبي عندما أمسكني إيوجين من خصري، ورفعني بسهولة على السرج. سحب يده بسرعة، ومع ذلك ظلتُ أشعرُ بدفئ يديه على جسدي. كان نبيل المولد، ولا يُفترض به أن يلمسني، هذه هي القاعدة؛ إنها جزء من الأخلاق الكونفوشية، ومن هم في طبقة إيوجين يحافظون بصرامة على سمعتهم العامة مُتبعين السلوك السليم والفاضل.

جلستُ على الحصان، يمنعي ارتباكي الشديد من الحركة، ثم قاد إيوجين الحصانَ نحو الطريق. مرّت لحظات طويلة من الركوب في نسيم الهواء البارد قبل أن يبرد وجهي قليلًا. في تلك اللحظة، كنت قد نسيْتُ تمامًا محادثتنا السابقة حتى فتح إيوجين الموضوع، وأعادني مرة أخرى إلى الواقع.

قال وفي صوته نبرة حذرة: «حسب ما سمعتُ، إن السيدة هيجيونج تحمي زوجها بقوة، إنها لم تكن لتأتمنك على مثل هذه المعلومات الحساسة من دون سبب، من دون وضع ما يلزمك بالسرية».

انسلّتُ ظلالُ غرفة الأمير جانجهيون إلى عقلي مرةً أخرى، كذبتُ قائلةً: «أنا حقًا لا أعرف لماذا وثقتُ بي، لكنني أؤكد لك أن ولي العهد بريء». قالت سموها إنه عندما عاد لم يكن ثمة دماء على ملابسه». تباطأت خطواته: «عاد؟».

اختنقتُ أنفاسي، زلّ لساني بشكلٍ سيئ: «أقصد... أنه كان بالقصر طوال اليوم، فكيف سيكون هو القاتل؟».

تمهل إيوجين فتوقّف الحصان. نظر إلى الأعلى من تحت حافة قبعته، عيناه تنظران إليّ بعمق، وتسبران أغواري، فلم أستطع أن أهرب بنظري. قال: «أريدُ أن أعرف، لن أدع أي أذى يصيبك جراء قولك الحقيقة».

بقيتُ شفتاي مغلقتين بإحكام، وخفق قلبي بقوة.

قال ببطء وثبات: «أريدك أن تثقي بي، نحن وحدنا تمامًا في هذا التحقيق، أحتاج أن أقدر على الوثوق بك. كذبة واحدة وينكشف كل شيء».

أمسكتُ بالسرج بقوة أكبر، شعرتُ بأن ترددي يجثم على صدري. ثم أدركتُ أن إيوجين قد وثق بي وأخبرني بمعلوماتٍ حساسة، لقد فتح صحيفة التحقيق الخاصة به كي أطلع عليها، ومن المُنصف وحسب أن أخبره بالحقيقة...

همستُ بعد سكتةٍ طويلة: «لم يكن ولي العهد في غرفته في ليلة المذبحة». اعتلى شبحُ المفاجأة وجهه، ممزوجًا بطيفٍ عابرٍ من الرعب. «عليك أن تقسمَ ألا تخبر أحدًا عن ذلك».

بدا كأنه غير قادر على الكلام، لذلك ضغطتُ عليه: «إذا أخبرتَ أي شخص، سيتسبب ذلك لي بشيءٍ مروع».

ثبَّتَ نظره عليّ، وانخفض حاجباه بقلقٍ: «أعدك. أعدك بقبرِ أبي أنَّ أيَّ شيءٍ تقولينه لي لن يعود عليك بالأذى».

وفي تلك اللحظة، اجتاحني شعورٌ غريبٌ.

وثقتُ به.

8

التحقيق في جريمة قتل أشبه بلعبة جانجي⁽¹⁾؛ اللحظة التي يلتقط فيها أحدهم قطعه المثلثة يتوقف الوقت وينهار العالم من حولك، ولا يبق سوى الاستراتيجية والتكتيكات والأسئلة. شعرتُ بأنني واقعةٌ تحت تأثير سحري وأنا أتحدث مع إيوجين حول خطواتنا التالية.

ولكن ما إن أوقف إيوجين الحصان وسأل: «هل هذا منزلك؟»، انتهى مفعول التعويذة السحرية.

سواء أكان هناك تحقيق في جريمة قتل أو لم يكن، سأعود دومًا إلى هذا المنزل. تُحْدَقُ الجدران القذرة المتصدعة إليّ، ويُسَرَّبُ السقف المكسور المكسو بالقرميد ذكريات المطر المتساقط على وجهي وأنا نائمة، وتزحف بقع العفن في الأرجاء. عدم اكتراث أبي المتزايد بأمي -بل بنا- ترك ندبًا واضحًا على منزلنا.

قال إيوجين بصوتٍ هادئ وعميق: «ما الأمر؟».

انتبھتُ إلى أنني أقبض بقوة أكبر على السرج، وهمستُ: «لا شيء»، ثم صحتُ كلامي: «لا توجد أي مشكلة يا ناوري».

نزلتُ من صهوة الحصان قبل أن يتمكن من عرض مساعدته، وقلتُ: «عليك أن تذهب الآن، قبل أن تُغلق بوابات القلعة لحلول الليل».

(1) الشطرنج الكوري، يتميز بقطعه المثلثة الشكل، لكنها تختلف في الحجم وفقًا للرتبة. (الترجمة)

بعد دقيقةٍ من التردد، اعتدل على حصانه، وبأدبٍ أحنيت رأسي لتوديعه،
كما كنت سأفعل مع أي نبيل آخر، تذكرتُ فجأةً ضالتي وعدم أهميتي.
غمغم وهو يدير جواده: «نحن الاثنان في العمر نفسه». تموّجت
عضلات الحصان تحت المعطف الأسود المخملي. «لا داعي لمثل هذه
الرسميات».

تجاهلته، وثقلُ منزلي يقبع على كتفيّ. فور أن غادر، اعتدلتُ
واتجهتُ نحو مسكن عائلتِي. تُركت البوابة مفتوحة على مصراعيها،
ورأيتُ الخادمة موكجيوم تمسكُ بمكنسةٍ، وتكنس بتسكّع هنا وهناك.
توقّفتُ عند رؤيتي، ووضعتُ فوراً مكنستها جانباً ومشتُ ببطءٍ بجانبِي.
سألتني وعيناها تلمعان: «من هذا الشاب الوسيم يا أجاشي؟ حبيبك؟».
غمغمتُ: «إنه ليس كما تظنين يا أجوما».⁽¹⁾

ضحكتُ: «هكذا تبدأ كل قصة حب. آه، انظري! تبدين أفضل،
التورّمات التي كانت موجودة في الصباح اختفت».

لقد نسيْتُ أمر تلك التورّمات. لمستُ وجهي بلا وعي، وأنا أتجه
نحو الفناء مطلقةً تنهيدة. فسّرت الخادمة موكجيوم تنهيدتي على نحو
خاطي، فنظرتُ إليّ قائلةً: «والدتك أخذتُ شقيقك للنوم، وهي تنتظرُ
لورد شين منذ ذلك الحين». عضتُ على شفّتها السفلى، وسألت: «هل
تظنين أن سيادته سيمرُّ اليوم يا أجاشي؟».

- غالباً لا، سمعتُ أنه وجد محظيةً جديدة.

ثم ابتسمتُ ابتسامةً باهتة للخادمة، ودلفتُ إلى المنزل. الهدوء
والظلال يحومان حولي، مُثْقَلَيْن بحزن أُمي، الجرح الوحيد الذي لم

(1) كلمة كورية شائعة تُستخدم لمخاطبة السيدات المتزوجات، أو في منتصف العمر،
وتُترجم في كثير من الأحيان «عمة أو خالة»، لكنها لا تشير بالضرورة إلى وجود رابط
عائلي. (المترجمة)

أستطع تقطيعه، جرحُ أشعُرني بالعجز حتى إنني أردتُ الهروب منه، لكنني ابنتها... نحن عائلة.

استدردتُ متجهةً إلى غرفتها، وما إن وصلتُ إليها انفتح باب غرفة أخي. لا بد من أن داي-هيون سمع صوت خطواتي، والآن خرج من غرفته يبكي ويفرك في عينيه الدامعتين.

قال متذمرًا: «نونا⁽¹⁾، رأيت كابوسًا».

قلتُ: «مرة أخرى؟ تعال إلى هنا»، رفعتُه بسرعة بين ذراعيَّ قائلةً: «آيجو! داي-هيون قد كبر كثيرًا حتى إنني بالكاد أستطيع حمله».

وضع إبهامه في فمه، كأنه يحتاج وقال: «لا، لست كذلك».

أعدته إلى غرفته، ووضعتُه على حصيرة نومه، ثم مسحتُ دموعه ومخاطه بمنشفة، وسحبْتُ البطانية فوقه.

غمغمتُ مرتبةً على كتفه وأنا أنتظرُه يغطُّ في سباتٍ عميق: «اخذ إلى النوم يا داي-هيونا»، راقبتُ رموشه وهي ترفُّ مغلقةً عينيه.

مرت سنواتُ كنتُ فيها قاسيةً معه بشكلٍ لا يغتفر، قاسيةً درجةً أن سألتني جيون مرة: هل تكرهين أخاك؟ لعلِّي كرهته قليلًا، مغتاضةً من المزية التي وُلِد بها: وُلِد صبيًّا. ولأنه صبيٌّ تفتَحُ له أبوابٌ لن تفتح لي أبدًا، وهذا درعٌ يحميه، بينما موقعي أنا -بصفتي امرأة- يعرِّيني تمامًا.

لكنني توقفت عن كرهه.

مهما حاولتُ جاهدةً أن أبعده عني، كان داي-هيون يتشبث بي مثل حبة أرزٍ دبقة. لقد أحببني مع مرور الوقت، والآن أصبحتُ أقضي معظم أيام عطلتي معه؛ أدرس بينما يضحك هو مقرمشًا بسكويت العسل المقلي.

لكن مع انشغالي بالتحقيق الذي وافقت على المساعدة فيه سيضطرُّ داي-

(1) الأخت الكبيرة. (المترجمة)

هيون إلى أكل بسكويت العسل المقلي بصحبة الخادمة موكجيوم. لا أظنني سأمتلك وقتاً أقضيه معه، فضلاً عن أن أجد وقتاً للدراسة.

بدأ صدر أخي يعلو ويهبط بهدوء، إشارة أنه قد غط في نوم عميق، فتحرّكتُ بحذر بعيداً عنه، وخرجتُ إلى القاعة وواجهتُ الظلمة مرةً أخرى، أصداءُ حزن أُمي تتردد بين الجدران الوحيدة، جنباً إلى جنب مع أصداء أحزاني. ظننتُ أنني لا أعرف لماذا تبقى مستيقظة طوال الليل، ولماذا تبقى نصف يومها مستلقيةً على حصيرة النوم رغم سطوع الشمس في السماء، ولماذا تعاني مشكلةً في تناول طعامها وهضمه. ظننتُ أنني لم أعرف، وحاولتُ دوماً أن تخفي الأمر.

أردتُ أن أتجنبها الليلة، لكن ينبغي لي أن أسلم عليها. أطلقتُ تنهيدةً ثقيلة، وفتحتُ باب غرفتها، وعندما ملأ وهج ضوء الشمعة نظري، ولوهلةٍ، رأيتُ أُمي كما كانت يوماً ما: جيسينج رائعة الجمال، ذكية جداً حدّ أن الرجال من ذوي السلطة يأتون من كل أنحاء المملكة للتحديث معها. أحد هؤلاء الرجال هو أبي. أخبرتني الخادمة موكجيوم ذات مرة عن حبهما قائلةً: إنها قصة حب عاصفة، لم يكن بإمكانهما العيش يوماً واحداً من دون بعضهما بعضاً.

لكن وهج الضوء الذي خلفته الشمعة اختفى، وحدّقتُ إلى الأم التي ربّتني، بشعرها المربوط بقوة، ووجهها الذي بدا فارغاً كسماء غسّلتها عاصفة، عيناها الباهتتان تشبهان مصباحين خامدين. سألتُ: «هل أكلتِ يا إيوموني؟».

لم تجب، بل حدّقتُ إلى الطاولة ذات الأرجل المنخفضة أمامها. «استيقظ داي-هيون عندما أتيتُ، لذا وجب عليّ أن أعيده إلى النوم. أيضاً، اليوم كان يوماً حافلاً في القصر». أكملتُ حديثي: «قُمتُ بأعمال كثيرة، وبعد ذلك مررتُ على الهيمينسيو، لذلك تأخرتُ».

استمرّ صمتها، وتساءلتُ ما إذا كانت لاحظت وجودي. كثيرًا ما سألتُ نفسي «هل تحبني حقًا؟»، وهو سؤالُ أبقاني مستيقظةً في الليل منذ أن حاولت أُمي بيعي إلى منزل الجيبانج كي أُسَلِّي الرجال.

لم أغفر لأُمي ذلك، لكنني ما زلت أحبها، فهي ما تزال أُمي، وتمنيتُ أن أصبح كافيةً في نظرها يومًا ما. أن أكسب ما يكفي حتى لا تضطرَّ إلى أن تقلق على معيشتنا مجددًا. أن أترقّى وأعلو -أعلو مثل داي جانج جيوم، الطبيبة الأسطورية التي وثقَ بها الملك نفسه- وأن أكون كافيةً بحيث نحظى أنا وأُمي باحترام المجتمع.

سألتها وأنا أدخلُ نحوها: «أتريدين بعض الشاي يا إيوموني؟ يمكنني أن أحضّره الآن...».

- اجلسي.

ترددتُ، ثم جثوتُ أمامها وأنا أنفَحُصُ وجهها. شيءٌ ما في نبرتها ملأني بالذعر، وبينما أراقبها وهي تشعل غليون التبغ الفضي، شعرتُ بأن هذه المحادثة ستكون طويلة.

قالت: «سمعتُ حصانًا يقترب، وعندما نظرت إلى الخارج، رأيتك بصحبة شاب».

بحثتُ في صوتها عن نبرة رفض، لكن لم يكن لها أي أثر. قلتُ: «لا بد من أنكِ سمعتِ عن مذبحة الهيمينسيو يا إيوموني. قُبِضَ على معلّمتي بصفقتها المشتبه به الرئيسي، وأراد المحقق سيو أن يسألني بضعة أسئلة، ووجدني في الهيمينسيو، وتحدثنا حتى تأخر الوقت». أصبحت الأكاذيب تجري على لساني أسهل الآن، فأكملتُ: «التوى أحدُ كاحليّ، فعرضَ عليّ أن يوصلني».

قالت وهي تفحصني بثباتٍ وتمعن: «هكذا فعل حقًا؟ تقولين: إنك معه من أجل التحقيق، لكن لا يعير يانجبان أرسطراطيَّ حصانه لفتاة تشيونمين مثلك من دون شيء بالمقابل».

- لا شيء من هذا القبيل يحصل بيننا...

- يريد أن يتخذك محظيةً، هذا هو الدارجُ في هذه الأيام، يبحثُ الشبانُ النبلاء عن يوينيو محظيات. فيصبحن أكثر من عشيقاتٍ وحسب، بل يقدمن لهم الرعاية الطبية أيضًا.

أنتِ لا تعرفينني على الإطلاق. بقيت هذه الكلمات عالقةً على لساني، وقلت بدلًا منها: «لا أنوي أن أكون محظيةً لأي شخص».

- جيد، إذن لا تحتكِّي به مرةً أخرى.

أذهلتني ملاحظتها، وأغضبتني: «أنتِ لا تعرفينه حتى...»

- هذا طلبُ والدك، لقد مرَّ قبل يومين، وطلب منِّي أن أبقي عينيَّ عليك، وأن أذكرك بوعدك له.

سرتُ في جسدي قشعريرةً باردة عندما عاد شبح والدي مؤرقًا عقلي بنظرته العابسة، بعينيه اللتين تحكمان عليَّ. همستُ: «يا إيوموني، من فضلك لا تقولي له. أنا لا أحقق، لكنَّ أبي بالتأكيد سيُسيء الفهم...».

- ظن أبيك في مكانه؛ إن المحقق سيو سوف يطلب مساعدتك. لقد أخبرني أن الشاب ذو شخصيةٍ مثيرة للجدل إلى حد ما، وهو يناطح القائد كأنه رئيس شرطة بخبرة خمسين عامًا.

صوتها خالٍ من العواطف، قرَّبت الغليون من شفتيها وأخذتُ سحبةً، ثم أخرجتُ سحابات ملتوية من بين شفتيها، وقالت: «على ما يبدو، والدك يظنُّ أن كل المحققين الشباب يتصرفون هكذا في البداية؛ يأتون بأعين

مشرقة وطموحة، عازمين على تغيير العالم، وعلى أن يموتوا شهداء للعدالة. لكن لا يستغرق الأمر كثيرًا حتى تضعهم الحقيقة في أماكنهم». قلت: «المحقق سيو لا يحقق بدافع الطموح الخالص، لديه أسباب حقيقية». احترق داخلي كأنني أنا أيضًا أتنفس الدخان، أغضبتني الطريقة التي يُساء بها فهم إيوجين. إنه يحقق من أجل مقتل والده الوحشي. لا أحد يملك الحق في إيقافه، أو إيقافه. «حياة الممرضة جيونجسو في خطر، وأبي لا يفهم أن القائد سونج يفسد كل شيء!». بصوتٍ خافت وعينين خاليتين من العواطف، غمغمت: «لا تستمعني إلى والدك إذن».

صدمتني المفاجأة بشدة: «ماذا تقصدين؟».

قالت: «معلمتك الممرضة جيونجسو... إنها مثل عائلتك»، تمهلتُ أمي، ثم أكملت: «أفضل من عائلتك الحقيقية».

تجمدتُ، لطالما عدتها هكذا، لكنني لم أكن أعرف أن أمي لاحظت الأمر أيضًا.

- كنت في الخارج حتى وقت متأخر، وعدت مع محقق شاب معروف باستقامته، فالشيء الوحيد الذي أستطيع استنتاجه هو أنك لا بد تبحثين عن طريقة لإطلاق سراح معلمتك. لا أصدق أنك كنت ببساطة تجيبين على أسئلة، لم يكن سيرافك طوال الطريق إلى هنا لو كان الأمر كما تقولين. أنتِ تساعدينه، أليس كذلك؟

همست: «نعم»، لا أصدق أنني أبوحُ لأمي.

صمتت، واكتسى وجهها بنظرة متأملة، وعندما تحدثت أخيرًا، طفتُ سحابة كبيرة من الدخان حولها: «لا تخبري أي شخص بأنني قلت لك هذا، ثمة سبب أعمق وراء رغبة والدك في عدم تورطك في هذا التحقيق».

انتظرتُ، وشعرتُ بخوفٍ باردٍ، وفي الوقت نفسه تشوّق. من هذه السيدة، هذه السيدة التي أدعوها أُمي؟ لقد عشنا سنواتٍ تحت السقف ذاته، لكن الآن شعرتُ كأنني أنظر إليها حقًا للمرة الأولى. ما الذي تغير؟ أكملتُ: «زارني أبوك قبل يومين، هل يمكنك أن تتخيلي ماذا قال لي؟ لقد أخبرني عن إشاعات اتهام ولي العهد بأنه قاتل. وقال: إنه متأكدٌ من أن القاتل ليس ولي العهد».

تمهلتُ، وانتظرتُ أنا حابسةً أنفاسي. في عينيها لمعةٌ تحثني على شيء ما، كأنها تريدني أن أفهم شيئًا ما من كلامها. ثم خطرت لي فكرةٌ مخيفة: «هل تعتقدين... أن أبي متورط؟».

قالت أُمي بثقةٍ: «والدك لا علاقة له بجريمة القتل. لقد تحدثتُ مع محظيّته الجديدة، وأخبرتني بأنه كان معها حتى قبيل رفع الحظر، أي في الوقت نفسه تقريبًا الذي وقعت فيه جريمة القتل. إنه ليس قاتلاً، لكن من الواضح أنه يعرف شيئًا».

توالت الأسئلة في ذهني، وقلت: «يجب أن أتحدث مع والدي».

قوّست أحد حاجبيها: «سوف تغضبينه إذا فعلت ذلك».

سألتها في حيرة: «لكنه يعرف شيئًا. ماذا... ماذا يجب أن أفعل إذن؟».

- كوني أكثر حذرًا يا طفلي، لا تتحدثي مع والدك... لكن مع حارس بوابته.

- حارس البوابة كيون؟

- الخدم يسمعون ويرون كل شيء.

أخذتُ سحبةً أخرى من غليونها، ثم تفحصت الطاولة، حيثُ التنانين المرصعة والمطلية باللاكه، وغمغمتُ برقة: «إذا واصلتِ حقًا هذا

التحقيق، تذكري كلامي هذا: علينا جميعاً أن نختار الدروب التي نمشي فيها، وعندما تختارين دربك، تذكري أن تحسبي الثمن، لا تعيشي نادمةً. نظرتُ إلى أُمي: «عن أي ثمنٍ تتحدثين؟».

نظرتُ إليَّ بثباتٍ: «إذا كان ما هو صحيح، ومُشرف، وعادل سيكلفُك رضا والدك، فهل ستختارين هذا الطريق رغماً عن ذلك؟ في بعض الأحيان -في معظمها- ليس بمقدورنا أن نفعل الاثنين: ما هو صحيح، وما يُسعد المحيطين بنا».

قلت: «ماذا لو استطعتُ أن أفعل ما هو صحيح، ومُشرف، وعادل، ومن دون أن يكتشف أبي أبداً؟».

- احسبي الثمن، لا تندفعي نحو المستقبل من دون وعي. تذكري هذا يا هيونا: مهما حاولتِ جاهدةً أن تحمي نفسك، فكل قرار مهم في هذه الحياة سوف تدفعين ثمنه. وسيأتي معك الندم. كنتُ مترددةً، لكنني أردتُ أن أعرف بشكلٍ غريب، فسألتها: «ماذا... ماذا كنتِ ستفعلين؟».

تأملتُ سؤالي لوهلةٍ: «مثل من ترغبين أن تصبحي يوماً ما؟».

فكرتُ: مثل الممرضة جيونجسو.

همستُ أُمي بصوتٍ يشوبه الندم، كأنها تقرأ أفكارِي: «أنقذي معلمتك، إذا كانت تعني لك الكثير. أولئك الذين نحبهم هم من يجعلون الحياة البائسة تستحق العيش».

رنتُ كلماتها داخلي بقوة، وأنا عائدةٌ إلى غرفتي. شيء ما قد حدث لأُمي فغيرَها هكذا، أو لعلها لم تكن قط كما كنت أظن.

أيّاً كانت الحقيقة، فهي لغز أحتاج إلى حله في يوم آخر.

9

في اليوم التالي، اجتاح الأرض ضباب خفيف خلفه المطر. زقزقت الطيور في جوقة عالية، وأنا أسرعُ إلى العاصمة، ويدي تحاولان لملمة شعري، وتنفُسي غير منتظم ومذعور. قضيتُ نصف اليوم أنتظرُ توقف هطول المطر الغزير، وحين غادرتُ المنزل توقفتُ المطر، وصفت السماء، لكن السحب الداكنة عادتُ من جديد، وتجمعتُ فوقِي.

رفعتُ تنورتي بعد أن فقدت الأمل في حماية شعري، وجريتُ مسرعةً نحو مسكن أبي. لن يكون هناك، فهو عادةً في وزارة العدل خلال النهار. سيكون حارس البوابة كoon في موقعه، يا ترى أي معلومات مهمة يمكن أن تكون لديه؟ لكنَّ أُمي على حق، في الحالتين كليهما: من الأفضل عدم إثارة غضب أبي، من الأفضل جمعُ المعلومات ممن حوله بدلاً من إغضابه.

انسللتُ بخفيةٍ من أحد الأزقة، ثم اتجهتُ إلى شارع دونهوامونرو. بعد بضع خطوات، لمحتُ مكتب الشرطة، سقفهُ المتوهجُ يرتفعُ فوق بحرٍ من أكواخ القش التي تشبه سحب العواصف الداكنة. أرى أيضاً مجموعة من ضباط الشرطة الشباب يقفون خارجه، ويتحدثون مع شخص ما. انجذب نظري نحو أطول الضباط، يتساقطُ ستارٌ من المطر من حافة قبعته السوداء. نظرَ إلى الأعلى، وتابعتني عيناه المألوفتان، وأنا أواصل

سيرى في الشارع. حتى إيوجين رأسه، إيماءة بسيطة وحسب، فرددت إيماءته.

صارت خطواتي أقوى بعد رؤية إيوجين، وأسرعتُ في الطريق متجهةً نحو المنطقة الشمالية، موقع ذوي السلطة والثروة: مجموعة قصور لها أسقف سوداء تلمع تحت المطر. وصلتُ أخيراً إلى منزل أبي، نفسي منقطعٌ، وأشعر بالبرد، لكنني مصرّةٌ.

طرقتُ بقبضتي على الباب حتى فتح الحارس لي، وارتفع حاجباه بشدة. عرفني فوراً، على الأرجح أنه تذكرني من تلك الأوقات التي وقفتُ فيها أمام هذه البوابة على أطراف أصابعي، آملةً أن ألمح أبي. قال حارسُ البوابة كيون: «السيدةُ الصغيرة! ماذا تفعلين في الخارج في هذا الطقس؟».

أزحتُ خصلةً من شعري بعيداً عن وجهي، وتحدثتُ بصوتٍ متهدجٍ لأثير شففته بقدر استطاعتي: «أتمنى أن أتحدث مع اللورد شين. إذا كان في المنزل، رجاءً أخبره بأنني أطلب مقابلته».

تفحصتني عيناه القلقتان مرةً أخرى: «يا سيدتي الصغيرة، إنه ليس هنا، لقد ذهب إلى العمل هذا الصباح».

تلعثمتُ لوهلة: «لكن... لكنني قطعْتُ كل هذا الطريق...»، نظرتُ إليه بنظرةٍ بائسة: «ثمة شيء عاجل تمنيتُ لو أسأل اللورد شين عنه، لكن لعلك تعرف الإجابة؟».

ظهرَ الترددُ على ملامحه، وهو يقول: «ها؟ سؤال؟ طبعاً».

- هل سمعتَ عن مذبحة الهيمينسيو التي وقعت قبل أربعة أيام؟ هل ذكرها اللورد شين؟

التفت حارس البوابة حوله بسرعة، ثم خفض صوته، وقال: «لقد أُمِرنا بالألا نتحدث عنها».

- لماذا؟

- أرجوكِ يا سيدتي الصغيرة. أفضل ألا أفعل ذلك... أنا لا أعرف أي شيء!

حينها قررتُ أن أنفذ استراتيجية فكرتُ بها وأنا مستلقية على حصيرة نومي الليلة الماضية. همستُ: «أخبرني شخصٌ ما أنهم يشتبهون في اللورد شين، هل لذلك لا يرغب في أن يتحدث أحد عن الحادثة؟»، هزرتُ رأسي عابسةً: «أنا قلقة». كما تعرف، إذا كان متورطاً حقاً، سيُعاقب أهل بيته بالكامل. وأنت أيضاً قد تُنفى، أو أسوأ من ذلك...».

تعلّقت عيناه المذعورتان بوجهي: «م... مَنْ قال هذا؟ هذا مستحيل».

- وهذا ما أظنه أيضاً، ولهذا أتيت. أنا قلقة جداً يا أجاشي. لماذا قد يشتبه أي شخص في اللورد شين؟ هل تعرف؟ أنا أحاول إقناع المحقق بمعاقبة الشخص الذي ينشر مثل هذه الإشاعات.

- أنا أعرف أن اللورد شين ليس متورطاً، والقائد سونج يعرف أيضاً! تشنجت كتفائي: «القائد سونج؟»، الاسم وحده ألقى برعشة زعر في داخلي. «أكان هنا؟».

- زار القائد سونج سيادته للتحدث معه على الشاي. لقد سمعتُ قليلاً، على ما يبدو أن اللورد وهو عائد من منزل المحظية باك قبيل رفع الحظر، شاهد القاتل يهرب...

قلت: «انتظر، كيف عرف اللورد شين أنه القاتل؟».

- لقد سأل القائد السؤال نفسه! اصطدم القاتل باللورد وهو يهرب بعيداً، وأسقط شيئاً، لست متأكداً ما هو الشيء. قال اللورد شين:

إنه مغطى بالدماء، وإنه لم يفكر في التقاطه... وإن هذا الشيء لم يكن موجودًا هناك في اليوم التالي. ثم هرع القاتل مسرعًا، فلم يستطع اللورد أن يرى الكثير، كما أن السماء كانت ما تزال مُظلمة.

ألقي الحارس نظرة قلقة حوله مرة أخرى، ثم أمسك بجانب الباب، كأنه يستعد لإغلاق البوابة وترسها في وجهي: «يجب أن أذهب يا سيدتي الصغيرة».

خارت قواي، وشعرتُ بركبتي تترنحان، قلت بصوتٍ خفيض، بالكاد يُسمع من بين طقطقة قطرات المطر: «شكرًا لك، لقد أفدنتني كثيرًا...».

- رجاء لا تخبري اللورد شين أنني أخبرتك بأي من هذا!

قلتُ: «بالطبع لا»، ثم أضفتُ: «سيكون من الأفضل أن نتظاهر بأن هذه المحادثة لم تجر أصلًا. لكنني سأحرص على ألا يستجوب أحد اللورد شين أكثر من ذلك».

فور أن استدرتُ أُغلقَ باب البوابة بقوة، وأسقطتُ أنا قناعي. بقيتُ واقفةً خارج القصر وقتًا طويلًا، متجمدة بسبب ما سمعته. أبي يعتقد أنه رأى القاتل، في الوقت نفسه تقريبًا الذي كان يتجول فيه ولي العهد جانجهيون في العاصمة. هل الأمير هو المشتبه به الذي اصطدم بأبي؟ لكنَّ أبي بدا مقتنعًا ببراءة الأمير. ما السبب؟

هدأ ذهني قبل الوصول إلى إجابة معقولة؛ هل يمكن أن يكون أبي هو دليلُ براءة الأمير؟

توقف المطر فجأة عندما غمرني ظلُّ أذهلني، وأعادني إلى الحاضر... رأيتُ إيوجين يقف إلى جانبي فجأة، ممسكًا بعباءة من القش يرفعها فوق رأسي.

قلتُ: «محقق سيو؟ ماذا تفعل هنا؟».

استمرّ في النظر إلى الأمام نحو مسكن والدي، ثم ترك العبادة ببطء، فاستقرتْ حول رأسي، وسألني: «ما الذي أتى بك كل هذا الطريق إلى هنا في هذا الطقس؟».

- ثمة شيء أردت أن أستوضحه بخصوص أبي. أخبرتني أمي... قال: «دعينا نجد مأوى من المطر أولاً». تمهّل بينما يتساقط المطر على قبعة الشرطة التي يرتديها مُغرّقاً ثوبه، ثم نظر إليّ: «هل أكلت؟». طرفتُ بعينيّ وقلتُ: «عفوًا؟».

شد العبادة قليلاً، فسقطتُ بالكامل على وجهي مُهددةً بأن تبتلعني كلي. دفعتها إلى الخلف على الفور، ولمحتُ نصف ابتسامة مرحة تختفي من على شفتيه. سألتُ مجدداً: «لماذا أنت هنا يا ناوري؟».

- لدينا عباءات إضافية في المكتب، وبداء لي أنك بحاجة إلى واحدة، رغم أنني قضيت بعض الوقت قبل أن أعثر عليك. ألقى نظرة أخيرة على مسكن أبي، ثم استدار، وبدأ يمشي، وأنا أراقبه في حيرة وهو يبتعد.

- تعالي يا ممرضة هيون، سأشتري لك وجبة ساخنة.

- لماذا...

- لدي أسئلة أطرحها عليك، وأشياء أخبرك إياها. وهذه القضية لن تحل نفسها بنفسها إذا مرضت.

جلستُ أسفل مظلة سقافية من القش في حانة قريبة. عزمتُ على ألا يراني أحدٌ مجدداً مع المحقق الشاب، فأبقيتُ العبادة مشدودةً على

وجهي، بحيث كل ما أستطيع رؤيته هو ثوب إيوجين، وجزء من فكه، وقطرات المطر التي ما زالت تتساقط من حافة قبعته.

سأل إيوجين: «إذن، لماذا زرت مسكن والدك؟».

بينما ننتظر وجبتنا، أخبرته بكل ما عرفته من حارس بوابة أبي. صوتي منخفض جدًا بحيث لا يصل إلا لأذن إيوجين وحده، وكلما مرَّ شخصٌ بجانبنا، أسكتُ، ثم أميلُ على الطاولة كي أهمس له بالباقي.

سألته بحماسة مفرطة بعض الشيء: «ألا تتفق معي يا ناوري؟ أبي هو حجة الغياب التي تبرئ سمو الأمير. إذن فسؤالي هو: لماذا لا يعلن الأمير هذه الحقيقة؟ لديه دليل، مستحيل أن يكون القاتل».

- أعتقد أنه إذا أفصح سموه عن حجته، فسيكون ذلك اعترافًا بأنه غادر القصر بشكلٍ غير قانوني تلك الليلة. لعله يخاف من غضب الملك أكثر من خوفه من الشائعات.

تلا ذلك سكتةً طويلة، يمكنني سماع هدير عجلات عقله وهي تدور. «والدك... على علاقة قوية بفصيل التعاليم القديمة، إنهم منافسو الأمير، وهو على الأرجح لا يرغب في أن يرتبط اسمه بسموه بأي طريقة».

وصل حديثنا إلى طريق مسدود عندما وصلت وجبتنا: أنيةٌ خزفية سوداء من «الجوكباب»، بالإضافة إلى الأطباق الجانبية. قرقرت معدتي، وانتبهت أنني لم أكل طوال اليوم. أكلت أجزاء اللحم المفضلة عندي أولًا، ثم أخذتُ ملعقةً ممتلئة من حساء الأرز المغلي، ثم ملعقةً أخرى، ولاحظتُ أن إيوجين لا يأكل، بدا مشغولًا، لا يقول شيئًا حتى غمغم أخيرًا: «هل كان صعبًا؟ أن تكبري وأنت ابنة اللورد شين».

بقيت الملعقة في يدي، والقلق يجتاح صدري: «أنا لست ابنته حقًا. حسنًا، ابنته، لكنني غير شرعية».

- ما يزال والدك، وما تزالين ابنته.

فلتتُ مني ضحكةٌ كئيبة: «أنا لست سوى عاميةٍ سوقية، وهذا كل ما يراه». عندما بقي إيوجين هادئًا، ندمتُ على كثرة ما قلته، لكنني قلتُ لنفسِي: إنني لا أكثرث، لا يهمني ما يظنه بي، نحن تشاركنا كي نحلَّ القضية، لا لنصبح أصدقاء.

قال إيوجين بصوتٍ هادئٍ وبعيد، كأنه يتحدث عن شخصٍ منذ زمن طويل: «علّمتني أُمي دائمًا عن «الجونج» الجميع متساوون. قالت: إننا جميعنا نولد أطفالًا للسماء والأرض، وإنه لا أحد منا مختلف. التاريخ يثبت ذلك أيضًا؛ يمكن أن يترقَّى العبيد الذين قاتلوا في الحروب فيصبحوا وزراء، أو جنرالات». فلتتُ منه ضحكةٌ هادئة: «كانت جدتي تقترح أنه يجب على العبيد قتلُ أسيادهم، وحرقُ السجلات التي تُثبتُ عبوديّتهم، ثم يعيشون متحررين من السوط».

نظرتُ إليه من تحت العباءة القش، وأنا أشعر بفضول حول عائلته الغريبة. يجلس إيوجين بشكلٍ مستقيم وكتفاه إلى الورا، وضعية مثالية تدل على رباطة الجأش، ومع ذلك رموشه منخفضةٌ نحو الأسفل.

- لم أعرف قط أن أُمي تشييونمين عاميةٌ سوقية، حتى ماتت. هرب أبي معها، لأن الزواج بين الطبقات محظور. وعندما ماتت، أتى أقرباؤنا الأغنياء للافتراء عليها، والاحتفال بموتها. كسّر أبي كل قِدرٍ ووعاء بغضب...

أدار إيوجين يده، وحدّق إلى الندبات القليلة التي غطت راحته... ندبات جعلتني أتساءل ما إذا كان بيننا قواسم مشتركة أكثر مما تتخيلت في البداية.

قال بصوتٍ خفيض، وهو يمسك بعيدان تناول الطعام: «أعتذر إذا أزعجك كلامي التالي، ولكنني لم أرتح لوالدكِ قط. لقد شاهدتُ كيف

أساء التعامل مع العرائض، إنه فاسد وجائر، وميَّالٌ إلى قبول الرّشى. لا أهتم كثيرًا برأيه بك».

جلستُ بلا حراك، أخشى أن أتحرك، أخشى أن أشعر بثقل كلماته. أخشى أن أتفق معه.

لم أفكر في أبي من منظور إيوجين من قبل؛ بصفته رجلًا أبعد ما يكون عمّا هو جيد ومشرف.

التقط إيوجين أجزاء اللحم الشهية بعيدان الطعام، ونقلها من حسائه الذي لم يمسه إلى وعائي، كأنني شخصٌ يهتم لأمره. لكنه بالتأكيد يهتم لأمرى... أنا مُخبرته، مصدره الوحيد لمعرفة معلومات عن القصر.

غيرَ مسار حديثنا بشكل سلس قائلًا: «أودُّ أن أستجوب والدك حول قضية الهيمينسيو، إذا كان ذلك لن يزعجك».

قلتُ وأنا أحاول استعادة أفكارى: «تستطيع ذلك... ما دام أبي لن يعلم بالرابط بيني وبينك».

- أكيد، سأخبره أن شاهدًا قد رآه تلك الليلة.

اخترقتُ صرخةً مذعورة الهواء، فقطعتُ حديثنا: «أيها المحقق! يا محقق سيو!».

شقَّ ضابط شرطة طريقه مندفعًا بين الحشد المبلل بالمطر، يمسكُ بإحدى يديه بمؤخرة قبعته، وبالأخرى يمسح قطرات المطر من على وجهه. أنزلتُ العباءة على وجهي أكثر قبل أن يراني. اختبأتُ تحت العباءة، واستمعتُ إلى خطواته التي تخوض في ماء المطر، حتى توقف أمامنا تمامًا.

صاح بنفسٍ متقطعٍ: «أيها المحقق! حمدًا للآلهة أنني عثرتُ عليك! المكتبُ بأكمله يبحث عنك!».

سأل إيوجين بصوته الحاد: «ما الأمر؟».

- لقد سبقك القائد سونج والضباط الآخرون بالفعل، وأمرت أن أجدك فورًا.

سكت كي يلتقط أنفاسه بعض الشيء، ثم تحدّث بصوتٍ مهزوز: «ثمة رجلان كانا يصطادان في نهر هان، وقد عثرا على جثة، إنها امرأة أخرى من نساء القصر!».

ضرب إيوجين بيده على الطاولة تاركًا بعض النقود، وقال بهدوء: «لا تلحقني بي، سيلاحظك الكثيرون»، ثم اختفى في زرقة المطر المتساقط. أظعت إيوجين بضع دقائق وحسب، ثم أسرع، ونهضت على قدمي. عليّ أن أرى المرأة الميتة بعينيّ أنا، فمن يدري ما الذي يمكن أن يفعله القائد؟ قد يدفن الميتة قبل أن تبوح بما عندها.

غطى ضبابٌ كثيف نهر هان، مُخفيًا الأكواخ المتجمّعة على ضفة النهر، والقوارب الخشبية الطويلة الراسية على الشاطئ، فبدت أشرعتها الخيزرانية كأنها تُرصّع السماء بمئات الإبر.

لحقتُ الظلالَ الثلاثةَ بسرّية: إيوجين وضابط الشرطة والدامو التي تحملُ نقالة. أشعرُ بحرقّة مؤلمة في فخذيّ بسبب صعوبة المشي على أرض مغطاة بالطين، طينٌ يصل إلى كاحلي. وقعتُ بضع مرات، طرفُ تنورتي بات بُنيًا رطبًا، ولا أدري كيف تناثرت بقعٌ من الطين الداكن على وجهي. يعلّق الوسخ براحة يدي في كل مرةٍ أحاول أن أزيح شعري المبلل جانبًا.

سرعان ما تجسّد المزيد من الهياكل البشرية وسط الضباب الموجود أمامي. سمعتُ صوت القائد سونج قبل أن أراه، سمعته يأمرُ الضباط

بأن يتفرقوا في أربعة اتجاهات، وأن يتنقلوا على أقدامهم وبالقوارب للبحث عن دليل. عندما اقتربتُ بما يكفي، رأيته لوهلة، ببنيانه القوي، ولحيته البيضاء. ثم اختفى، اختفى ظهره وسط غلافٍ من الضباب.

- من هذا الطريق يا ناوري.

قاد الضابط إيوجين والدامو إلى قاربٍ به صياد أنهكه الطقس: «الجثة على الجانب الآخر».

أسرعتُ كي أقترُب، واستطعتُ أن ألمح وجه الدامو. التفتُ عيناى بعينين متسعيتين، عرفتُ الفتاة.

ناديتها: «سوليباه!».

صاحت: «يوينو-نيم!»، ثم أشرق وجهها المضطرب. التفتُ إيوجين فجأةً في تلك اللحظة. سألتني هي: «ماذا تفعلين هنا؟».

رفعتُ تنورتي، ودفعتُ ساقيَّ بقوةٍ أكبر حتى وقفتُ أمام سولبي: «سوليباه، لقد سمعتُ ماذا حدث. هل تحتاجين مساعدة...».

تذمَّر الضابط قائلاً: «من أنتِ؟ هذه مسألة تخص الشرطة!».

- لقد سمعتُ مصادفةً يا سيدي بأن امرأة من القصر قد قُتلت.

ثبَّت نظري الذي لا يتزعزع على الرجل، أحاول ألا أنظر إلى إيوجين الذي أستطيع أن أشعر بعينيهِ تحمقان فيَّ: «ربما أساعد، فأنا ناى-يوينو».

سخر ضابط الشرطة: «أنتِ لا يمكنكِ مطلقاً...».

قال إيوجين: «يمكنها أن تنضم إلينا».

حدَّق الضابط وهو يرمش مثل السمكة: «هي... يمكنها هي؟ هي؟».

- نعم، هي.

ومن دون أي تأخير شققنا طريقنا نحو القارب. تموّجت معدتي في اللحظة التي صعدت فيها إلى القارب، فأرضيته الخشبية غير ثابتة إطلاقاً، كأَنني أحاول الوقوف على موجات متلاطمة، لكنني تمكنتُ من الحفاظ على توازني، ووجدتُ مقعداً إلى جوار سولبي في الطرف البعيد، بينما جلس الرجال في مقدمة القارب الضيق ولكن الطويل. همستُ: «من الضحية؟».

أجابْتُ: «لم أعرف بعد، وأحسب أن الضباط لم يعرفوا أيضاً. لقد عرفوا فقط أنها من نساء القصر من ثوبها. لم يفتّشوها بحثاً عن هويتها».

- لماذا؟

- أنتِ تعرفين القانون: الآداب الكونفوشية، يُحظر على ضباط الشرطة لمس النساء المشتبهات بهن والضحايا.

فركتُ سولبي راحتها بعنف في تنورتها، وبصوتٍ خفيض لا تسمعه إلا أذنيّ، قالت: «لقد أعياني لمس السيدات الميتات، لكنّ النساء يُقتلن طوال الوقت».

خيّم الصمت والضباب الأزرق فوقنا، وفوق الموجات السوداء الحبريّة، صمتٌ لا يقطعه إلا صوت حركة المياه تحت المجاديف.

سألتُ رفيقتي وأنا أُلقي نظرةً خاطفة نحو إيوجين: «هل تعرفين كيف ماتت بعد؟»، بدتُ كتفا إيوجين متشنجتان، أدار وجهه نحونا قليلاً، كأنه يتنصت. أكملتُ: «أو ما إذا كانت مرتبطةً بمذبحة الهيمينسيو؟».

أجابْتُ سولبي: «أعرف أنها ضُربت على رأسها، وعُثر عليها مستلقيةً على ضفة النهر، ووجهها في الماء، كما عُثر على المنشور المجهول ملصقاً مرةً أخرى على الجدران العامة القريبة».

صاح الصياد: «إنهم هناك! أراهم».

انشق الضباب مثل ستارةٍ من الغيوم، وكشفَ عن حشدٍ صغير من ضباط الشرطة المجتمعين على ضفة النهر، وأجسادهم تحجبُ الجثة عن الرؤية. كل ما أستطيعُ رؤيته هو قمة شعرها، وأطراف قدميها... إحداهما بحذاء، والأخرى حافية.

في اللحظة التي رسونا فيها، وسحبَ الرجال القارب نحو الشاطئ، أمسكتُ سولبي بيدي كي أحافظ على توازني. فور أن لمستُ قدمي الطين، نظرتُ نحو الأعلى، وهذه المرة كان الجدار البشري الذي شكَّلتُهُ أجساد الضباط قد تفرَّق بما يكفي كي ألمح التنورة الحريرية الزرقاء الفيروزية. أزرق مميز جدًّا، فضاق بسببه صدري، وأصبح تنفُّسي صعبًا.

لم تكن امرأة من القصر وحسب.
بل ممرضة قصر.

أسرعتُ خطواتي، وعندما تراجع ضباط الشرطة مفسحين الطريق لإيوجين، وجدتُ نفسي أهدقُ إلى جثة امرأة شابة، ما تزال مستلقيةً على وجهها في الطين. لم يقلبها أحد. تردد تبرير سولبي في أذني: الآداب الكونفوشية.

قلتُ: «ساعديني لنقلبها»، وأومأت سولبي.

استطعنا معًا قلبها على ظهرها كاشفين عن جلدها المُرَقَّ المغطَّى بالطين. انحنيتُ، وأمسكتُ رسغها... ثم سرتُ بداخلي رعشةٌ حذرة. نبضٌ ضعيف، نبضٌ حقيقي، دقاتٌ أشعر بها تحت ضغط أصابعي. على الفور أملتُ ذقنها ورأسها إلى الوراء. انحنيتُ فوقها، ووضعت وجنتي بالقرب من فمها، ونظرتُ نحو صدرها.

شهقت: «ما تزال حية».

انحنى شخصٌ إلى جواري، قريبًا بما يكفي لأن يحتك ثوبه بذراعي،
إنه إيوجين.

أعاد فحص الجثة عابسًا: «أهي حية؟ كيف يمكن أن تكون حية؟
شخصٌ ما احتجزها تحت الماء حتى غرقت. ثمة كدماتٌ ناتجة عن
بصمات أصابع على رقبتها».

التفتُ إليه وقلتُ: «حسنًا، إنها لم تمت. لا بد من أن القاتل اعتقد أنها
ماتت، بينما فقدت هي الوعي فحسب».

سألتُ سولبي التي بدتُ مرتبكة: «ماذا يجب أن نفعل؟».

سألها إيوجين: «هل يمكنك أن تعرفي من تكون؟».

- نعم.

انحنى سولبي على الجانب الآخر من المرأة، وحرّكت يديها
المرتعشتين عبر المنزر الأبيض نحو جيب السيدة، وسحبتُ هويتها
الخشبية قائلة: «إنها حقًا ممرضة قصر، اسمها الممرضة كيونجهي».

لم أسمع قط بالممرضة كيونجهي، إنها على الأرجح تعمل في أيام
غير التي أعمل بها. وإن لم نتحرك سريعًا يمكن أن نخسرها. لكن كيف
يتعامل المرء مع حادثة شبه غرق؟

شَلَّتْ عقلي نوبةٌ من القلق، فعجزتُ عن التذكُّر، لكنني تشبَّنتُ
بأطراف انتباهي وركَّزتُ، قَلْبْتُ في عقلي كل الصفحات التي درستُها،
كل الصفحات التي حفظتها في دراستي، وقلتُ أخيرًا: «نحتاج إلى
إنعاش تنفسها بالكامل، وفورًا».

أومات سولبي بحماس: «يمكنني أن أساعدك في ذلك يوينو-نيم». بحركةٍ مدربةٍ ماهرة، ضغطتُ سولبي على أنف الممرضة، ثم وضعتُ فمها على فم كيونجهي لتنفخ الهواء في رئتيها.

أبقيتُ أصابعي على نبض الممرضة كيونجهي أستمع عن قرب، وبعد بضع دقائق طويلة ومؤلمة ارتفع جسدها، وخرجتُ شهقةً قوية من فمها، تلتها سعال عيفة ورغوة وردية على شفتيها. مزَّق الألم المبرِّح تعبيراتها، بينما أمسكتُ صدرها وهي تعاني للحصول على الهواء، كما لو أنها ما زالت تغرق. بقيتُ أنا وسولبي بجانبها نحاول تهدئة القلق الجامح البادي في عينيها.

صرخت الممرضة كيونجهي: «ما الذي يحدث؟ م... م... ماذا حدث؟».

قال إيوجين بلطفٍ: «تعرّضتِ للهجوم، هل تتذكرين أي شيء مما حدث؟».

دخلت الممرضة في سعالٍ عنيف بضع دقائق، وعندما سألتها إيوجين مرةً أخرى، أجابت أخيرًا: «أنا... أنا فقط أتذكر أنني كنت أنتظر آرام».

خرجت الكلمات منها مهزوزةً وهي تعاني. تدورُ عيناها الحمران في المكان حولها، ثم أكملت: «نحن نذهب إلى القصر معًا دائمًا. لا أتذكر أي شيء آخر بخلاف ذلك... انتظر آرام».

آرام. كان الاسم مألوفًا جدًا... لكن لماذا؟

سألت: «أين آرام إذن؟».

- أنا... أنا لا أعرف.

غمغم إيوجين: «لعلها إما ركضت كي تهرب من المهاجم، وإما أنها لم تغادر منزلها من الأساس».

اندلعت موجةً من الهمسات بين الضباط الخمسة الواقفين حولنا. نهض إيوجين ببطء على قدميه، ووضع يده على مقبض سيفه المعلق على خصره: «دامو سولبي، افعلي كل ما بوسعك كي تستقر حالة الممرضة كيونجهي». ثم نظر إلى الضباط الآخرين: «اثنان منكما يحرسان الضحية، لا يمسهما أي سوء. والبقية تستمر في البحث عن القاتل. سأذهب أنا إلى منزل الممرضة آرام».

قال صوتٌ متردد: «إذا كنت تودُّ يا ناوري، يمكنني أن أقودك إلى منزل الممرضة آرام»، إنه صوت الصياد: «إنها لا تسكن بعيدًا جدًّا عن هنا».

سأل إيوجين: «هل تعيش وحدها؟».

- نعم معظم الوقت، والدها صياد زميلنا يقضي وقته كله تقريبًا في البحر.

حوَّل إيوجين نظره إليَّ، كأنه يحاول أن يسأل: هل تعرفينها؟ نهضتُ على قدميَّ، أجزُّ تنورتي المبللة بالطين، وأمشي في الوحل نحو إيوجين. قلت بصوتٍ خفيض، ووجهٍ مدار قليلًا إلى الجانب حتى لا يتمكن الضباط من قراءة شفتيَّ: «لا أعمل في أيام دوام الممرضة آرام، ومع ذلك فاسمها مألوف لي، لست واثقةً من السبب».

أجاب إيوجين بصوتٍ هادئٍ مماثل: «تعالى معي إذن، لعلها ما تزال في المنزل».

- أعرفهما كليهما؛ الممرضة كيونجهي، والممرضة آرام.

أسرع الصياد نحو ضفة النهر يسير إلى جانبي وجانب إيوجين: «لقد عقدنا اتفاقاً، كل يومين نلتقي عند قاربي، وأوصلهما إلى الجانب الآخر».

قال إيوجين ملاحظاً: «إنهما تعيشان على بُعد مسافة كبيرة من العاصمة».

قلتُ له: «ليس أمراً غريباً، كثير من الممرضات فقيرات جداً، ولا يقدرن على السكن في العاصمة».

أشار الصياد بعيداً عن النهر نحو ممر صغير يؤدي إلى البر: «من هذا الاتجاه يا ناوري». في نهاية الممر، ثمة كوخٌ مسقوف بالقش، له جدران طينية صفراء، ووراءه أشجار صنوبر، وتلال متموجة.

أكمل إيوجين: «إذن، أنت ترى الممرضتين مرةً كل يومين، لا بد من أنك سمعتَ مقتطفات من حديثهن عند ركوبهن قاربك».

تباطأت خطوات الصياد، واعتلتُ نظرة ذعر حاجبيه، ثم همستُ: «أغرب شيء يا ناوري هو أنهما لم يتحدثا قط على القارب. في كل مرة أنظرُ إليهما، تبدوان متسمرتين من الخوف، كأنني أجدف بهما نحو المسلخ». هز رأسه، وأسرعَ خطواته مجدداً: «ولكن لم تكونا كذلك دوماً».

سألتُ: «ماذا تقصد؟».

- أتذكر كيف كانتا شابتين غاية في الإشراق والابتهاج. اعتادتنا أن تجلسا في قاربي نتحدثان حول دراستهما، وامتحاناهما، والرجال النبلاء الذين أثاروا اهتمامهما، ثم في يوم من الأيام، أصبحتا صامتتين فجأة، كأن النور الذي بداخلهما انطفأ.

- متى كان هذا؟

ثمة خشونة مفاجئة في صوت إيوجين، وتركيز حاد في عينيه.
عقد الصياد حاجبيه: «متى كان ذلك... دعني أفكر... العام الماضي
تقريبًا؟ نحو أوائل العام الماضي».

- ربما في وقت قريب من بداية العام؟

- نعم، على الأرجح.

هزَّ إيوجين رأسه كأنه غير مصدّق، كأن الصياد قال شيئًا عميقًا
ومهمًا. كنتُ أتحرق كي أسأله عما يجول بخاطرهِ، ولكن مرشدنا أسرع
نحو الأمام وقال: «لقد وصلنا يا ناوري!».

وقفنا أنا وإيوجين أمام الكوخ المنعزل، لا شيء يبدو غير طبيعي،
باستثناء وجود مسارين لآثار أقدام في الطين، كلاهما يؤدي إلى الكوخ،
ثم بعيدًا عنه. تبعنا الآثار، ووصلنا إلى بابٍ مغطى بأوراق الهانجي، ثم
طرق إيوجين إطار الباب بقبضته.

قال بصوتٍ صارم ومدوّ: «يا ممرضة آرام، هل أنتِ بالداخل؟ أنا
المحقق سيو، جئتُ من مكتب شرطة العاصمة».

انتظرنا.

لم يجبنا أي صوت، لا جرجرة، ولا حتى خشخشة، أو غمغمة.

قلتُ: «يبدو أنه لا أحد في البيت؟».

أمسك إيوجين بمقبض الباب النحاسي، وهزّه قليلًا، فتحرك الباب،
فأضاف قائلاً: «ومع ذلك منزلها مفتوح».

فتح إيوجين الباب جانبًا، أصدر خشب الباب صريرًا، وانفتح على
غرفةٍ واحدة مليئة بالظلال. غمر ضوء النهار الرمادي المكان، وأضاء
ظهرَ شايّةٍ مُنكّبة على وجهها على طاولة ذات أرجل منخفضة، وذراعاها
مرتخيتان إلى جوارها.

- هل هي نائمة؟

انضم الصياد إلينا لإلقاء نظرة خاطفة، ثم تراجع متعثرًا إلى الوراء قائلاً: «هي... من المؤكد نائمة؟».

تسرّب الظلام المتجمّد من داخل الكوخ إلى داخلي، قطرةً قطرةً، حتى شعرتُ ببرودةٍ في دمي، وبالكاد استطعتُ أن أتحرّك. همستُ إلى إيوجين: «يجب أن ندخل».

بحركةٍ واحدةٍ سلسلة، سحب سيفه من حزامه القماشي، ونقرَ المقبض مُخرجًا إياه من الغمد، فلمع النصل ونحن ندلف إلى الداخل. حبستُ أنفاسي، أنتظرُ حركةً مفاجئة، أو قاتلاً يقفز عليه. لكن كل شيء في الداخل بقي ثابتًا على حاله: المرأة المُكبَّة على الطاولة، الشمعة غير المضاءة إلى جوارها، السلالُ المعلّقة على الحائط. كل شيء ثابت من دون حياة.

انحنى إيوجين على السيدة، وخلعتُ أنا على الفور صندل المطر الخشبي، ودلفتُ إلى الداخل: «هل هي حية يا ناوري...».

تجمّدتُ عندما غمَرَ بللُ جواربي، وتجمّع حول أصابع قدمي. بدأت عيناَي المحدثتان باتساع تعتادان على الظلام، وحينها رأيته، رأيْتُ الأثر الأسود للسائل المتدفّق من جسد السيدة والمُتجمّع تحت قدمي. قلت لنفسي وقلبي يخفق بقوة: إنه دم وحسب، لقد رأيْتُ الدم آلاف المرات من قبل.

همس إيوجين، ونصف وجهه في الظل، والنصف الآخر مضاء بضوء رمادي مزرّق: «إنها ميتة».

خلعتُ جواربي، ثم أكملتُ طريقي نحو الداخل بحذرٍ حافية القدمين. فتحتُ نافذةً مغطاة، فغمَرَ المزيد من الضوء الرمادي الغرفة بحيث

استطعت رؤية زي المرأة الميتة الأزرق الفيروزي. كانت ترتدي ملابس العمل، ومع ذلك حصل شيءٌ ما منعها من مغادرة المنزل.

أشار إيوجين إليّ كي أقترّب: «هل تساعديني كي نفحصها بشكلٍ أفضل؟».

وضع مقبض سيفه تحت الجثة كي يرفعها، لأنه لا يستطيع لمسها... رغم أنه لمسني من قبل، تذكّرتُ فجأةً عندما ساعدني لأتسلق سور الهيمينسيو، وعندما ساعدني لأمتطي جواده. أسرعْتُ كي أساعده، فأمسكتُ بكتف المرأة، وأنا أرفع رأسها نحو الأعلى من جبينها. التوت قسماً وجهي حين شعرتُ ببرودة جلدها. إنها ميتة، لا أحتاج تحسس نبضها كي أعرف. تكونت طبقةٌ غائمة فوق عينيها. وشقَّ شخصٌ ما حلقةا.

همستُ: «مَن قد يرتكب مثل هذا الفعل؟»، السؤال نفسه الذي أرّقني وقت مذبحه الهيمينسيو: «أي نوع من الوحوش قد يفعل هذا؟».

أجاب إيوجين: «لست متأكّداً»، حدّقنا إلى الجثة. «لكنّ ثمة شيئاً واحداً أنا واثقٌ منه؛ الممرضة آرام كانت تعرف قاتلها، لقد فتحت الباب، وسمحتُ للمجرم بالدخول، وقد حضّرت الشاي لها ولضيفها».

لم ألحظ من قبل أن على الطاولة إبريق شاي، إلى جانب وعاءين للشرب، كلاهما ما زال مملوءاً. ثمة مادةٌ بيضاء في أسفل أحد الأوعية.

سألتُ: «هل أستطيع أن أضع الجثة مرةً أخرى على الأرض يا ناوري؟».

سحب إيوجين مقبض سيفه وهزَّ رأسه.

أعدتُ الجثة إلى مكانها الأصلي، وصارت يداي حرتين، فالتقطتُ «النوري جاي شيمتونج» وفتحتها. أخرجتُ إبرةً فضية، ثم التقطتُ وعاء

الشرب الذي يحتوي على المادة الغريبة، غمستُ الإبرة فيه، وراقبتها: أخذت بقعةً سوداء تزحف على السن الفضية.
همستُ: «لقد سُممت».

بقيتُ نظرتَه مُثَبَّتَةً على الجثة: «كيف عرفتِ؟».

- نحن نستخدم هذه الطريقة عادةً في الهيمينسيو؛ عندما نشك بأن أحد المرضى قد تسمم، نُدخلُ دبوسًا فضيًّا في فمه.
مددتُ يدي إليه بالإبرة، فأخذها وتفحصها من كثب.

- تتلطح الفضة عند تعرضها للكبريت. والسايك الذي يدخل فيه الكبريت بشكل أساسي هو السم المنتشر الذي يمكن الحصول عليه بسهولة في العاصمة.

- إذن الممرضة آرام تسممت... على الأرجح دُس لها السم في الشاي وهي غير منتبهة. وفور فقدانها الوعي...

أشار إيوجين إلى شعر الممرضة آرام المرتب بعناية، والأشعث قليلًا فقط من الخلف: «أمسكها القاتل من شعرها هنا، ورفع رأسها ليشقَّ حلقتها».

قلت وأنا أشعر بغثيانٍ في معدتي: «هوجمت ثلاث نساء من القصر، هوجمت ثلاث، وقُتلَت اثنتان، بالإضافة إلى ثلاثة شهود على الأقل. وكما علمتُ انتشرت المنشورات المجهولة التي تتهم الأمير مجددًا في أرجاء العاصمة».

- نعم. أظن أن كل أفعال العنف هذه مرتبطة ببعضها بعضًا بطريقة ما.

- لكن كيف...

بدت الإجابة قريبة جدًا، كأنها مخفيةٌ بالضبط وراء ستار من الظلال، وتمنيتُ لو أستطيع تمزيقه، أردتُ أن أعرف.

مددتُ يدي إلى داخل مئذنة الممرضة، وسحبْتُ هويتها، إنها حقًا الممرضة آرام.

همستُ: «لماذا اسمها مألوف جدًا؟».

كان الإحباط ينخرني من الداخل، نهضتُ إلى قدمي، عاقدة ذراعي، وحدقتُ بانشداه بلا تعابير نحو الأمام، أحاول جاهدةً أن أتذكر. لم ألتق الممرضة آرام أو الممرضة كيونجهي من قبل، لأننا نعمل في أيامٍ مختلفة، لم نكن لنتصادف قط. إذن، لا بد من أن أحدًا ذكر اسمها أمامي... لكن من؟ ومضتُ ذكرى في طرف ذهني...

لكن قبل أن أتكن من الإمساك بها، وصلني صوت همسٍ قادمٍ من الباب: «هل هي ميتة؟».

التفتُ أنا وإيوجين فرأينا الممرضة كيونجهي واقفةً تتساقط منها مياه النهر، وشعرها ملتصقٌ بجانبَي وجهها مثل الأعشاب البحرية، جلدها ما زال مائلًا للزرقة، وعيناها متسعتان وفارغتان كقبرين محفورين حديثًا، ظهرتُ سولبي إلى جوارها منقطعة الأنفاس.

قالت الدامو: «أعتذر أيها المحقق، لكنها أصرَّت على المجيء. بدأت تصرخ والضباط أمروني بإحضارها إليك».

مشى إيوجين نحو الممرضة كيونجهي، وراقبتها بينما سرت رعشةٌ في يديها، ثم زحفتُ إلى بقية جسمها. عيناها مثبتتان على الجثة المسجاة فوق الطاولة؛ صديقتها.

- أعرف لماذا قُتلت.

ارتعش صوتها، ثم غطت وجهها بيديها الملطختين بالطين: «وأعرف لماذا يجب أن أموت أنا أيضًا».

10

تغلغلت رائحة الموت في أفكاري بعمق.

أي غضب مروع هذا الذي يدفع شخصاً كي يضرب امرأة بهراوة على رأسها، ويحتجزها تحت الماء حتى تغرق؟ ما الذي منع الجاني من التردد، من إظهار رحمته وكيونجهي تتخبط أمامه في الماء، تتلف إلى الخروج كي تحصل على الهواء؟

توترت وأنا أفكر في أن الحقيقة باتت أخيراً قاب قوسين أو أدنى. الممرضة كيونجهي تعرف الإجابات، وسينتهي التحقيق قريباً. سحبت عباءة قش جافة من جدار غرفة التخزين، وخرجت إلى الفناء، فرأيت اثنين من ضباط الشرطة يلصقان الممرضة كيونجهي بالجدار، أذرعهم معقودة، وصوتهم حاد وأمر: «إذن، من فعل هذا بك؟».

- أكيد تتذكرين شيئاً ما. رجل أم امرأة. طويل أم قصير؟

كادت العباءة تسقط من على ذراعي، وأنا أهرع إلى الممرضة التي كادت تغرق في النهر. وقفتُ بينها وبين الضابطين، ثم أحنيتُ رأسي، وقلت بأدب: «رجاء، هذه السيدة ليست بخير، ينبغي إحضارها إلى الهمينسيو، وربما يمكنكما استجوابها بعد ذلك».

تردد الرجلان، ثم تذرهما وهما يسيران ببطء لحراسة البوابة المصنوعة من الأغصان.

«خذي»، لففتُ عباءتي المصنوعة من القش حول جسد الممرضة كيونجهي المرتجف. توقف المطر، لكنني ما زلت قلقَةً من صوت تنفسها السريع المستمر. صحيحُ أنها لم تغرق، لكنني عرفتُ مرضى توفوا بعد ذلك من المضاعفات الناتجة. «تعالِي، يجب أن تجلسي».

قدتها إلى منصةٍ مرتفعة؛ بناء خشبي منخفض، لعلَّ صديقتها كانت تأكل وجباتها عليه في الأيام المشرقة، ولن تفعل ذلك مجددًا. جلسنا، وفي ظل الصمت الذي ساد بيننا تابعتُ اتجاه نظراتها؛ نظرتُ إلى الخارج نحو الفناء، ثم عادتُ بنظرها إلى داخل الكوخ إلى حيث أثارُ المقتولة ما زال حاضراً.

همستُ: «لست مضطرةً إلى الكلام حتى تصبحي جاهزة».

بقيتُ كيونجهي غير مستجيبة، لمعتُ عيناها المحدثتان، وانفجرتُ شفتاها الشاحبتان قليلاً، ما يزال تنفسها يتسارع مع الشهيق والزفير. توقعتُ ساعةً أخرى أو أكثر من الصمت، فجلستُ مستقيمةً عاقدةً رجليّ، أنتظرها.

غادر إيوجين مع دامو سولبي لسبب ما، لكن لم يمضِ كثيرٌ من الوقت، حتى رأيته يعاود الظهور عند الممر. ذراعه مطويتان، وحاجباه منعقدان وهو يدلّف إلى الفناء.

ناديته وهو يقترب: «يا ناوري». ألقى نظرةً خاطفةً نحوي وارتفع حاجباه، قلتُ: «الممرضة كيونجهي تحتاج إلى رعاية طبية».

أجاب: «نعم، طبعاً. لقد أرسلتُ دامو سولبي لإخبار القائد، وتجهيز وسيلة نقل على الطرف الآخر من النهر، سنُحضِرها إلى الهيمينسيو فور وصولهم».

نظرتُ نحو الممرضة كيونجهي، وأنا أرغب في طمأننتها، فتفاجأتُ عندما رأيته أدارت رأسها، وعيناها تتشبّثان بالمحقق.

وصلني صوتها على هيئة همسةٍ مبحوحة: «أنا جاهزة. أنا جاهزة. للحديث الآن».

تبادلنا أنا وإيوجين نظرةً مذعورة. مشى إلى الداخل، ولكن لم يقترب كثيرًا، ثم شبك يديه خلف ظهره، وقال بصوتٍ منخفض ولطيف بقدر ما يستطيع: «أعرف أنه من الصعب التحدث عن هذا الأمر، يمكنك أن تأخذي وقتك».

هزت كيونجهي رأسها بقوة.

سأل: «هل يمكنك أن تشرحي لي أكثر ماذا كنت تقصدين؟ قلت: إنكِ تعرفين لماذا قُتِلَتِ الممرضة آرام، وإنكِ أنتِ أيضًا يجب أن تموتي». شبكتُ يديها معًا، وعصرت أصابعها كما لو أن أصابعها أسرارٌ ستُنزَع منها، وقالت: «إنه في مكان ما في الجبل...»، نظرتُ إليَّ بتوتر: «سرُّنا».

همستُ: «يمكنك إخبارنا بهذا السر، إذا كان هو السبب في تعرضك لمحاولة القتل، فلعلَّك تجدين الأمان بعد إخبارنا».

حدّقتُ إلى الأسفل نحو مفاصل أصابعها البيضاء، وقالت: «سيدة البلاط أهني، والممرضة آرام وأنا... كنا شهودًا».

توترتُ بينما شعرتُ بوخزٍ ينسابُ أسفل ظهري.

سأل إيوجين ببطء: «شهودًا على ماذا؟».

ارتفعت كتفاهما، واقتربتا من جسدها، كأنها ترغب في أن تختفي. تحدثت بنبرةٍ مُحطّمةٍ، وتجعّدت ملامحها: «ق... قتل. كان في نوبة غضب بسبب والده، و... أخرج غضبه على ممرضة بريئة. ولي الع- العهد... ق-قطع رأسها... وركب حصانه ومعه رأسها».

أثار كلامها الغثيان في جوف معدتي. لا يُقدِّم الأمير على شيء كهذا، لقد رأيته يحمل جرّواً بلطفٍ بين يديه، ولا يشبه القتلَةَ إطلاقاً. السيدة هيجيونج أيضاً أكدت لي براءته، وأنا وثقتُ بها. ومع ذلك، انقبضتُ تعبيرات إيجين، واعتلى عينيه تركيزٌ يقظ، لقد صدّقها.

سأل: «إذن، ماذا حدث؟».

«هربنا واختبأنا. عرفنا أن الأمير قد رأى وجوهنا. عرفَ أننا شهدنا فعلته». فركتُ كيونجهي عينيها بقوةٍ بأصابعها المرتجفة، لعلها تحاول بهذه الحركة أن تمحو طيف الحادثة بعيداً: «غادرتُ سيدة البلاط أهني طلباً للنصيحة. لم نكن نعرف ماذا علينا أن نفعل». فلتَ منها نفسُ مرتعد وهي تهز رأسها: «يا أيتها الآلهة، أتمنى لو أننا لم نستمع إليها».

- ماذا قالت لكما أن تفعلنا؟

قالت: «عادتُ سيدة البلاط أهني وأمرتنا...»، اهتز صوتها، ثم أكملتُ: «بأن نتظاهر بأننا لم نر شيئاً. قالت: إننا إن لم نفعل ذلك لن يكون هناك سوى المزيد من الدماء... دمائنا! إذا كنا لا نريد الموت نحن أيضاً، فعلينا أن نتصرف كأن شيئاً لم يحدث».

تجمّد عقلي، لم أستطع هضمَ ما أسمعُه. ثمة فرق شاسع بين أن تسمع شائعاتٍ حول القصر الملطخ بالدماء، أن تسمع الهمسات المتطايرة في الأرجاء، وبين أن تسمع شاهدة عيان... إذا كانت كيونجهي تقول الحقيقة. لكن لماذا تكذب؟

- متى حدث ذلك؟

قالت: «في الشهر القمري الأول من العام الماضي».

اعتلى ظلُّ وجهَ إيجين: «ماذا حدث بجثة الضحية؟».

فلت منها نشيحٌ ممزوجٌ بالسعال: «أنا... أنا لا أعلم. شخصٌ ما خبأ الجثة... إنه ليس خطئي! ماذا كان علينا أن نفعل؟ أنا لست سوى خادمة. لا أحد في موقعي يجروء أن يقف ضد ولي العهد». أدارت عينها المملوئتين بالذنب نحو: «أنتِ أيضًا ما كنتِ ستفعلين ذلك، ما كنت ستحاولين إيقافه!».

همست: «بالطبع لا»، وجزء مني كان مصدقًا.

أكملت الممرضة كيونجهي: «بعد مقتل تلك الممرضة، حاولنا أن نعثر على الجثة لندفنها بشكل مناسب. آرام وأنا... بحثنا في الجبال عدة مرات، لكننا لم نعثر عليها في أي مكان».

أثقلت صدرنا شهادة الممرضة كيونجهي، حكايتها المرعبة توخز جلدي كنوازل الجليد الحادّة. سألت: «ماذا كان اسم الممرضة؟ تلك التي...»، لم أستطع إنهاء جملة: تلك التي قتلها الأمير.

- اسمها الممرضة هيو-وك.

هزرت رأسي، لم أسمع هذا الاسم من قبل.

قال إيوجين بصوتٍ هادئ، كأنه يحمينا: «هل تودين إخبارنا بأي شيء آخر؟».

«أنا...»، حدّقتُ إلى الأسفل نحو يديها وقالت: «تذكّرتُ أنني أعرت الممرضة هيو-وك منديلي، ولم أُرِد أن يكون ثمة دليل في مسرح الجريمة يشير إليّ، لذلك وقبل اختفاء الجثة، ركضتُ عائدةً وبحثت في جيوبها، ووجدت ملاحظة».

- ملاحظة؟

- إنها... إنها ملاحظة للطبيب خون.

شعرتُ بألم بين أضلاعي من هول الصدمة. همستُ: «الطبيب خون؟».

نظرت كيونجهي مرة أخرى نحوي: «المرضة هيو-وك أمه». سألتُ: «ما المكتوب في الملاحظة؟».

- أنا ل... لا أعرف، لقد أحرقتها على الفور.

قال إيوجين: «بل أنتِ تعرفين، بالتأكيد تعرفين. كنت ستقريئنها أولاً، أنا متأكد».

ترددتُ، تدورُ نظراتها في أرجاء المكان، ثم قالت أخيراً: «إنها ملاحظة عادية».

ضغط عليها إيوجين: «ما المكتوب فيها؟».

مرت بضع دقائق، ثم أجابت الممرضة كيونجهي أخيراً، بصوت منخفض جداً بالكاد أستطيع سماعه: «كتبتُ: خون مويونج، أنا قلقة عليك، لأنك لم تتحدث معي منذ فترة. تتجنبني في القصر، وتخجل من أن تُرى مع والدتك». اعتلى الذعرُ وجه كيونجهي وهي تنظر إلى بعيد، ثم أكملتُ: «تقول: إنك رجل بالغ الآن، ولا ترغب في أن تُرى، كأنك طفل أمه الصغير. ومع ذلك، مثل الطفل، تبقى بصحبة أصدقاء صبيانين يستمتعون بشرب الكحوليات، ومعاشرة النساء. لقد حذرتك ألا تصادق مثل هؤلاء الناس... وهذا كل شيء». أملتُ رأسي جانباً، شعرتُ بشيء مهم يكمن بين ثنايا هذه الكلمات، لكنني لم أستطع أن أحدد ما هو.

سأل إيوجين: «أتعرفان أنتِ والمرضة آرام الطبيب خون؟».

أجابَتْ: «نعم، ولكننا لا نعرفه جيّدًا، لقد رأيناه مرة أو مرتين فحسب، بما أننا نعمل في أيامٍ مختلفة، لكن سيدة القصر أهني كانت تتحدث عنه دومًا عندما نكون معًا».

سألتُ: «هل تعرفين الممرضة إينيونج؟ تلك التي أبلغتُ عن المذبحة؟»، ثم أضفتُ بسرعة: «أو معلّمتي الممرضة جيونجسو؟ إنها تعمل في الهيمينسيو».

تمهلتُ كيونجهي، وعقدت حاجبيها: «لا أظن ذلك، الاسمان غريبان عني». سكتنا جميعًا، وسمعتُ صوت تموج الماء، نظرتُ فرأيت ظلال ضباط الشرطة في قاربين يقتربان منا. قال إيوجين: «لقد وصلوا».

«أرجوك!»، اهتزت كيونجهي وهي تنهض على قدميها: «لا تخبر القائد بأمر الأمير. سمعتُ بمقتل فلاحين شوهاوا سمعة أحد أفراد العائلة المالكة...».

قال بصوتٍ حازمٍ يَعْذُها: «لن أفعل». لكن عندما ابتعدتُ كيونجهي، تتعثرُ في طريقها نحو سور الأغصان، غمغم بصوت خفيض: «ليس بعد».

نظرتُ إليه وقرأتُ الأسئلة في عينيّ.

قال إيوجين بصوت لا يسمعه إلا أنا: «إذا كان ما قالته صحيحًا فيجب إيقاف الأمير».

همستُ وأنا أشعرُ بأن الهمس نفسه ليس منخفضًا بما يكفي: «لكن كيف؟ ماذا لو اختار الملك أن يتجاهل الأمر؟ ولي العهد سواء أكان قاتلاً أم لا، ما يزال ابنه، سيُسيء الأمر له، ولعائلته».

اعتلت وجهه نظرةٌ حازمة: «فصيلُ التعاليم القديمة هو الفصيل الأقوى، وهم يتوقون إلى التخلص من الأمير، فأفكاره ثورية جدًا بالنسبة إليهم، كما أنه يعتزم توزيع سلطتهم الموحدة على الفصائل الأخرى. إذا زوّدتُ فصيل التعاليم القديمة بدليل قاطع على جرائم العنف التي ارتكبتها سموه، سيأكلونه حيًّا. كي نقلب الملك على ابنه، علينا أن نُحرِّك أولئك المحيطين بجلالته».

لم يَرُقْ لي ذلك. مرَّرتُ يدي على حلقي، وتمنيتُ فجأةً أن يكون هذا كابوسًا وينتهي. بدأتُ بمساعدة إيوجين معتقدةً أنني أقدر على اكتشاف الحقيقة من دون التعرض لأذى. ومع ذلك فإن تحذير السيدة هيجيونج يحوم فوقِي الآن، قريبًا جدًا من جلدي: التماسُّها بألا أُزعج العائلة المالكة. كدتُ أتفوه بكلماتٍ تشكَّلتُ على طرف لساني، كلمات عن عدم رغبتِي في الاستمرار بالمساعدة، وأن هذا التحقيق بدأ يخرج عن السيطرة، لكن حينها قفزت ذكرى ما إلى عقلي، فهمستُ: «لقد تذكَّرت، تذكَّرت لماذا اسمُ الممرضة آرام مألوف بالنسبة إليَّ».

عبس إيوجين: «لماذا؟».

ذكرت السيدة هيجيونج اسمها أمامي، قلتُ: «إنها أيضًا جاسوسة لصالح مدام مون». تسارعت دقات قلبي بقوة، كنت خائفةً لكن غير قادرة على غض نظري عن الخيط اللامع الذي يربط أولئك النسوة: «سيدة البلاط أهنبِي والممرضة آرام كلتاها جاسوسة لها».

أخبرتني النظرة التي اعتلت وجه إيوجين بأنه يفكر في الشيء نفسه؛ موت إحدى الجاسوسات قد يكون مصادفةً، لكن موت اثنتين؟

التقطتُ طرف تنورتي، وأسرعتُ خلف الممرضة كيونجهي التي تحدَّق إلى النهر.

قلت بصوتٍ لاهث: «يوينيو-نيم، لدي سؤال أخير، هل جندتك مدام مون كي تكوني جاسوسةً لها؟».

وهنت شفتاها، وأظلمت عيناها بنظرة مريرة: «لقد ابتزتنا كي نتجسس لصالحها. بشكلٍ ما عرفتُ فعلتنا... أو بالأحرى ما لم نفعله».

بالكاد استطعت أن أحبس شهقتي. تمتلك مدام مون موهبةً بارعة في الابتزاز. ولسببٍ ما، كنتُ متأكدةً أنه عندما قتل الأمير الممرضة، وقطع رأسها العام الماضي، هرعتُ سيدة البلاط أهني إلى سيدتها طلباً للنصيحة، ولا بد من أن مدام مون تساءلت فوراً كيف يمكنها استخدام هذه القصة المروعة لصالحها.

- انتظريني في الخان.

نظرتُ إلى إيوجين، كان محدقاً إلى حشد من الفلاحين المرضى المجتمعين أمام الهيمنسيو، عند الباب المنزلق السابع إلى اليمين. إنها الغرفة التي وضعنا فيها الممرضة كيونجهي، وأصبحت الآن تحت حراسة ضباط الشرطة.

قال بصوتٍ منخفض: «يجب أن أقدم تقريراً إلى القائد، لكن فور انتهائي، ثمة شيء يجب أن أقوله لك».

مررتُ يدي المضطربة على تنورتي. حين تحدثنا في الخان آخر مرة، أباح لي بأنه ليس خادماً مثلي، ولكنه محقق شرطة. أتساءل ما الذي لم يخبرني به بعد. أجبتُ: «جيدٌ جداً، أظن أن الخان سيصبح مركز قيادتنا».

ارتعشت شفتاه، تعلوها شبه ابتسامة وقال: «أظن ذلك».

ذهب كل منا في طريقه، أسرعُ خطواتي لأبتعد عن فوضى السوق. حين خرجت أخيراً من القلعة وصرت على الطريق الهادئ، أخذتُ نفساً عميقاً. بعد أيام من التحقيق الذي بدا كأنه ليس إلا سلسلة من الأسئلة المحيرة، توصلنا أخيراً إلى بصيص من الحقيقة. حقيقة واضحة جداً وجليّة، كأنني قضيت أياماً والضباب قابُحٌ على عينيّ، قبل أن أتمكن في النهاية من مسحه للحظة وجيزة كي أرى بوضوح، والآن أريد رؤية المزيد.

كنا على بُعد خطوةٍ واحدة من الحقيقة.

مددتُ ذراعي نحو السماء أتحسسها بيدي الأخرى كي أخفف التشنُّج في ظهري.

شعرتُ بحفيفٍ خفيف عبر عيدان القصب المجاورة لي، فتجمّدتُ. نظرتُ خلفي، فلم أر سوى شارع فارغ ينعطف بعيداً عن الأنظار حول حقل من العشب الطويل، وضباب متموج مثل أرواح مضطربة. غمغمتُ وأنا أنزلُ ذراعي: «إنها الرياح وحسب»، تسارعت دقات قلبي عندما تذكرتُ الفلاح الذي قُتل هنا.

مشيتُ خطوةً أخرى نحو الأمام، ثم سمعته مجدداً: حفيف العشب، تبعه صوت خطواتٍ تخوض في الطين، شخص ما خرج من حقل القصب خلفي.

ما زال وقع الأقدام يقترب نحوي، وكل ذرة فيّ تهمس: أنتِ مُلاحَقةٌ. أمسكتُ بتنورتي وأسرعُ خطواتي، خطوات واسعة تحوّلت إلى جري عندما سمعت الشخص الذي يلاحقني يزيد من سرعته.

انزلقت الأرض السميكة الرطبة تحت أقدامي، وحين علقت إحدى فرديّتيّ حذائي في الطين، خاطرتُ ونظرتُ إلى الخلف. فلتتُ مني شهقةٌ

عندما رأيتُ رجلاً نبيلًا، فهو يلبس لبس النبلاء: قبعة سوداء طويلة، تغطي حافتها العريضة أحد حاجبيه، وشاح أحمر ملفوف حول وجهه. وتسربل بثوب أبيض ناصع ملطخ بالدماء.

صرخ عقلي: اركضي! واستطعت أن أستدير، وانطلقت نحو الأمام. خدّرتني الذعرُ، فلم أعد أعرف إلى أي مدى ركضتُ، أو لماذا كنتُ أزحف على يديّ وركبتيّ، أو متى غادرتُ الطريق. أزحتُ جانبًا عيدان القصب الناعمة، وأنا أندفع عبر الحقل، وعندما نظرتُ خلفي لأرى ما إذا كنت وحدي، انطلقتُ يد بسرعة، وأمسكتني من ياقتي، وألقت بي. اصطدمتُ كتفي بالأرض وتدحرجتُ منقلبةً على ظهري في الوقت المناسب، فرأيتُ نصلًا يلمع فوقِي، كأنه نابٌ مكشوف.

فلتت مني صرخة، وأغمضت عينيّ بقوة وأنا أنتظر أن يخترق المعدن الصلب جسدي. لكن حينها سمعتُ صوتَ وقوعٍ، وزفيرًا. عندما فتحت عينيّ، لم أر إلا القصب المتمايل، والسماء الباهتة.

زحفتُ على رجليّ المهترئين، ونظرتُ حولي حتى وقع نظري على هيكل طويل، ومألوف، إنه المحقق الشاب، صدره يعلو، كأنه ركض الطريق كلّهُ إلى هنا. لم يكن هناك وقت لأتساءل كيف عثر عليّ، إذ نهض المهاجم على قدميه، وقد غطّى الطين جانب ثوبه بعد أن دُفع بعيدًا، وسقط على الأرض.

رفعَ إيوجين سيفه وأخرجه قليلًا من غمده، فسمعتُ همسةَ الفولاذ البارد، وقال: «ابقيّ بعيدة».

بقي الرجل النبيل صامتًا، وبرشاقة وسلاسة صوّب سيفه بشكلٍ أفقيٍّ مستهدفًا قلب إيوجين.

همس إيوجين: «اختبئي»، وعرفتُ أنه يتحدث إليّ، رغم نظرته التي بقيت مثبتّة على المجرم الواقف أمامه.

بحركة حذقة واحدة، سحب إيوجين سيفه، ثم ألقي الغمد جانبًا، وأمسك بالمقبض بيديه الاثنتين، اندفع نحو الأمام بسرعة مذهلة، مُقلِّصًا مسافة العشرين قدمًا من العشب التي تفصل بينهما بسرعة. لمع نصله وهو يسدد، لكن الرجل النبيل تفادى ضربته، اصطدم الفولاذ بالفولاذ، وتردد صدى الرنين المذهل في عظامي. كلُّ شيء يحدث بسرعة جدًّا، وبالكاد أستطيع أن أتابع ما يجري. لم أعد أفكر في الاختباء وأنا أراقب تفجّر الحركات السريعة؛ في لحظة ما يتواجهان بالسيف، وفي التالية يتقهقران إلى الوراء، وبعد ثانية كانا في الهواء، تخفّق ملابسهما، وتصطدم سيوفهما.

تدفق فجأةً شريطٌ من الدم في الهواء، أعقبه لحظة صمت وثبات. لمن هذا الدم؟

ترنّح الرجل النبيل، وحينها اندفع إيوجين إلى الأمام كي يهاجمه. طار سيف الرجل، واختفى في بحر العشب الطويل المتمايل. «من أنت؟»، صوّب إيوجين نصله نحو خصمه بزاوية استعداد: «أخبرني الآن».

بقي الرجل النبيل صامتًا، بلا حراك، وهو يحدّق إلى إيوجين، يتأمله، مُتذكّرًا كلَّ تفصيل في وجهه. ثم استدار وجرى باتجاه سيفه، التقطه، واستمر في الركض، كتفه تلمع بدمه الأحمر القاني.

فور اختفاء الرجل النبيل، هرعْتُ، والقصب يرتطم بوجهي، وعندما وقفت أمام إيوجين، كان نفسي قد انقطع. كان إيوجين منحنيًا إلى الأمام، يداه على ركبتيه بينما يتلأأ العرق تحت حافة قبعة الشرطة. سألتُ: «ألا يجب أن نمسك به؟».

أجاب إيوجين بصوتٍ خشن: «لا يمكن المخاطرة، يمكنه أن ينسل مرة أخرى إلى الحقل ويختبئ، وفي اللحظة التي سأغادر فيها، سيأتي باحثًا عنك».

- لكن يمكنني أن أتبعك...

تجمّد انتباهي عندما رأيتُ شقًا في ثوب إيوجين. ظننتُ أن المهاجم وحده هو الذي أصيب، لكنني رأيتُ بقعةً داكنة على الحرير الأزرق تتسع وتمتدُّ على طول أسفل ساقه. خفق قلبي بسرعة في صدري، كان من الممكن أن يموت إيوجين، وهذا الخاطر جعلني لا أقوى على الحراك. قلتُ بصوتٍ مختنق: «أنت... أنت تنزف».

«أنا بخير، جرح بسيط». مسح حاجبه، ثم سحب نفسه نحو الأعلى ليقف، وقال: «كان يجب أن أصيبه في مكان أكثر وضوحًا، علامةٌ نبحث عنها بين المشتبه بهم». مرّ مترنحًا من جانبي، حاجباه منعقدان بتركيز، بينما يحدّق إلى الغابة القريبة حيث اختفى الرجل: «ثمة شيء واحد مؤكد نعرفه عن هذا الجاني؛ إنه يعرف كيف يقاتل».

كان من الصعب التركيز على أي شيء آخر، بخلاف ثوب إيوجين الملطخ بالدم، والمتطاير مع النسومات.

سأل: «هل ذكر الطبيب خون ذات مرة أنه تعلّم القتال بالسيف؟». لم أنتبه لسؤاله إلا بعد لحظة، ثم أشحت بنظري بعيدًا عن إيوجين، ونظرتُ إلى الأمام نحو الغابة: «لا، لكن الطبيب خون يمتلك كتابًا عن الفنون العسكرية في منزله. ربما علّم نفسه المبارزة بالسيف».

غمغم إيوجين: «هذا الشخص مقاتلٌ بارعٌ جدًّا. من غير المرجح أن يكون هو، لكن إذا صح ذلك، فالطبيب خون لديه دافعٌ بالفعل، قُتِلت أمه، والسيدات اللاتي قُتِلن مؤخرًا شاهداتٌ على موتها».

- لكنهن لسن سوى شاهدات... ساعدن في التستّر على جريمة

القتل، ومع ذلك فإنهن لم يفعلن ذلك بدافع خبيث.

- نحن لا نعرف القصة الكاملة بعد. لدي شعور بأن ثمة أمورًا أخرى

غير التي أخبرتنا بها الممرضة كيونجهي.

نظرتُ إلى الأسفل نحو ثوبه المشقوق، ترددتُ ثم سألته: «هل

تريدني أن أفحص جرحك؟».

قال: «الظلام يزداد، ليس من الحكمة البقاء هنا فترةً أطول». بحث

عن شيءٍ ما بين القصب وهو يترنح، ثم عاد ومعه غمده، سيفه الآن

مُغمّدٌ ومعلّقٌ على خصره. «يجب أن نغادر».

مشيتُ بالقرب منه، جاهزة لتقديم المساعدة له، وبينما نخوض في

الحقل الشاسع، عاد سؤالٌ يلح على عقلي: «كيف عثرت عليّ؟».

- رأيتُ حذاءك.

واصل استطلاع المكان للتأكد من أننا وحدنا، وأكمل: «ثم اختفت

آثارك عند حقل القصب».

- لكنك ذهبت إلى مكتب الشرطة.

قال وقد أصبح صوته مترددًا: «غيّرتُ رأيي»، ثم نظر إليّ من بين

رموشه، وغمغم: «أردتُ التأكد من وصولك سالمة إلى الخان. لست

أحمق؛ لأتركك وحدك بعد جريمة قتل جديدة».

اجتاحتنى الحيرة وأنا أتبعه إلى الخارج نحو الطريق، حيث ما

يزال حذائي هناك. انحنى رغم جرحه، وأخرجه محررًا إياه من الطين.

أمسكتُ كتفه بحذر؛ كي أحافظ على توازني وأنا أضع حذاء الناماك

الخشبي بخفةٍ في قدمي.

قال ناهضاً على قدميه: «يجب أن تكوني أكثر حذراً». نظر مرةً أخرى خلفه نحو حقل القصب في الاتجاه الذي هرب منه المهاجم، وقال: «أياً كان هذا الرجل، فإنه يعرف كيف يستخدم السيف ببراعة، ويعرف أنك متورطة. ولن تكون المرة الأخيرة التي سيهاجمونك فيها».

قلت: «أو يهاجمونك أنت، أنت في خطر كبير مثلي».

أخيراً التقت عينانا، وهمس: «أظن ذلك».

- لكن لا تخف، المرة القادمة سيكون دوري.

- دورك؟

- لأحميك.

تكلّمت من دون تفكير، لكنه لم يضحك على كلامي، على العكس بدا كأنه يدرسُ عرضي بجدية: «هل هذا وعد؟».

رمشتُ، وترددتُ للحظة: «إنه وعد».

مدّ يده، فحدّقتُ إليها، لم أعقد اتفاقاً مع أي شخص من قبل قط، فالجنود في ميادين المعارك هم من يتصافحون، يتصافحون تعهداً بأن يكونوا رفاقاً، ومع ذلك مددتُ يدي.

التفتُ أصابعه الدافئة حول يدي، وضغط كفه المجروح على كفي، وتصافحنا.

قال بهدوء، وعيناه تتشبّثان بعينيّ مثل أيدينا: «عندما يحين الوقت، احميني، وأنا سأحميك دائماً».

رشق المطر ستار ورق الهانجي في غرفة الخان، لقد وصلنا إلى الداخل في الوقت المناسب.

قلتُ وأنا أجلس: «إذن، ماذا قصدتُ أن تخبرني سابقًا في الهيمينسيو؟».

تمايلتُ الخرزاتُ المعلقة حول قبعة إيوجين وهو يجلس أمامي، وعندما حرَّك ساقه جفل قليلًا. من الواضح أن جرحه مؤلمٌ أكثر مما يُظهر. قال: «قبل عام ونصف، أصبحت مساعدًا لـ «أمهاينجوسا».

همستُ عابسةً: «محقق ملكي سري. ألهذا كنت ترتدي ملابس فلاح عندما التقينا أول مرة؟ هل كنت متخفيًا؟».

أوضح بهدوء: «لا، العمل مع محقق سري علَّمني مدى سهولة جمع المعلومات وأنت متنكرٌ. يتردد عامة الناس في التحدث بحرية مع ضابط، ولهذا ارتديت تلك الملابس، لأجمع معلوماتٍ حول قضية، قضية كنت على وشك إخبارك عنها». انتظرتُ بينما تمهل، والمشاعر تتسرَّب من عينيه.

قال: «أبي كان «الأمهاينجوسا».... عندما تسلم مهمته في عام 56 ذهبْتُ معه. كانت حركةٌ جريئةٌ منه أن يطلب مني أن أتبعه، لكنه كان قلقًا في شأني. فمِنذُ أن نجحت في الامتحان في سن مبكرة، أصبحت فخورًا جدًا بنفسِي، ووجدت أنني مُرحَّبٌ بي في صحبة الأغنياء والفاستدين، وهو خشي عليَّ، أرادني أن أحب العدالة، أن أحب الناس بقدر ما فعل هو. لذا أخذني معه».

أكمل: «مهمة أبي كانت ببساطة التحقيق في أمر قاضي مقاطعة بيونجان». أخفض إيوجين نظره، وتلاَّأت نظرةٌ بعيدة في عينيه كما لو أنه فصل نفسه عن هذه الذكرى، ذكرى مؤلمة جدًا بحيث لا يتحمَّلها. «استطعتُ أن أحصل على وظيفة خادمٍ في مكتب القاضي. وهناك اعترضتُ رسالةً تزعمُ أن ولي العهد قد غادر القصر خفيةً كي يبقى في القرية، لكن القاضي كان خائفًا جدًا من الإبلاغ عن تلك الواقعة، خائفًا

جداً من أن يُبلِّغ الملك بأمر الأمير. وفي الأسبوع نفسه، عثروا على قرويٍّ مذبوح، وفي وقت لاحق عثرتُ أنا في الغابة على رأس امرأة مقطوع». خطر في بالي فوراً: الممرضة هيو-وك، ضحية الأمير...

- ووالدي، مطعوناً حتى الموت.

غرزتُ أظفاري في راحتي، لا يسعني إلا التحديق إليه؛ كيف يجلس بثبات هكذا، كأنه منحوتٌ من الثلج، وجهه خالٍ من أي تعبيرات، عيناه خاليتان من الدموع، كيف يمكن لإيوجين أن يتحدث عن مثل هذا الرعب بوجهٍ صارمٍ بلا تعابير.

- ظننتها ممرضةٌ محلية بسبب «الجاريمان» المُثَبِّتة على قمة رأسها.

لكن لم تتعرف أيُّ من ممرضات المكتب الطبي المحلي على الصورة المرسومة لوجه المرأة. قلن لي: إنها لا بد من أن تكون ممرضة قصر، لأن «الجاريمان» الخاصة بها مصنوعة من الحرير.

سألته بلطف: «ومن ثمَّ ماذا حدث؟ لقد قُتِل والدك. هل أجرى القاضي أي نوع من التحقيق؟».

زاد بريق عيني إيوجين: «فعل كل ما يستطيع كي يدفن القصة بأكملها. قدَّم رشوةً لرئيس الشرطة المحلية، وللشهود، واستغلوا رجلاً له تاريخ إجرامي، واستعملوه كبش فداء، مُلقين اللوم عليه في وفاة والدي. صدَّق الملك التقرير، ومع رحيل أبي، شعرت بالعجز».

- وعندما عدتُ أخيراً إلى العاصمة بعد بضعة أيام، عُيِّنت محققاً في الشرطة، واستجوبت أكبر عدد ممكن من ممرضات القصر. كنت أملُ أن يقودني اكتشاف حقيقة مقتل الممرضة هيو-وك إلى اكتشاف ما يكفي من الأدلة لدحض أكاذيب القاضي. لكن لم يخبرني أحد بأي شيء.

همست: «حتى الآن».

أجاب بصوتٍ رقيقٍ جدًّا: «نعم، تُطابق شهادة الممرضة كيونجهي ما اكتشفته بنفسِي؛ ممرضة قصرٍ يُزعم أنَّ ولي العهد قطع رأسها في الشهر القمري الأول من العام الماضي...».

تمنيتُ... كم تمنيتُ أن يكون الأمير بريئًا بشكلٍ ما. تمنيتُ ذلك من أجل السيدة هيجيونج، ومن أجل مستقبل سلالتنا الحاكمة، لكنني الآن رأيت أن هذا الأمل ساذج.

مكتبة سر من قرأ

- هل تظن فعلاً أن الأمير قتل...

لكن قبل أن أتمكن من إنهاء جملتي، انفتح الباب، ودلفت الخادمة المتندبة الفم، أحضرت الماء المالح الذي طلبته، بالإضافة إلى قطعة قماش نظيفة ومادة للصق، وكعادتها غمزت لي، غير أنها هذه المرة سألتنا: كم طفلاً ننوي أن ننجب؟ وأمام صمتنا المطبق، هرعت مرتبكة، وأغلقت الباب خلفها.

باتت الغرفة صغيرة جدًّا فجأة، وصار الجو متوترًا قليلًا.

فرك إيوجين حاجبه، ثم نظر بعيدًا، وبدا مرتبكًا.

تنحنحتُ، وقلتُ بطريقة رسمية جدًّا: «قبل أن نُكمل حديثنا، عليّ الاعتناء بجرحك يا ناوري».

- يمكنني الاعتناء بنفسِي...

- لا داعي للحرص، هذه وظيفتي.

غمغم: «لستُ محرجًا»، ثم على مضض أشار إليَّ بأن أتابع.

يرتدي الرجال سراويل بيضاء تحت أثوابهم، وتحت القماش المشقوق رأيتُ جرحًا داميًا، حيثُ اخترق السيف رجلَ إيوجين. شعرتُ

بالانزعاج في تلك اللحظة، ثم خفَّ هذا الشعور ببطء، وهذا ذهني وأنا أفحص إصابته.

قلتُ وأنا أمسح الدم بالماء المالح: «يبدو الجرحُ مخيفًا للوهلة الأولى، لكنه سطحي، وينبغي أن يُشفى من تلقاء نفسه إن لم يُصَبَّ بعدوى. ومع ذلك، يتعيَّن عليك زيارة طبيب لاحقًا».

حالما نظَّفتُ جرحه، مددتُ يدي إلى شريطٍ من القماش، ولففته بحذر حول أسفل رجله. وكى أُنْقى ذهنيًا نحن الاثنين مشغولين، قلتُ: «كنت أسألك قبل قليل، هل تظن حقًا أن الأمير قتل والدته الطبيب خون، الممرضة هيو-وك؟».

أجاب: «نعم أظن ذلك، ولست متفاجئًا. الكثيرون في الحكومة -بما فيهم أبي- شعروا أن الأمير يمرُّ بنوبات غضب عنيفة. بدأ ذلك منذ «الداريشونجغونج»»⁽¹⁾.

أُحْنيتُ رأسي مُقرَّةً بما يقول. تذكَّرتُ كيف ارتبك الجميع حين سمعوا إعلان الملك عن تعيين ولي العهد جانجهيون وصيًا على العرش، رغم أن حالة الملك الصحية جيدة، بحيث يُقدَّر أن يحكم من دون مساعدة.

قال إيوجين: «يجب أن يُنظر إلى الأمير على أنه الحاكم، لكن لا أحد في البلاط يعامله على هذا النحو. عندما يأخذ الأمير قرارًا في البلاط، يعترض عليه الملك. وعندما يماطلُ الأمير، ويلجأ إلى أبيه طلبًا للنصيحة، يوبَّخه الملك؛ لكونه أحق غير قادر على اتخاذ قراراته. سمعتُ أنه منذ ذلك الحين صارت طباع ولي العهد حادة، سينفجرُ غضبه قريبًا، أو لعله انفجر بالفعل».

سألتُ: «إذن هل تظن أن الأمير وراء مذبحة الهيمينسيو؟».

(1) الوصاية على العرش. (الترجمة)

قال بحزم: «لا، المنشور المجهول ينتشر في الأرجاء... لدي شعور بأن التهمة تُلقَى له على سبيل الانتقام، خصوصًا الآن بعد أن علمنا أن هذا العنف ربما قد اندلع بسبب مقتل الممرضة هيو-وك».

- إذن، فلا بد من أن الطبيب خون متورط، كل شيء يشير إليه، أليس كذلك؟

- نحتاج إلى المزيد من الأدلة لإقناع أي شخص... سواء أكان هذا الشخص القائد سونج، أو الملك، أو فصيل التعاليم القديمة.

مررتُ إصبعي على الجلد القاسي في إبهامي. كلما أطلتُ التحديق إلى إيوجين ازداد موت والده وضوحًا في ذهني، أرى صورة الابن الذي يحتضن والده المطعون؛ عالمه كله ينزف بين ذراعيه. همستُ: «لكنك تعرف الآن على الأقل أن الأمير على الأرجح هو من قتل والدك... ماذا ستفعل؟».

انتظرتُ متشبَّهةً بصمته، يجب أن يقول: سأسعى للانتقام، فوفاء الأبناء لأهلهم هو العمود الفقري لهذه المملكة.

سألني: «لماذا تنظرين إليَّ هكذا؟».

رمستُ: «كيف أنظر إليك؟».

- كما لو أنني أحرق يرثى له.

ترددتُ قبل أن أقول: «لأنني أعرف ماذا ستفعل، ستسعى إلى الانتقام من ولي العهد، أو ستموت وأنت تحاول».

قال بصوتٍ خفيض: «انتقام... في كتاب طقوس لي تشي، تعلَّمنا أن الابن مُلزمٌ بقتل قاتل أبيه، حتى لو اضطر إلى فعل ذلك في وسط طريق عام. لكنني لا أنوي فعل ذلك». ثبَّتَ عينيه عليَّ، عيناه صافيتان، وجليَّتان مثل تفكيره، وقال: «بعد موت أبي، أدركتُ أن كل شيء نعتزُّ

به قد يؤخذ منا، باستثناء شيء واحد: الدروس التي تعلّمناها، الأشياء التي علّمني إياها أبي». تمهّل، ثم أكمل: «قبل أن يموت، طلب مني أن أسعى إلى العدالة... ليس إلى الانتقام. لقد تأملتُ هذا الرجاء أكثر من عام، وعندما خدمتُ في مكتب الشرطة، أدركتُ أن ثمة فرقًا حقًا، فرقًا دقيقًا بين الاثنين».

انعقد حاجباي وأنا أتفحص الكلمتين، وأوازنُ بينهما بنفسي.

- الانتقام يُولّد الانتقام، والغضبُ لن ينطفئ. نتحولُ نحن إلى الوحوش الذين نحاول معاقبتهم. بينما العدالة تضع حدًا للانتقام، وهذا ما أريده، ولا يمكن الوصول إلى ذلك إلا بالمحافظة على الرصانة والمنطقية. وفي نهاية الأمر، ليس من حقي أنا معاقبة الأمير، فهذا حقُّ الملك، حقُّ الملك وحسب. كل ما يسعني فعله هو إيجاد دليل كافٍ لأجعل الحقيقة غير قابلة للإنكار.

زفرتُ، امتلأ صدري بثقل التحقيق.

قال ونظرته تتحوّل بعيدًا عني: «لا تقلقي من هذا الأمر، لا تُقلّقي نفسك بعد الآن بأمر ولي العهد، أو بأمر بقية المشتبه بهم». سألته: «ماذا تقصد؟».

استمر في تجنب النظر إليّ: «بخصوص ما حدث في الحقل... لقد فكرت في الأمر مليًا، وأخشى أن هذا التحقيق يزداد خطورة. لذا، سيكون من الأفضل ألا تتورّطي فيه أكثر من ذلك».

عبستُ: «هل تريد إقصائي عن التحقيق؟».

- أنا نادِمٌ على جرّكِ إليه من الأساس. من الآن فصاعدًا، ابتعدي عن المشكلات، وتجنبي الذهاب إلى أي مكان بمفردك.

أمسك بالحائط، ووقف على قدميه بصعوبة، فتبعته. قال: «الوقت متأخر، سأرافقك إلى المنزل...».

تحركت بخفة، وأغلقتُ عليه الطريق، ثم نظرتُ إليه رافضةً أن أبعد نظري، وقلت ضاغطةً عليه: «أنت تحتاج إلى مساعدتي، كل شيء في هذه القضية يشيرُ إلى القصر، ومن دوني فأنت كمن يمشي نحو حافة الهاوية معصوب العينين».

قال: «أعرفُ أنكِ محقّةٌ»، ثم شحذ صوته، وتكلّم بنبرة حادة صارمة: «لكنني أعرفُ أنكِ قد تخسرين كل شيء، بما في ذلك حياتك. ولا يمكن أن أسمح بحدوث ذلك...».

غضبتُ من كلامه، وارتبكت حتى شعرتُ بوخز في صدري: «لكن هذه حياتي أنا. قلتُ: إنني سأساعدك، وعنيّتُ ذلك. لماذا تخاطر بتحقيق كامل لتحميني؟».

عبس وهو ينظر نحوي، كأن عنادي أربكه، وقال: «رأيتك على وشك الموت اليوم. شاهدتُ رجلاً يحمل نصلاً فوق حلقك». تشنجت عضلات فكه، وشحب وجهه: «أنت ذكية، وبارعة، ولديك حلم. جيون حَكَّتْ لي كل شيء. لذا، أرجوكِ استمعي إليّ، ولا تتركي هذا التحقيق يدمرك. سأفعل كل ما بوسعي كي أنقذ معلمتك، لذا فقط...»، اعترت الخشونة صوته وهو يهمس: «عديني بأن تبقي بعيدة عن هذه القضية من الآن فصاعداً».

لم أرَ إيوجين مكروباً إلى هذا الحدِّ، ومَرَّتْ لحظةٌ شعرت فيها بأني أرغبُ بأن أستسلم، ولو كان ذلك لأمسح الحزن عن وجهه وحسب، لكنني كنتُ أعرفُ نفسي جيداً أيضاً، كنتُ أعرفُ أنني لن أتوقف إلا عندما أجد إجابات على كل أسئلتي.

ذكَرْتِه بلطف: «لقد عقدنا اتفاقاً، كلُّ منا سيعتني بالآخر. لن يتأذى أحد، لن يخسر أحد أي شيء».

قال محدّرًا: «أنتِ تعرفين أن ذلك غير صحيح».

أكملت: «حسنًا... الواقع كما يلي: إما أن تسمح لي بمساعدتك، وإما أن تتخلى عن مساعدتي، وسأجِد الحقيقة بنفسِي. فأيهما تختار يا ناوري؟».

حدّق، وتشكّل خطٌ بين حاجبيه، ثم أومأ برأسه وغمغم: «لا بد من أنك كنتِ جنرالًا في حياتك السابقة، جنرالًا عنيدًا بشكلٍ مزعج».

ابتسمتُ له ابتسامةً باهتة: «أعدك، سأعرفُ كيف أعطني بنفسِي».

أطلقَ زفرةً وهو يعودُ إلى الاستلقاء على الأرض مجددًا، وغطّت وجهه ملامحُ هزيمة تامّة. استند على الجدار، ماديًا رجليه الطويلتين بعض الشيء، ويده مستقرتان على ركبتيه المطويتين. في فترة الصمت التي تلت ذلك، شعرتُ بنظرته تدرسني وقتًا طويلًا، حتى امتد تورّدي إلى صدري، وزحف نحو حلقي.

ارتسمت ابتسامةٌ متجهمةٌ خاليةٌ من أي فرح على زوايا شفّتيه: «لقد شهدنا إعدام رجل، وعرفنا بعضنا بعضًا على مدى خمس جرائم قتل أخرى. كما أننا نعمل على قضية من المرجح أن تتسبب في مقتل أحدنا على الأقل، ومع ذلك لا ينوي أيُّ منا التخلي عنها. هل هذا يجعلنا أصدقاء؟».

اجتاحني فجأةً رغبةٌ عارمةٌ في الضحك، الضحك على الوضع المرعب، والسخيف الذي وجدت نفسي فيه، ومن شعوري بالدهشة من أنّ أحلك الأوقات قد أدخلت صديقًا على حياتي.

واصلنا مناقشة التحقيق حتى المساء. تبادلنا الأسئلة محاولين العثور على إجابات للمستعصي منها. أمشي قليلاً في دوائر عاقدة يدي، وبعدها أجلس أنا وهو يتمشى.

استعار إيوجين لفائف من ورق الهانجي، وأدوات كتابة من طالب في الغرفة المجاورة، وأخذنا نربط خيوط القضية على الورق المفروش أمامنا؛ نشير هنا وهناك لإضافة المزيد من الملاحظات. يكاد رأسه يلمس رأسي، كُنَّا غارقين تمامًا في التفاصيل، منهكين إلى الحد الذي يصعب معه أن أعرف أين يبدأ هو، وأين أنتهي أنا. لقد بدا لي أننا في هذه اللحظة اتحدنا في عقل واحد له هدف واحد: العثور على القاتل، العثور على الحقيقة.

مر الوقت بشكل مختلف في هذه الغرفة، كأنه تيار ماء متسارع. حلّ المساء، وأصبحت السماء فجأة مظلمة جدًا، وظهر القمر مستديرًا فيها. عيناى منهكتان، أشعر بالحكة فيهما، لكنني أردت أن أستمّر في حديثي مع إيوجين.

قال: «تأخر الوقت، ألا يجب أن تعودى إلى المنزل؟ قد تقلق والدتك عليك».

هزرتُ كتفى مستنكرة: «عائلى لىست من نوع العائلات التى قد تلاحظ غيابى».

تردد، وبدا مرتبكًا.

- ما يزال ثمة عملٌ يُنجز.

تملّكنى العناد، العناد الذى أبقانى مستيقظة طوال الليل فى أثناء دراستى من أجل الامتحانات. لم أكن أرتاح حتى أنهى كل المهام المخصصة لتلك الليلة. «ما زلنا لم نتحدث عن الطبيب خون».

قال: «لديك عمل غدا».

أجبتُ: «ليست أول مرة أبقى فيها مستيقظة طوال الليل».

أخيرًا أذعن: «زرتُ كوخه كي أستجوبه مجددًا، لكنه لم يكن هناك. استجوبتُ القرية بأكملها، ولم يره أحد منذ أمس».

عبستُ: «ربما ذهب لزيارة أحد أقاربه؟».

- محتمل. لقد بدأ ضباطي بالبحث عنه حديثًا، وفور إيجاده، سيقبض عليه. لا يمكنني تركه يختفي هكذا مرةً أخرى.

همستُ وأنا أعضُّ على شفتي السفلى: «حينها سيعذِّبه القائد سونج...»، ثم أكملتُ: «ماذا عن الممرضة الطالبة الصغيرة مينجي؟».

تنهد إيوجين: «ما تزال مفقودة، ووالداها ما زالا يصران أنهما لا يعرفان أين هي، وكذلك أقاربها».

اجتاحني شعورٌ بالعجز، شعورٌ ثقيل ومرهق. غمستُ الفرشاة في الحبر، ودوّنت تفاصيل محادثتنا، متحرّقة لأي حراك في هذا التحقيق الذي بدا راكدًا مرةً أخرى.

غمغمتُ: «لو أنني فقط أستطيع أن أتحدث إلى الممرضة جيونجسو. أنا واثقةٌ بأنها تعرف شيئًا ما». ثم نظرتُ بسرعة نحو إيوجين: «هل ثمة طريقة يمكنني من خلالها التحدث إليها؟».

هزَّ رأسه نفيًا: «القائد نادرًا ما يغادر مكتبه خلال تحقيقات القتل، وإذا غادر، يكون الأمر مفاجئًا جدًّا، لن يكون لدي الوقت لاستدعائك، وعلى أي حال فإنه عادةً يخرج فترة قصيرة وحسب».

- يمكنك إدخاله خلسة! فلا يعلم بوجودي أصلًا.

- الجميع سيلاحظون أنك لست جزءًا من مكتب الشرطة، رجاله سوف يعلمونه على الفور...

تمهّل قائلاً: «يُمكنني مساعدتك على التنكر».

جلستُ معتدلةً، متفائلةً بكلامه، لكنني تشوشت، ولم أفهم قصده: «مثل ضابط شرطة؟».

- لا، بل مثل «دامو».

حدّق بنظرته آلاف الليات بعيداً، لقد بدأ يخطط حقاً: «غداً ليلاً، عندما يرن الجرس الضخم، التقيني خارج المدخل الصغير للمكتب. هذا أكثر وقت تكون فيه المباني فارغة، إذ يخرج الضباط للقيام بدوريات في الشوارع في أثناء حظر التجول. وحتى إذا رأوك، فإنهم لن يروا إلا دامو شرطة غير مؤذية».

بدفعة الطاقة هذه، وعلى أمل الحصول غداً أخيراً على معلومات أكثر أهمية، عدنا إلى الخريطة التي رسمناها للمشتبه بهم، والملاحظات التي دوّناها بخصوص كل ما نعرفه، التي لم تعد محبوسة داخل عقول منفصلة، بل صارت مكتوبة على الورق.

واصلنا الكلام حتى انطفأ عقلي، ولم يتبقّ سوى الدخان المتصاعد من الفتيل. حاولتُ أن أركّز، لكن عندما بدأ إيوجين ينعس، قلتُ لنفسي أن أريح عيني قليلاً. وضعتُ رأسي على الطاولة، ولا بد من أنني غفوت، لأنني استيقظتُ لأجد ظلال ما قبل الفجر غافيةً في الغرفة الرمادية، ونوراً خافتاً جداً يتدفق عبر ستائر الهانجي.

بينما استعاد عقلي وعيه، لاحظتُ أنني لست وحدي على الطاولة، رأسي مستلق على ذراعيّ المطويتين، وحاجباي يضغطان على حاجبي إيوجين، يكاد أنفانا يتلامسان.

راقبته بينما جفلت رموشه، تتحركُ في حلم ما، أو ربما كابوس. لكن لم تدم مراقبتي طويلاً. فقد فتح عينيه ببطء، كأنه شعر بتحديقي إليه، كنتُ متعبةً جداً حتى أنني لم أرتبك عندما ثبتَّ نظره عليّ.

همست: «أتساءل في أي وقت نحن الآن يا ناوري».

أجاب بهمس مماثل: «لست مضطرة أن تنادينني هكذا باستمرار».

أغمضتُ عينيَّ مجددًا. في الخارج، تتأبثُ امرأة وهي تسحق العشب بخطواتها عبر الفناء، أبعد قليلًا نبَح كلبٌ، سأناديهِ بالاحترام اللائق في الصباح.

ولكن الآن فقط في هذه الساعات الفاصلة، الآن قبل أن تشرق الشمس وحسب، وقبل أن يعود كل شيء إلى مكانه الصحيح، همستُ له: «حسنًا... يا إيوجين».

استيقظتُ أخيرًا على صوت الباب ينفتح، وانزلاق بطانية لا أتذكرُ أنني وضعتها حول كتفيَّ إلى الأرض. دخل شعاع شمس قوي من الباب؛ فأعماني عن الرؤية، غطيتُ عينيَّ بظهر يدي، منذ متى وأنا نائمة؟

خابَ ألمي، لم يكن إيوجين هو القادم، إنها الخادمة المجروحة الفم. دخلتُ إلى الغرفة حاملةً صينيةً عليها حساء ساخن، وأطباق جانبية: «غادر زوجك إلى العاصمة فور أن فُتحت أبوابُ القلعة، وطلبَ مني أن أوقفك مع خيوط الضوء الأولى».

زوجي؟ أستغرقني الأمر دقيقة حتى جمعتُ أفكاري، ثم نظرتُ إلى خارج الباب، تبين لي أن لدي ما يكفي من الوقت لأعود إلى المنزل، وأحضِرَ زبي ثم أتوجه إلى العمل.

- أخبرني أيضًا أن أعطيك هذا.

وضعت الخادمة صينية الطعام، ثم أسرعْتُ نحو الباب لتُحضِرَ شيئًا من الجانب الآخر. عادت ومعها الكيس القطني المألوف الذي أضع فيه

زَيِّي... لستُ مضطرةً لأن أعود إلى المنزل إذن. كيف تمكن إيوجين من الحصول عليه؟

فتحتُ الكيس، ووجدت ملاحظة: «طلبتُ زِيَّك من خادمتك، أخبرتها أنك كنتِ تساعدِين الشرطة في وفاة الممرضة آرام. لقد وافقتُ على ألا تخبر والدتك، خشيةً أن يقلقها ذلك».

شعرتُ بثقلٍ وإنهاك تحت عينيّ. لم أعد مضطرةً إلى الذهاب للمنزل أولاً، ولديّ ما يكفي من الوقت لآكل من دون تَسْرُع. لقد اختار إيوجين أكثر طبقٍ مغذٍّ لأجلي: «السولونج تانج»؛ حساء اللحم الغني، والحليبي، حساء دسم شهّي المذاق.

تمهلتُ والملعقةُ في نصف الطريق إلى فمي، إذ خطرت لي ذكرى غير واضحة: تذكرتُ ضوء ما قبل الفجر الضبابي الرمادي، وإيوجين يمدُّ يده إلى الخصلة المنسدلة من شعري، ويضعها خلف أذني... ومن ثم يرحل.

ذاكرةٌ... أم حلم؟

أكان حلمًا؟

في كل مرة خطر إيوجين في ذهني، نَحَيْتُهُ جانِبًا. إنه ليس اللغز الذي أحتاج إلى حله في هذه اللحظة.

واصلتُ تذكير نفسي بهذا، وأنا أشق طريقي نحو القصر. تفحصتُ الوجوه المتوترة حولي فور دخولي، أحاول البحث عن أدلة... لمحة تدلُّ على الذنب، أو ربما لا مبالاة باردة. كنت على يقين بأن القاتل بيننا، بما أن الضحايا المقتولات شهدن جريمة ولي العهد، وبالتالي من المستحيل أن الأمير كان يتجول خارج جدران القصر بالمصادفة المحضة في ليلة مقتل الشاهدة الأولى سيدة البلاط أهنيي.

كل شيء كان مخططًا له.

الجاني عرف أن الأمير سيتسلل خارجًا تلك الليلة. ومن بإمكانه معرفة مثل هذه الأسرار إلا شخص داخل القصر، آذانه ملتصقة بشبكة جواسيس؟

همستُ جيون قاطعةً حبل أفكاري: «بالكاد أستطيع التنفس هنا». نظرتُ نحو صديقتي، وهي تمشي إلى جانبي نحو العطارة الملكية، بدتُ أكثر تعبًا وقلقًا من ذي قبل. أكملتُ: «لا أجروا أن أنظر في عين أي شخص فترة طويلة».

مددتُ يدي نحو يدها، وشدتُ عليها قليلاً، وقلت: «استهدف القاتل ممرضتين تعملان في أيام مختلفة عن التي نعمل بها. ربما يعني ذلك أن الجاني ليس هنا اليوم». لم أكن واثقةً من كلامي، ومع ذلك بدا ممكناً بما يكفي.

بقيتُ نظرة جيون منخفضةً، مصوَّبةً بخوف على الأرض، وقالت: «يجتاحني خوفٌ عميق من أن إحدانا ستكون التالية».

-جيونا... لا تفكري هكذا...

- لقد أصبحنا حجة غياب مزيفة لـ...

سكتتُ جيون، وألقت نظرةً سريعةً حولها، ثم أكملتُ: «لولي العهد. حدثت جريمة قتل في تلك الليلة. لسبب ما، لا أستطيع أن أتوقف عن التفكير في هذا، في أنَّ أحداً ما يستهدفنا».

- لا أظن ذلك، لن يحصل لنا شيء.

قلتُ ذلك، وعنيته: «إيوجين كان سيقول لك الشيء نفسه».

في الغرفة الكبيرة حيث ترتدي الممرضاتُ زيهن الرسمي، بدَّلنا أنا وجيون ملابسنا ببطء، ونحنُ نتفحَّصُ الموجودين. وبدا أن الجميع يشتبهن في بعضهن بعضاً. تكهنات متداولة على شكل موجة من الهمهمات والهمسات.

همستُ واحدة: «ثمة شائعة منتشرة تقول: إن الممرضة آرام ماتت، لأنها كانت جاسوسة في القصر».

هزَّتُ ممرضةً أخرى رأسها: «لا تصبح أي امرأة في القصر جاسوسةً بمحض إرادتها، لقد تعرضنا جميعاً للابتزاز لنفعل ذلك في النهاية».

وافقت الأخريات: «لا أعرف ما الذي فعلته الممرضة آرام، لكن مستحيل أن يكون هذا خطأها. الجواسيس دُمى متحركة في يد مَنْ في السلطة...».

قال صوتٌ مألوفٌ وحادٌ: «إذن، إذا قال لك سيدك أن تلقي بنفسك من حافة الهاوية، أستفعلين؟». إنها الممرضة إينيونج. «لا، لن تطيعيه إذا كان ذلك يعني الحفاظ على حياتك. لكن إذا كان الأمر متعلقًا بإيذاء شخص آخر، في مقابل حياتك، فأنا واثقة بأنك لن تترددي لحظة واحدة في إيذاء الآخرين». طقطقت بلسانها، ثم قالت: «ربما عليكن جميعًا إعادة النظر في مهنتكن بصفتكن يوينيوس. كيف يمكن لأي منكن أن تطلق على نفسها لقب حامية أرواح، وأنتن جميعًا دُمى متحركة؟».

انشغل تفكيري بإينيونج وهي تسير مبتعدةً، بدت مريضةً، تضغط بيديها على معدتها، وتتمهلُ في الكلام بين الحين والآخر؛ لتسند كتفها إلى الجدار، لكن بما أن قاتل النساء حرٌّ طليقٌ، فمن المرجح أن كل من في القصر يشعر بالغثيان.

خرجتُ من المبنى، أرغب في استجواب المزيد من الأشخاص... وواحد منهم على وجه الخصوص.

أوقفتُ موظفًا عابرًا: «عفوًا، هل تعرف ما إذا عاد الطبيب خون إلى عمله اليوم؟».

تمهل: «أظنني رأيته يتوجه نحو الحديقة الطبية، لقد عاد إلى العمل أخيرًا».

شكرتُ الموظف، وأسرعتُ راغبةً في رؤية إيوجين والمشتبه به الرئيسي. تجاوزت البوابة الصغيرة، وتجولت في الحديقة الطبية الممتدة على مساحات شاسعة من الحقول المتتالية. نظرتُ حولي حتى استقر بصري على جسد يسير نحو ممر ضيق من التراب، عيناه محدقتان بقوة

إلى بعيد، فلم يلاحظني. ثمة جرحٌ دامٍ في منتصف جبهته الملطخة بالطين، وركبتا زِيَّه متسختان بالطين أيضًا، وكذلك يداه. ما زالت الأرض رطبةً من أمطار الليلة الماضية، ربما وقع؟ ومع ذلك، كيف انتهى به الأمر مصابًا بهذا الجرح الغريب؟

قلَّصْتُ المسافة بيني وبين الطبيب خون. إذا كان هو حقًا المعتدي من اليوم السابق، فكيف ستكون ردة فعله عند رؤيتي؟ هل سيجفل من الألم إذا اصطدمت بذراعه، حيث جرح إيوجين المعتدي؟ ناديت: «يويون-نيم».

نظر خلفه نحوي: «ماذا تريدان؟»، بدا صوته أجش، كأنه أفرط في استعماله، صوتُ رجلٍ كان يصرخ، أو يبكي فترةً طويلة؛ وعلى وجهه علامات تدلُّ على انكسار القلب؛ العينان الحمران المنتفختان، والوجنتان المتورَّدتان.

أشرتُ إلى جبهتي، وأنا أراقبه من كثب: «أنت تنزف يا يويون-نيم».

- لماذا يهملك؟ دعيني وحدي.

مسح حاجبه بخشونة، ولم يبد منزعجًا من رؤيتي، ازدادت لا مبالاته وحسب. إذا كان هو القاتل، فهو إذن ممثل بارع أيضًا.

- قلت اتركيني وشأني.

بقيتُ حيث كنت، مُثبتةً هناك بجميع الأسئلة التي تدور في ذهني.

- الممرضة جيونجسو معلمتي، وهي متهمَةٌ بارتكاب جرائم القتل في الهيمينسيو.

قلتُ وأنا أشاهده يلتقط إحدى أدوات الحديقة المتروكة على الأرض: نصل حاد يلمع في ضوء الشمس. بدا النصل قاتلًا في قبضته، ثم أكملتُ: «كنتُ أمل في أن تساعدني في إثبات براءتها».

- ما الذي يجعلك تعتقدين أنني أفيدك في ذلك؟

قلت: «لقد سمعتُ إشاعات بأن إحدى الضحايا، سيدة البلاط أهني...»، ترددتُ، ثم أكملت: «سمعتُ أنها كانت زوجتك السرية». انعقد حاجباه، ورأيت في عينيه طيفاً من الخوف. انتظرتُ أن ينكر الاتهام، وأن يتهرَّب من أجل الحفاظ على حياته، لكنه بدلاً من ذلك رفع حاجبيه، وهَمَس: «إذا كنتِ تنوين ابتزازي بهذه المعلومة، فلن يجدي ذلك».

- لم أكن أحاول أن...

- الكل يحاولُ ابتزاز الكل هنا في القصر.

وصلتُ إلى طريق مسدود معه. عصرتُ ذهني، فكرتُ في خياراتي، وتذكَّرتُ الاستراتيجية التي نجحت مع حارس بوابة أبي؛ الخوف يرخي الشفاه المغلقة بإحكام. فسألتُ: «أليس من الأفضل أن تقول الحقيقة بمحض إرادتك، بدلاً من أن تعترف بها في أثناء التعذيب؟».

رد بعنف: «ماذا تقصدين بالتعذيب؟».

نظرتُ إلى عينيه: «ألم تسمع؟ الشرطةُ تبحث عنك». المحقق سيو تحديداً، لم أضف هذه الجملة الأخيرة.

تفجَّر الذعرُ في عينيه، وبدا للحظةٍ كأنه قد غرق فيه. ثم هزَّ رأسه، وأطلق ضحكةً باردةً كئيبة: «ماذا يهم؟ لا أكرث بما يحدث لي، أتمنى لو أنها أخذتني معها».

قال بصوتٍ أجش ملأته المشاعر؛ لعلها مشاعر الغضب، أو الحزن... أو الندم. نظرَ نحو الأسفل إلى انعكاسه في النصل، وهَمَس: «كنت سأقايض حياتها بحياتي بسرور».

راقبته، أستطيع أن أتخيل إلى حدٍّ ما لماذا وقعت سيدة البلاط أهني في حب هذا الشاب. إذا كان قد أحبها إلى هذا الحد، فلا بد أن كل شيء آخر كان يتلاشى وهي معه: وحدة حياة القصر، الآلاف من قواعد القصر، المستقبل الثابت الأبدي الذي لا يتغير، إنها امرأة الملك، عليها أن تسلم حياتها كلها له، وله وحده، رغم أنها لا تعرفه.

قلتُ بصوتٍ منخفض: «لقد أحببتها حقًا».

- بالطبع، أحببتها.

قالها بصوتٍ خشن، عيناه الآن تلتقيان بعيني، تتشبَّثان بي مثل رجل متلهف لأن يسمعه أحد. قال متلعثمًا: «لهذا السبب أنا... لذلك أرسلت رسالة لأهني، طالبًا منها أن تهرب معي. ذهبتُ إلى القلعة في الصباح الباكر لأنتظرها. قالت: إنها ستترك القصر قبيل رفع حظر التجول لتلتقيني عند البوابة».

- لكن أبواب القصر تكون مغلقة في ذلك الوقت، كيف كانت ستتمكن من المغادرة؟

- ثمة طرق للتسلل من القصر لا يعرفها إلا سيدات البلاط، وأفراد العائلة المالكة المتمردون.

أطلق تنهيدةً بائسةً مرة أخرى: «لكنها لم تأتِ قط، وظننتُ أنها قد غيرتُ رأيها، أو أنهم أمسكوا بها. لكن بعدها عرفت أنها... رحلت».

رحلت. قذفت الكلمة شعورًا باردًا بداخلي. قُتِلْتُ. قلتُ: «سمعتُ أنك تشاجرت معها في اليوم السابق لوفاتها».

تغيَّرَ صوته إلى نبرةٍ مزمجرة: «إنها غلطة مدام مون، لقد عَلِمْتُ أن الأمير قد يغادر القصر في تلك الليلة، لذلك حاولت الضغط على أهني للحاق بسموّه. كانت أهني تخطط لفعل ذلك، لكنني أقنعتها بألا تفعل،

وأدركنا أن مدام مون قد تكشف عن علاقتنا عقابًا لنا. ولهذا السبب طلبت من أهنيبي أن تهرب معي، أن تهرب من هذه السيدة الخبيثة». لم أفهم مزاجه الكئيب، الأمر غريب، لماذا يبدو، في هذا اليوم الذي تلا حادثتي الهجوم الجديدتين، كأنه ينهار؟ سألته بحذر: «لماذا تقول لي هذا الآن؟».

- لأن...

تحركت يده باتجاه الجرح، الذي حدث على الأرجح نتيجة ضربة على الرأس، كأن شخصًا ما ضرب وجهه بشيء صلب، أو لعله فعل ذلك بنفسه، ثم قال: «لأنني الآن أعتقد في قرارة نفسي أن... ربما... ربما كان في مقدوري منع موتها». همست: «كيف؟».

تحدّث بغمغمات سيطر عليها اليأس، كأنه يتحدث إلى نفسه: «لو أنني لم أتعرف عليها من الأساس. لقد ابتلعني الشعور بالندم، وحاولت الهروب منه، ومن كل ذكرياتها، فذهبتُ لأبقى مع عائلتي، أملًا أن يساعدوني كيلا أجن...»، تغيّر الجوّ من حوله ببطء، أصبح مُتَجَمِّدًا كأنه دخل في إحدى ليالي الشتاء، وانسحب اللونُ من وجنتيه. «لكن بصرف النظر عما يقوله لي أي شخص... صوتُ ضميري أعلى؛ أنا من قاد أهنيبي إلى الموت. إنه خطئي».

ضغطتُ عليه، والقلقُ يعتريني بقوة، لسماعي خطوات تقترب: «ماذا تقصد؟»، التفتُ سريعًا خلفي فلمحتُ ثوبًا أخضر لامعًا لخصي يقترب. كان اهتمام خون منصبًا عليّ، شعرتُ بأن وقتي ينفد، بأنني لو لم أسحب السر من الطبيب خون الآن، فلن أفعل أبدًا.

اقتربتُ خطوةً من الشاب، فصرت قريبةً بما يكفي حتى نظر إليَّ أخيرًا.

ضغطتُ عليه: «لماذا تظن أنك السبب في موتها يويون-نيم؟».

- أنا ابن ممرضة قصر مقتولة...

قلتُ: «أعرف، الممرضة كيونجهي أخبرتني بكل شيء».

تحوّل نظره عني باتجاه الخصيِّ المقرب. أظلمت عيناه، وقال: «إن لا بد أن تسألي نفسك ما إذا كان ذلك مصادفةً أم لا، أنني وقعتُ في حب إحدى الشاهدات الثلاث على مقتل أُمي».

تسارع عقلي، لم أكن قد فكرت في ذلك حتى الآن، لكنها مصادفة غريبة حقًا. هل يعني ذلك أنه سعى عمدًا للتعرف على سيدة البلاط أهني؟ هل اقترب منها ليكسب ثقتها، لتكشف عن السرِّ الذي تخفيه؟ عن أنها شاهدة على مقتل والدته، ومن ثم ربما ساعدت في دفن جثتها؟

- يا ممرضة هيون.

وصلني صوت الخصيِّ الرفيع. استدرتُ لأنظر إلى الرجل الذي تعرفتُ عليه أخيرًا، إنه الخصيُّ إيم، الرجل العجوز الذي مثّل دور الأمير في الليلة التي وقعت فيها المذبحة: «سموّه يستدعيك».

للحظة، أردت أن أتججج بعذرٍ ما، أن أبرر عدم قدرتي على الذهاب معه، أيُّ عذر يبقيني هنا في الحديقة الطبية لأطارد الطبيب خون بأسئلتني. لكن الحذر منعني، لم أجرؤ على تجاوز أوامر سموّه.

في النهاية انحنيت للخصيِّ، وببطء، خطرت لي فكرة جديدة؛ ربما، ربما وحسب، يكون الأمير هو مَنْ يمتلك الإجابات عن أسئلتني.

بقي الخصيُّ إيم هادئاً يتقدمني بثلاث خطوات، رأسه منخفض، ويده مشبوكتان تحت أكمامه الواسعة، لكن خطواته تباطأت حتى توقَّف، ووقفتُ مكاني خلفه حين لاحظتُ مشهداً مثيراً للفضول: ثلاثة مسؤولين حكوميين -أثوابهم حمراء كبقع الدم- وقفوا محتشدين أمام بوابة يختلسون النظر عبر الأبواب الخشبية المزدوجة. إنهم يتجسسون على مقر سكن ولي العهد.

وصلني صوتٌ حاد وأمر من الفناء خلف البوابة: «قدم لي تقريراً عن الليلة الماضية، ولا تترك أي حدثٍ أو تفصيل. هذا صوت الملك: «تقول: إنك تجولت حول القصر ليلاً، بأيِّ الحراس مررت؟ وفي أيِّ وقت عدت إلى مقرك؟».

امتدَّ صمتٌ طويلٌ، وانتابتنِي قشعريرة، كان الملك يستجوب ابنه، إنه يشتبه به في هجوم الأمس، أكمل: «لماذا لا تقول أي شيء؟».

تخيَّلتُ ولي العهد، الملك المستقبلي واقفاً متجمِّداً، وله عينا طفل مذعور. ثم، من وسط السكون المتوترَّ ظهر صوت الأمير، عميقاً ويكاد من المستحيل سماعه: «مهما قلت، ومهما فعلت، سأكون دائماً مخطئاً». بات الجوُّ مشحوناً بغضبٍ جارح.

أكمل الأمير بنبرة يائسة ترتعش في صوته العميق: «لا أريدُ أن أصبح ملكاً، لن أكون جيداً بما يكفي أبداً. أردتُ فقط أن أكون ابنك...».

رد الملك بعنف: «مثيرٌ للشفقة، تنتحب دائماً ككلب هجين مدلل. لا يمكنُ لأحد أن يجري معك محادثة سليمة».

تردد صدى كلمات الملك الجارحة عبر جدران جناح جوسونج الوحيدة، ثم هرع المسؤولون المتجسسون بعيداً بينما انفتحت الأبواب. خرج الملك ومرافقوه، وأحنيْتُ رأسي أنا والخصيُّ.

فور بقائنا وحدنا، قلتُ بحذر: «ربما عليَّ أن آتي في وقت لاحق». قال الخصيُّ إيم بهدوء يبعث على القلق: «لقد استدعاك الأمير، اتبعيني».

شبكتُ يديَّ بإحكام، وتبعته على مضض متجاوزةً البوابة. كان الفناء خاليًا، لا بد من أن الأمير انطلق غاضبًا إلى غرفته داخل جناح جوسونج. جوسونج تعني: «بيت الملك المستقبلي»، لكن نُطقها يشبه أيضًا نطق كلمة الحياة الآخرة. حلَّ على روحي شعورٌ بالهلاك، إذ بدت الظلال المحيطة كأنها تحمل أصداءً من العالم الآخر.

همس الخصيُّ ونحن نتقدَّم نحو المسكن: «لا تتحدثي حتى يتحدَّث إليك. أبقِ رأسك مُنخفضًا دائمًا، ولا تنظري في عيني الأمير». قالها كأنه أعاد هذه الكلمات آلاف المرات: «وأيًّا كان الأمر، إذا كنتِ تُثَمِّنين حياتك، لا تقولي أي شيء يزعج سموه».

فُتحت الأبواب المغطاة، سَحَبَها الخدم جانبًا. دخلتُ الغرفة الداخلية الفسيحة بحذر، أرضيتها مزخرفةٌ بمربعات من ضوء الشمس طبعتها الستائر الشبكيَّة الطويلة. المكان بأكمله مُغطَّى بالأثاث والكتب. تعلَّقت عيناى بالأكوام وانتظرتُ، تسارعتْ دقات قلبي عندما أحسستُ بحضوره، كأنه ظلامٌ ملأ كل ركن في الغرفة.

هل هذه هالةٌ قاتل؟ هل حقًا قطع رأس الممرضة هيو-وك؟ هل استخدم سيفه منذ ذلك الحين؟

قال بصوتٍ عميق رنان: «سأتحدث معها على انفراد يا إيم». انسحب الخصيُّ، وعندما أُغِلِّقت الأبواب خلفي، انتظرتُ أن يتحدث الأمير مجددًا، لكنه لم يفعل. اختلستُ النظر من بين رموشي، رأيتُ ظهرَ الأمير جانجهيون المُدار إليَّ، إنه أطول وأضخم عن قرب، وبينما كنتُ أتفحصه بسرعة تبين لي أن الحكايات التي سمعتها عن براعته

العسكرية صحيحة. يرتدي ثوب التين الحريري، ثوبٌ أزرق داكنٌ جدًّا، يكادُ يكون أسود في لمعانه، وينسدُّ على بنيانه الرياضي كما الماء على الصخور المقدَّسة. كتفاه العريضتان تشيان بالقوة والقدرة على قتل الكثيرين بضربةٍ واحدة.

قال لي: «أخبريني...»، ثم انخفض صوته: «هل أنتِ جاسوسة؟». تشنَّجتُ عضلاتي بينما تسارع عقلي، لم أستطع أن أفهم ما الذي يجعله يظن أنني أتجسس عليه. ثم تذكَّرتُ كيف لحقت به من مقر السيدة هيجيونج طوال الطريق إلى مكتب الملك قبل يومين.

- لست كذلك، سموّك.

- كل الجواسيس يقولون: إنهم ليسوا كذلك.

استدار ببطء، وتحركَ نحوي، حتى وجدتُ نفسي أُحدِّق إلى حافة ثوبه، وظلُّه الضخمُ يحوم فوقِي.

- سأقتلكِ إن كنتِ.

بلَّل عرق بارد ظهري: «لستُ جاسوسة، سموّك. أنا...»، لعقتُ شفَتِي الجافتين، وجفَّ حلقي من الخوف: «أنا حجة غيابك».

همس: «حجة غيابي؟».

سارعتُ أقول: «في ليلة مذبحه الهيمينسيو، استدعتني السيدة هيجيونج أنا وبضعة آخرين للاعتناء بسموّك. وأنا منذ ذلك الوقت أكدتُ للجميع أنك بالفعل كنت متوعِّكًا في غرفتك في تلك الليلة».

ظهرتُ نبرة استيعاب في صوته: «آه، تلك الليلة».

بقيتُ ساكنةً، ساكنةً جدًّا، وخزني جلدي لمعرفتي بأنني مُراقبة، أعاينُ، مثل لوحةٍ منسوجةٍ تحمل سرًّا.

- وبمن تشبهين في عمليات القتل؟ هل تظنين أنه أنا، كما يظن الجميع؟

- سموك، من أنا لأتساءل حول هذه الأمور؟

حاولت أن أظهر نفسي ضئيلة قدر الإمكان، ضئيلة جدًا بحيث ربما أفلت منه، كما يفلت فأر من مخالف نمر: «أنا لست سوى خادمة».

لمعت رموز التنين الفضية على رداءه. قال بصوتٍ مخيف: «قيل لي: إن اسمك بايك-هيون، طالبة سابقة للممرضة جيونجسو، وابنة غير شرعية للورد شين».

ابتلعت ريتي بقوة، وكاد صوتي يختفي وأنا أجيب: «نعم، أنا سموك».

- ولا شك أن هذا يمنحك المزيد من الأسباب للتجسس عليّ، أنا واثق.

انعدت معدتي، وشبكت يدي بقوة أكبر، شعرت كأنه رأى ما بداخلي. إنه يعرف أبي، ولعله يعدّه خصمًا له حتى. ومع ذلك، فقد انتهى بهما الأمر قرب مسرح الجريمة: حجة غياب لبعضهما بعضًا. بناءً على شهادة حارس البوابة كوون، القاتل المحتمل اصطدم بأبي، والآن أتساءل ما إذا كان الأمير قد رأى الجاني كذلك.

تنامى الفضول، فشَحَذَ حواسِّي، وأغرقَ خوفي. تمهلْتُ لأصوغ سؤالِي. من غير الوارد أن يخبرني سموه بأي شيء... لكن لعله يخبرُ شقيقته الميتة.

لا تنظري إلى عيني الأمير.

استجمعتُ ما يكفي من الشجاعة، لأرفع نظري نحو عينيه الداكنتين مثل سواد الليل، وتمنيتُ أن يكون ما قاله لي الجميع حول ملامحي حقيقة، إنني أشبه شقيقة الأمير الميتة حدَّ التطابق.

شقيقته المفضلة.

على الفور تقريبًا، اتسعت عينا الأمير جانجهيون. أضاء طيفُ المفاجأة نظرتَه، وتلا ذلك طعنة من الألم المبرح. ارتعبتُ من قوة تأثير وجهي عليه، فأخفّضت نظري مجددًا.

قال بصوتٍ لاهث، كأنه يعاني لاستجماع نفسه: «لم ألمحكِ إلا من بعيد، أنتِ تشبهينها كثيرًا».

أخذتُ بضعة أنفاس ثابتة، لا أعرف كيف أرد. على الأقل، بدا لي أنه قد نسى شكوكه الأولية.

- انظري إليّ مجددًا.

ما هذا الذي فعلته؟

لكنني أطعته، ونظرتُ إلى الأعلى، نحو الليل، ظلامٌ خلابٌ حتى إنه جعلني أنسى كل الحكايات المميّنة عنه ولم يسعني إلا أن أرى الألم في عينيه. ألمٌ لا يمكن أن يكون تمثيلًا... لقد رأيته مرارًا في أعين المحتضرين، ومن تركوا وراءهم.

غمغم لنفسه: «الموتى لا يبقون موتى طويلًا، إنهم لا يغادرون أبدًا. هل تؤمنين بذلك؟».

- نعم، سموك.

قلت ذلك من أجله... ومن أجلي: «أومن بأنهم يبقون قريبين إلى جانبنا، أومن حتى بأن الأرواح تسكنُ إلى أجساد الأحياء».

قال بصوتٍ خشن: «إذن لا بدّ من أن أختي قريبة؟ هل سمعتها؟».

تلعثمتُ وأنا أسمع نبرات اليأس في صوته، وعيناه تبحثان في وجهي، ربما بالطريقة نفسها التي تجوب فيها عيناه في الكتب الروحانية، باحثة عن راحة لم يتمكن هذا القصر الشاسع الفارغ من أن يمنحه إياها.

كذبتُ: «سمعتها، لقد سمعتها سموك. وهذا الصوت جعلني ألحق بك في تلك المرة، لم أقصد أن أتجسس سموك».

ابتعد عني فجأةً كأنه غير قادر على النظر إليّ فترة أطول. خشخش الحريز عندما جلس وراء مكتبه ذي الأرجل المنخفضة، ثوبه متجمّع حوله مثل قيرٍ مظلمٍ. بقي ساكنًا، مرفقاه مستقران على الطاولة، ويده فوق الشريط الحريري المربوط حول رأسه، لم تفلت أيّ خصلة شعرٍ واحدةٍ من مكانها في عقدته المثالية على قمة رأسه، فبدا وجهه واضحًا مكشوفًا... تعتليه نظرةٌ مضطربة.

- يمكنك الذهاب، لكن أخبريني... هل ثمة شيء تحتاجينه؟
نظرَ إلى الأعلى، لكن نظرتَه لم تصل إلا إلى ياقة زِي الرسمي: «هل ترغبين في بعض الحلي أو الفساتين؟».

عضضتُ شفتي السفلى بشدة. شعرتُ بالأسى حيال الأمير، من الواضح أنه كان يحبُّ شقيقته جدًّا. حتى الوحوش تنزف على ما يبدو، حتى القتلة لهم قلوب تشعر، ولو أنها تشعر ببضعة أشخاص محددين وحسب.

أشار: «ثمة شيء يدور في عقلك، أخبريني ما هو».
ترددتُ، واستغرق الأمر وهلةً حتى انفكتُ عقدةً لساني: «معلمتي، الممرضة جيونجسو... سُجنتُ ظلماً بسبب المذبحة».
تمهل، ثم قال: «ما طلبك؟».

قلت بحذر: «سموك، إذا كانت لديك أي معلومات بخصوص المذبحة، أي شيء قد يساعد الشرطة في العثور على القاتل الحقيقي... سأكون مدينةً لك إلى الأبد». حبستُ أنفاسي، وانتظرتُ الجواب على سؤالي المعلق في الهواء بيننا.

- يوم المذبحة...

تكلّم أخيرًا، وتسَلّلت الراحة إليّ، إلا أنها تحطمت عندما أكمل كلامه: «خرج والدك مبكرًا، تفوح منه رائحة الخمر والعطر، ورآني أتجول في الشارع قبل ساعة تقريبًا من الفجر».

وقفتُ وكتفائي متشنجتان، هذا يُطابق ما قاله خادم والدي.

أكمل: «مرَّ أحد الأشخاص مسرعًا بعد وقت قصير من المذبحة، واصطدم بنا. كان الظلام شديدًا فلم نميّزه، لكنه أسقط شيئًا وهو يسرعُ. شيئًا داميًا...»، تحوّلت نظرتي إلى خزانة مرصّعة بالصدف إلى يساره. «هل تريدينه؟».

بالكاد استطعتُ أن أقول: «أنا... أريده، سموك».

- إذن يمكننا تبادل الخدمات، لم أطلب هذا من أي شخص، لأنني لا أعرف بمن أثق، لكنني بدأتُ أياس.

مرّر الأمير جانجهيون يده على وجهه، وفجأة بدا كأنه لم يَنَمْ منذ ألف عام، كأن جوقّة من الشياطين تبقّيه مستيقظًا: «ربما يمكنك المساعدة في تحضير دواء لي، دواء يخفف من المزاج الخانق الذي أشعر به».

بقيتُ هادئةً، منتظرةً أن يوضح.

- عندما يسيطرُ عليّ الغضب، لا أستطيع أن أحتويه. هذا الغضب يبقيني مستيقظًا في الليل، وقد احتفظت بهذا الظلام في داخلي فترة طويلة. أي شيء صغير يتركّني في حالٍ من الغضب.

كزّرت أسنانه، بدا أن مجرد التفكير في الأمر يزعجه: «إنه مُنْهَك، هذا الغضبُ الذي لا يتركّني... ولا حتى لحظة واحدة».

همستُ: «سأحضّر لك الدواء، أعدك».

- بعد ذلك عليك أن تعيدي النظر في وضعك في القصر. لو كنت مكانك لفعلتُ.

بقي ساكنًا، ويجثم فوقه ثقلٌ فظيع: «استمعي لنصيحتي يا ممرضة هيون، إذا كانت حياتك تهْمُك. يمكنك الانصراف».

علمتُ لاحقًا بأن الملك قد استبعد الأمير جانجهيون من قائمة الأشخاص الذين سيحضرون الخدمة التذكارية للملكة جيونجسيونج. كلُّ ذي أهمية سيذهب مع حاشية الملك من القصر إلى تلة الدفن.

الجميع إلا ابن الملك؛ الابنُ الذي بات الآن يرفض أن يأكل، ويرفض أن يشرب، محطّمًا بسبب هذا الخبر المهين.

سيحتاج الأمير دواء الحدّ من الغضب أكثر من أي وقت مضى. أردتُ بشدة زيارة المكتبة للبحث عن الوصفة الدوائية الصحيحة، لكنّ ثمة عملًا يجب أن يُنجز، والطبيب نانشين في الجوار، ولا يمكنني التسلّل من دون أن ينتبه.

وبينما انشغل عقلي بذلك، اعتزمتُ تقطيع حزمة من النباتات العشبية، لكنني، على العكس، شعرتُ بألمٍ حاد في يدي.

همستُ وأنا أنظر نحو أصابعي: «اللعة». تدفق الدم من إبهامي المجروح إلى راحتي، ووصل إلى لوح التقطيع، فلمعتُ ذكرى حوادث القتل الحمراء في ذهني.

احتدم التوتر في عروقي وأنا أبحث عن منشقة، ثم استدرتُ في الاتجاه الخاطئ، وتعثرتُ بوعاء دواءٍ ثمين. تعالت شهقاتُ، وحدّقت إليّ الأعين، لكن حشد الوجوه بدا ضبابيًا. لم أقع في مثل كل هذه الأخطاء الحمقاء الكثيرة في يوم واحد من قبل.

ثم أدارتني يدُ ما، قالت الممرضة إينيونج: «الأخطاء من هذا النوع قد تتسبب في خفض رتبتك». نظرتُ إلى الطبيب نانشين الذي يمشي الآن مبتعدًا عن المشهد الذي تسببت به.

أطلقتُ تنهيدةً، وانتزعتُ شيئًا من يدي: النصل. لم أدرك أنني ما زلتُ أمسك بأداة التقطيع. وضعتها جانبًا، ثم أخرجتُ منديلًا، ومزّقتُ شريطًا منه، ولفّته حول إبهامي: «ما خطبك؟».

همستُ وقلبي يخفق بقوة: «عقلي مشغول». ابتعد الطبيب نانشين عن الأنظار الآن، وتركنتني الممرضات اللاتي كنَّ حولي، أو لعلهن ببساطة يتجنبن الممرضة إينيونج: «أنا لست هكذا في العادة».

- أعرف أنك لست كذلك.

هزت الممرضة إينيونج رأسها، بينما ربطت إصبعي بطبقة أخرى مُحكّمة لإيقاف النزيف: «لكن يمكنني أن أتخيل سبب ارتباكك...».

سألتُ: «ماذا تقصدين؟».

اعتلتُ وجهها نظرةً متأملة، ثم أخذتني جانبًا تقودني إلى بقعة ظليلة خلف العطارة: «رأيتك تغادرين الحديقة الطبية باكراً مع خصيٍّ ولي العهد»، ثم نظرتُ إليّ: «لماذا؟».

قلتُ وأنا أراوح بين قدمي: «أراد أن يسألني سؤالاً وحسب».

- حول ماذا؟

- حول...

تمهلْتُ، ثم أكملتُ: «هل يمكن أن أسألك لماذا أنتِ مهتمة جدًا يوينو-نيم؟».

ساد الصمت، باردًا مثل الظلال التي تحيط بنا.

قالت بصوت مُتوتّر: «ثمة شيء يجب أن أقوله لك، ربما كان يجب أن أخبرك به أبكر. لقد خدمت في هذا القصر لأقل من شهر وحسب، ولهذا فأنتِ غير واعية بكل الأسرار المخبأة...». جفلتُ وهي تتحركُ بحذر، وتضغطُ بيدها على معدتها، وعندما نظرتُ إليها قلقَةً، قالت من بين أسنانها المشدودة: «لا أستطيع أن أنام في ظل كل ما يحدث، لذلك أصبحتُ أشرب كثيرًا، وتسبب لي ذلك بآلام معدة فظيعة...».

تمهلتُ مرة أخرى، الغثيانُ يسحب اللون من وجنتيها وشفتيها، إنها لا تبدو بخير على الإطلاق. سرى التوتر في داخلي بينما ضغطتُ على شفتيها بقوة كأنها على وشك التقيؤ.

قبل أن أتمكن من فحص أعراض الممرضة إينيونج بشكل أكبر، أخذتُ نفسًا عميقًا، وتكلمتُ، صوتها قوي بما يكفي لتشتيتي: «هذه أوقات خطيرة يا ممرضة هيون، وإذا كنتِ تريدين البقاء على قيد الحياة، فعليك أن تتجنبني الأمير جانجهيون».

أعادتني الرهبة مرة أخرى إلى المسألة المطروحة: «ماذا تعرفين يوينيو-نيم؟».

اجتاح الاضطراب عينيها، بدا عقلها متأرجحًا ذهابًا وإيابًا بين أخبرها ولا أخبرها. ثم بعد فترة طويلة قالت: «أنتِ امرأة جيدة يا ممرضة هيون، وإذا ائتمنتكِ على هذا السر... يجب أن تحميه كأنك تحمين حياتك».

قلتُ قاصدة ذلك: «أعدكِ».

بدأتُ كلامها مترددة: «منذ عدة أشهر... عُثِر على قلادة شامانية ملعونة في غرفة ولي العهد».

فغرتُ شفتيَّ. هذه جريمة جسيمة؛ الشامانية محظورة، وممارسة السحر الأسود ضد أحد أفراد العائلة المالكة يُعاقب بالموت.

- من أمر بمثل هذا الشيء؟

أجابت واقشعرَّ شعرُ جسدي: «مدام مون. عندما تتبعَت والدَةُ الأمير وزوجَتُه القلادة، وعرفتا مصدرها، استدعنا مدام مون كانتا لديهما النية لفضحها. لقد سمعتُ كل شيء، كنت متأكدةً من أن مدام مون ستُطرد من القصر، لكنها بعدها هددتهما. قالت: إنها ستكشف للملك سرًّا مروءًا حقًا». تمهلتُ إينيونج وعبستُ: «إن ولي العهد يخطط لاغتيال الملك».

وقعتُ كلماتها في صدري كشظية من الجليد، جزءٌ مني كان مقتنعًا بأنني قد أساءت الفهم بالتأكد.

- قالت مدام مون: إن ولي العهد يُجمَع أسلحة عسكرية بصرية، وقالت: إن لديها دليلًا.

ألقت نظرةً خاطفةً حولها، ثم نظرتُ إليَّ مرةً أخرى، وقد ازداد عبوسها فوق عينيها المهيبتين: «لذا، أبقى بعيدة عن ولي العهد يا ممرضة هيون، كلُّ أولئك الذين يرتبطون بسموّه سيموتون معه بالتأكيد».

في أثناء استراحتي، شققت طريقي نحو المكتبة الطبية، ووجدتني أحدقُ إلى الجدران الحجرية في القصر، متسائلة كم عدد الأسرار التي تخفيها بداخلها، إذا سقطت الجدران، هل سوف يتدفق الرعب والموت نهرًا من الدماء؟

قالت جيون وهي ترافقني على درجات سلم المكتبة: «سأساعدك على إيجاد الدواء، لكن لمن الدواء؟».

- الدواء لـ...

لم أجزؤ أن أقول لها: إنه للأمير، كلما عرفتُ أقل تكون في أمان أكثر. أنا نفسي مهمومة بقراري المصّر على تحضير الدواء، على الرغم مما أخبرتني به الممرضة إينيونج.

وقبل أن أجد إجابة، قالت جيون: «هل هو لوالدتك؟».

أجبتُ بسرعة: «نعم، إنها دائماً غاضبة من أبي، وأريد أن أجد شيئاً يخفف غضبها وحِدَّة مزاجها».

دخلنا إلى المبنى الهادئ المحاط بنوافذ كبيرة مغطاة بالهانجي، تسللتُ أشعة الضوء عبر أرفف الكتب المفتوحة. وبعد أن جمعنا بضعة كتب، جلسنا أنا وجيون على الطاولة بعيداً في الخلف. تصفحتُ كتاباً تلو الآخر، تركيزي حاد، وأكتافي ترزح تحت ثقل المسؤولية. أردتُ أن أقدم للأمير الدواء الصحيح مقابل سلاح الجريمة.

نكزتني جيون بمرفقها، فأخذتني من أفكاري. همستُ ناظرةً إليّ: «ابن عمي، لم يعد إلى المنزل أمس قط. لعلك تعرفين السبب؟».

لم أكرث لكلامها في البداية. ثم ببطء، بدأت الذكرى تتضح، الذكرى الخاصة بي وإيوجين في غرفة الخان الصغيرة، أعيننا مغمضة في ضوء ما قبل الفجر. زحف التورّد إلى وجنتيّ وأحرقهما، ففضحني أمام جيون التي اتسعت عيناها.

قلتُ بخوفٍ محاولةً كبج جماح خيالها: «لا، الأمر ليس كما تظنين...».

- هل قضيتما الليل معاً؟

بالكاد استطاعت أن تتكلم، اكتسى وجهها بحمرة فاقعة، وتراقص خليط من المفاجأة والفرح في عينيها: «ماذا يعني هذا؟ هل أنت واقعة في الحب؟ هل هو واقع في الحب؟ يا أيتها الآلهة! أخبريني كل شيء!».

- جيونا، أعني ما قلته. الأمر ليس كما تظنين.

شعرتُ بثقلٍ في قلبي بسبب ذلك، ذهني يؤلمني من أحداث اليوم:
«أريد التركيز على إيجاد الدواء...».

- أنا متخصصة في تحضير الأدوية، سأجد شيئاً لك، وبعدها يجب
أن تعديني بأن تخبريني بكل شيء.
- أنا...

سحبت جيون كومة من الكتب نحوها، ثم قلبت في كل منها، تتحرك
أصابعها بسرعة ومهارة. قالت، وقد عثرت على الإجابة سريعاً جداً:
«أوندامتاج، هذا هو الدواء الذي يجب أن تستخدميه». وعلى الرغم من
مزاجي الكئيب تسَلَّل الإعجاب إلى داخلي.
- لقد وجدته بسرعة جداً...

قرأتُ الفقرة التي أشارت إليَّ بها، ودُهِشْتُ عندما اكتشفت مدى
مثالية هذه الوصفة الدوائية. مررت بعيني على المكونات، فحفظتها
على الفور، وقررت أنني سأحضّر الدواء للأمير جانجهيون، وأُدخله إليه
خلسةً غداً. فالوقت تأخر الآن...

زقزت جيون: «إذن، أخبريني بكل شيء!».
هزرتُ رأسي: «كنا نتناقش في التحقيق وحسب، فغفونا فجأةً، ثم
استيقظنا، وذهب كل منا في طريقه، هذا كل شيء».
أصرتُ: «هذا لا يمكن أن يكون كل شيء».

قلت: «حسنًا، هو كذلك حقًا، يا جيونا. ليست كل خادمة هي
تشونهيانج، وليس كل لورد شاب مونجيريونج؛ الحياة ليست دائماً مثل
الأدب الرومانسي». تجنبْتُ نظرتها، ونهضتُ على قدميَّ، وجمعت الكتب
بهمّة من على الطاولة، وأعدتُ كل واحدٍ منها إلى مكانه الصحيح على

الأرفف. تابعتني نظرات جيون طوال الوقت، وعندما ازداد تورّد وسخونة وجنتي، شعرتُ باتساع ابتسامتها.

قالت محاولةً أن تغیظني، بعد أن وقفت إلى جانبي: «هيوناههه، هل ستقابلين حبيبك الليلة مجددًا».

- هو ليس حبيبي، وأنا لن أقابله...

تلعثمتُ متذكّرةً: بل عليّ أن أقابل إيوجين الليلة مجددًا. لقد رأيته في كل يوم منذ وقوع المذبحة، وجزء مني قد اعتاد إيقاع لقاءاتنا، إيقاع حضوره...

ماذا سيحدث فور انتهاء التحقيق؟ هل سأستدير وأجده قد رحل؟ غمر صدري شعورٌ بالفراغ، ولم أستطع أن أفهم سببه.

قالت جيون وهي تشاهدني عن قرب: «أنا صديقتك»، صوتها رقيق، اختفى طيف المضايقة من عينيها: «لقد ائتمنتني من قبل على أعرق أسرارك. أنتِ تعرفين أن بإمكانك الوثوق بي في أي شيء».

هزرتُ رأسي، أحاول أن أبعد الألم، قائلةً لنفسي: إنني لا أكثرث. ومع ذلك، امتدتُ يدي من دون وعي إلى شعري، وتحسستُ بأصابعي برفق مكان لمسة إيوجين، أو لعله لم يكن سوى حلم بعد كل شيء.

اعترفتُ لها: «لمس شعري». تسارعت دقات قلبي، شعرتُ بالخرج من قول شيء كهذا. لكنني كرهتُ هذا الشك، هذا الشعور الذي يجعلك متأرجحًا فوق المجهول. سألتها: «هل يعني ذلك أي شيء؟ أو أتظنين أنني تخيلته؟».

سألتني جيون برقةٍ: «ماذا تريدينه أن يكون؟».

انعقدت معدتي بشدة، بينما عصرتُ يديَّ ببعضهما بعضًا، ووجَّهتُ نظري نحو الأرض. لكنني لم أستطع استعادة تركيزي. سقط حذري بعيدًا مثل تنهيدة هزيمة، واعترفتُ لنفسِي بحقيقةٍ جعلت أذني تغلي.

أردتُ أن أُحِبَّ وأُحَبَّ.

أردتُ أن أُعرَفَ.

أردتُ أن أفْهَمَ وأُقْبَلَ.

ووجودي مع إيوجين أرسل ظلالًا غير مرغوب فيها تنسلُّ إلى رأسي، أحلامًا عن الشعور بهذه الأشياء... بأن يُحتفى بي كما في قصص الحب الموجودة في مكتبة جيون الشخصية.

ومع ذلك، لم أكن ساذجةً بحيث أصدِّق أنني، أنا الفتاة الخادمة، يمكن أن أكون أي شيء لإيوجين أكثر مما كانت عليه أُمِّي لأبي، ولم أكن يائسةً وحمقاء فأرغبُ في أي شيء أكثر من ذلك.

لدي صداقته. إنها كافية.

يجب أن تكون كافية.

12

انتظرتُ أمام جناح بوسينجاك، وهو مبنى مهيب من طابقين بجوانب مفتوحة ترتكز على قواعد حجرية. غمرني ظل المشعل عندما مددت رأسي إلى الخلف، أراقبُ ظلَّ حارسٍ ظهرَ أمام الجرس الضخم، وقرعه بحركات سلسلة. دوى الرنين العظيم، وتردد صداه داخل عظامي. ستُغلق أبواب القلعة الآن، ساعتان قبل منتصف الليل، لقد بدأ حظر التجول. إنه وقت مقابلة إيوجين مجدداً.

كانت شوارع هانيانج مظلمة وهادئة، وأنا أشق طريقي نحو مكان لقائنا. دارَ ذهني، وأعاد عليَّ حديثي مع جيون والمرضة إينيونج، ثم تجمدتُ عندما شعرتُ بذلك الإحساس المزعج بأنني ملاحقة. نظرتُ خلفي ورأيتُ رجلين من رجال الدورية، أعينهما الخرزية الصغيرة مثبتةً عليَّ، ووجهاهما متوهجان تحت ضوء المشعل. قلتُ لنفسِي: إنهما يقومان بدوريات في الشارع وحسب. ومع ذلك، انعطفتُ بقوة إلى أحد الأزقة، ثم أسرعْتُ في متاهة من الممرات الضيقة. تتدلى المصابيح المتوهجة من الأفاريز، وتتمايل من خيوطها مع نسيم المساء مضيئةً لي الطريق حتى خرجتُ أخيراً إلى الطريق الرئيسي.

خفَّ توتري حين وصلتُ إلى مكتب الشرطة المضاء بنارٍ مشتعلة في مجامر حديدية، فأنا أعلمُ أن إيوجين في مكان قريب من هنا. عادت

الظلمة عندما انسلتْ حول الجدران المحيطة بالمكتب، الظلام الحالك
أشعرني بأنني لا شكل لي. مرَّرتُ يدي على الجدران الحجرية القاتمة،
واتبعتُ الأخاديد بأصابعي، منتظرةً أن تشعر أصابعي بالإطار الخشبي
للبوابة الصغيرة التي يستخدمها الخدم. احتكت يدي بقماشٍ دافئ،
وتجمَّدتُ عندما أدركتُ أنني ألمسُ حريقًا.

ناداني صوت عميق مألوف: «بايك-هيون؟».

استطعتُ أن أتيَّين ظلًّا طويلًا وقف أمامي بمنتهى الثبات، كأن يدي
موسومةٌ على صدره. تراجعْتُ بعيدًا بسرعة.

- أفضِّلُ ألا تناديني بذلك الاسم.

رفع إيوجين حاجبه: «لكنه اسمك الذي أسمىوك به».

- اسم أسمىوني به ولا يعجبني. هل جهزتَ لي زيَّ «الدامو» يا
ناوري؟

بقي ساكنًا دقيقة أخرى، لم أستطع أن أعرف ما إذا كان محدقًا إلى
الأسفل نحوي، أو بعيدًا، ثم قال: «إنه في الداخل، اتبعيني».

سَحَقَ التراب تحت خطواته وهو يمشي إلى جانب الجدار، وأسرعتُ
خلفه حتى كدتُ أصطدم به عندما توقف فجأةً. وصلنا إلى البوابة
الصغيرة، وعندما فتحها ظهَرَ لي ما يبدو أنه فناء للخدم.

نظرتُ إلى إيوجين، فاخفت كل مشاعر الاضطراب والخفقان
السخيفة التي اجتاحتني في وقت سابق عندما رأيتُ انعقاد حاجبيه،
فسألتُ والخوف ينعقدُ في معدتي: «ما الأمر؟».

- الأمر متعلق بالمرضة جيونجسو، لكنني سأخبرك لاحقًا.

قادني إلى غرفة التخزين قبل أن يتفاقم قلقي، وقال: «ستجدين زيّك في الداخل»، أغلق الباب قليلاً كي يتيح لي بعض الخصوصية، لكنه لم يغلقه تمامًا حتى لا يحجب ضوء المشعل.

خلعتُ «الجاريمان» المثبّنة على رأسي، وفككتُ جديلتني بسرعة. فكرتُ دقيقةً كي أتذكر كيف تصفُ «الدامو» شعرهن، وببعض الصعوبة، بسبب إبهامي المجروح، ضفرتُ شعري نحو الأسفل، ثم ربطتُ نهايته. خلعتُ زيّ اليونانيو، وطويته ووضعتُه جانبًا. طوال هذا الوقت كنتُ أهمس عبر الباب لإيوجين بما اكتشفته اليوم.

- عرفتُ معلومتين مهمتين اليوم؛ أولًا: أكّد ولي العهد أن أبي هو حجة غيابه في ليلة المذبحة، كما لمّح أيضًا إلى أن سلاح الجريمة في حوزته.

قال وفي صوته اضطرابٌ ممزوّجٌ بالدهشة: «هل أخبرك السيجا-جيوها بكل هذا؟».

- يبدو أنني أشبه شقيقته المفضلة الميتة، لذلك فتح لي قلبه بسهولة.

بقي إيوجين هادئًا ومن خلال فتحة الباب، لمحتُ كتفه المتشنجة. لقد ظننتُ أنه سيكون أكثر ابتهاجًا بما أخبرته، لكن على العكس شعرتُ بأنه سيُلقنني محاضرةً، لعله تحذير آخر من التعامل مع الأمير. انتقلتُ إلى النقطة التالية.

قلتُ: «أخبرتني الممرضة إينيونج شيئًا مثيرًا أيضًا»، استدرتُ كي أغادر، ثم ترددتُ، لم أجروُ على ترك هويتي أو حقيبة إبر الوخز، لذا أدخلتهما في جيبِي. ثم أكملتُ: «قالت: إن مدام مون ابتزت والدّة الأمير وزوجته. على ما يبدو أنها وجدت دليلًا يشير إلى أن الأمير يخطط...»،

تمهلتُ، وملتُ قريبًا من الباب، ووقف شعر جسمي، ثم أكملتُ: «لقتل الملك».

واصل إيوجين صمته، ثم غمغم بصوتٍ ثقيل: «لقد سمعتُ هذه الإشاعات من قبل، لعل مدام مون هي التي نشرتها من الأساس».

خرجتُ: «يبدو أنها مصرّةٌ جدًّا على تحطيم الأمير...».

حينها سمعنا خطواتٍ خفيفة، وأصوات رجل وامرأة يدردشان، إنهما على الأرجح خادم ودامو.

همس إيوجين: «يجب أن نغادر».

أسرعنا معًا عبر الفناء، وظلالنا الطويلة تمرُّ بسرعةٍ بجوار الأجنحة. ظننته سيقودني إلى مبنى السجن، لكن بدلًا من ذلك وجدت نفسي أقترب من مطبخ.

قال: «ستجدين أعشابًا في الداخل، أظنن أن بإمكانك تحضير مطهرٍّ؟ الممرضة جيونجسو تحتاج إلى مساعدتك».

نبض قلبي محمومًا وسألته: «ماذا حدث؟».

- عندما كنتُ غائبًا عقَدَ القائدُ سونج محاكمةً علنيةً أخرى، وحاول تعذيب الممرضة جيونجسو كي يأخذ اعترافًا منها، لكنها لم تقل شيئًا.

لجمتُ خوفي، فلا وقت له، وتبعته إلى داخل المطبخ، ثم توجهتُ مباشرةً نحو الموقد الطيني. «المكان هنا مظلم جدًّا بحيثُ أستطيع العمل». جلستُ على وركي، ونظرتُ إلى الحفرة المملأى بالدخان، وقلت: «يجب إشعال الفرن».

- هيّا، اسمحي لي.

جلس إيوجين إلى جانبي، وثوبه الأنيق متجمّع على الأرض المتسخة. التقطَ مروحةً لتأجيج اللهب، وبدأ بتهوية الجمر؛ لينهض من سباته مضيئاً المطبخ بتوهجٍ خفيف.

بينما كان مشغولاً بذلك، استطعتُ أن أعرف أن ثمة شيئاً آخر يريد إخباري به.

ضغطتُ عليه: «ما الأمر؟ ثمة شيء آخر يزعجك».

في البداية لم أكن واثقة من أنه سيخبرني، لكنه بعد دقيقة من التجهّم قال: «المرضة كيونجهي ماتت. قالت الممرضات في الهيمينسيو: إنها ماتت نتيجة الصدمة الحادة التي تلقتها على رأسها. نامت... ولم تستيقظ».

نزلَ هذا الخبر ثقيلاً على صدري، لكن لا يمكنني أن أقول: إنني تفاجأت. بعض المرضى يبدوون بخير ظاهرياً بينما ينهشهم الموت من الداخل.

امراًً أخرى من نساء القصر ماتت الآن.

أسرعتُ إلى الخزانة الممتلئة بأدراجٍ صغيرة وجسدي يرتعش، في كلٍّ منها كيسٌ قطنيٌّ محشوٌّ بالأعشاب الطبية المجففة. صحيحُ أن «الدامو» ممرضات فاشلات، ولكنهن يبقين ممرضات على أي حال، ولذلك لم أتفاجأ بأنهن يبقين المكونات مرتبةً بشكل جيد جداً. أخرجتُ كيساً مكتوباً عليه «باكجيب»، وتأكدتُ مرةً أخرى عندما شممته: جذر الأوركيد المجفف. وضعته في وعاء، وعثرتُ على يد الهاون. يجب أن أطحن الجذور، وأسحقها لتتحول إلى بودرة أرشها على الجروح حتى توقّف النزيف، وتقلل الالتهاب، وتسرع الشفاء.

جاءني صوت إيوجين هادئاً قاطعاً تركيزي: «ثمة شيء كنت أنوي سؤالك عنه». أصدر حذاؤه صريخاً على الأرض وهو يقترب منّي، شعرتُ

بنظراته تسقط على وجهي، شعرتُ بأنني عاريةٌ تمامًا تحت هذا الفحص الدقيق. «لماذا تعني لكِ الممرضة جيونجسو كثيرًا؟».

نظرتُ إلى خارج المطبخ، أظهار أنني أبحث عن خطر ما في الفناء، لكن لا توجد مهمة واحدة، ولا حتى حفيفٌ يزعجُ الظلام الصامت. فأجبتُه هامسةً: «لم أكن لأصبح يوينو من دونها، لقد علّمتني، ودرّستني طوال سنوات وجودي في الهيمينسيو».

- لقد علّمت ودرّست أخريات أيضًا، ومع ذلك، لم أر أي واحدة أخرى من طالباتها تخاطر بحياتها من أجل إنقاذها.

قلت: «أظن أنني عنيدة فقط»، دققتُ الجذور بيد الهاون الخشبية: «أحب إكمال المهام».

- لا يمكن أن يكون هذا كل شيء.

عبستُ في وجهه: «لماذا تريد أن تعرف؟».

هز كتفيه قليلًا: «أنا فضولي».

قلتُ: «تركنتني أمي ذات مرة خارج منزل جيبانج». نادرًا ما بُحثُ بذلك لأي شخص، لكنني شعرتُ بأنني لا بدّ من أن أكشف عاري، ربما لأخمد هذا البريق في عينيه، كأنه لمح حجرًا لامعًا تحت رمالٍ متحركة. ثم أضفت للتأكيد: «رفضت المدام أن تأخذني، قالت إنني عنيفة جدًّا، كما أن مزاجي خارج عن السيطرة، لم أترَبَّ على أن أكون طيبةً ومراعيةً ومشرفةً».

واصل مراقبتي من دون أن يحيد نظره عني.

تنحنحتُ مرتبكة: «لذلك... أخبرتني أمي أن أنتظر في الخارج، أن أتوسل حتى تُدخلني. لكن المدام لم تدخلني قط، ولم تعد أمي كي

تأخذني، حتى مع حلول الليل. حينها عثرت عليّ الممرضة جيونجسو، أكاد أموت من البرد. إنها الوحيدة على الإطلاق التي اهتمت لأمرى حقًا». انتظرتُ نظرة شفقة تلوي وجهه. لكن على العكس، شبك يده خلف ظهره، وأمال رأسه جانبًا قليلًا، وعقد حاجبيه في حيرة.

سألني: «من أخبر الممرضة جيونجسو أنك تتجمّدين في الخارج؟». طرفتُ بعينيّ قائلة: «من قال لها...؟ أحد المشاة العابرين، أعتقد».

- ألم تسألني قط؟

- لا...

- والممرضة جيونجسو لم تشرح لك موقفها قط؟

- لا، إنها...

تمهلتُ ثم قلتُ: «عندما سألتها ذات مرة، قالت لي شيئًا لم أستطع أن أفهمه». شيءٌ لم يزعجني حتى التفكير فيه إلا الآن، قالت لي: إنها لا تعرف كيف تحب، لكن هذا لا يعني أنها لا تحب على الإطلاق.

خيّم الصمت علينا، لكنني أزحت ارتباكي المفاجئ جانبًا. لم أرد أن أفكر في كلماتها، أو فيما وراءها، فقلت: «يجب أن نعالجها الآن». وضعتُ الوعاء على صينية كي أبدو كأ أنني خادمة في مهمة رسمية بقدر الإمكان. «أنا جاهزة».

- أبقى رأسك منخفضًا، ولا تدعي أحدًا يرى وجهك.

كلما توقف أحد الضباط في مساره لينحني لإيوجين، أخفضتُ رأسي أنا أيضًا لأخفي وجهي. على الرغم من ذلك، لم ينتبه أي أحد لوجودي، فأنا مجرد دامو، أدنى أدنى الرُتب. حتى عندما وصلنا إلى مبنى السجن، لم نسأل أي سؤال عندما أمر إيوجين الحارس بالسماح لنا بالدخول.

في اللحظة التي دخلنا فيها، صدمتني رائحة الدم واللحم المتعفن الكريهة. يملأ المسجونون المتأوهون الزنازين الخشبية المصطفة على مدى القاعة الطويلة، وتلمع وجوههم الهزيلة، ثم تختفي في الزنزانة، كأنها ترقص مبتعدةً ومقتربةً على إيقاع توهُّج المشعل.

قال الحارس: «المتهمة جيونجسو في تلك الزنزانة هناك». قادنا أعمق إلى داخل مبنى السجن، تخشخش المفاتيح على خصره، ثم ألقى عليّ نظرة خاطفة، وقال: «إن... حالتها سيئة».

أمسكتُ بصينية الأدوية العشبية حتى انغرزت حوافها براحتي. ما الذي يجبر الممرضة جيونجسو على البقاء في هذا المكان اللعين؟ إذا كانت بريئة، فكلُّ ما عليها هو أن تشهد، أن تُقدِّم حجتها للقائد سونج. أي تفسير آخر غير تلك الشهادة التي أدلت بها في المرة الأولى: أنها ذهبت إلى الهيمينسيو في منتصف الليل، ثم نامت في أثناء المذبحة.

توقف الحارس: «لقد وصلنا». خشخشت مفاتيحه بصوتٍ أعلى، ثم فتح باب الزنزانة الخشبي. لم أجروْ على النظر نحو الأعلى، ليس بعد.

قال لي إيوجين بصوتٍ بارد وغير مبالي: «اذهبي واعتني بها». لعلنا لو تقابلنا في أي ظروف أخرى، لعاملني بهذه النبرة دومًا. ثم استدار نحو الحارس: «سأتحدث معها على انفراد الآن يا ضابط تشوي».

انحنى الحارس: «نعم».

بقيتُ ساكنةً، محدِّقةً إلى الأسفل نحو الصينية، وأستمع لخطوات الحارس تبتعد نحو القاعة، وتخرج من الباب الرئيسي، خشخشت مفاتيحه على طول الطريق. أطلقتُ نفسًا متوترًا، وحاولت النظر نحو الأعلى، لكنني وجدتُ ذقني لا يرتفع. لقد كان من السهل عليّ حتى الآن، أن أفصل مشاعري عن التحقيق، أن أتحرك وفق ما هو صحيح وما هو

خاطئ. ففي النهاية، معلمتي هنا مختفية في مكتب الشرطة، بعيدة عن نظري، وبالتالي بعيدة عن عقلي في معظم الأمر.

لكنها الآن أمامي مباشرة، وأنا أخشى ما قد أراه.

قال إيوجين بصوتٍ رقيق: «سأنتظر في الجوار وأراقب، اذهبي واعتني بمعلمتك».

رفعتُ عينيَّ أخيراً، المكان محاطٌ بقضبانٍ خشبية، وفي الزاوية تحت الشباك الصغير، رأيتُ ظلاً يرتجف. بدتُ أصغر مما أتذكرها، بدتُ نحيلةً جداً، وعندما اقتربتُ منها انقبض قلبي. بالكاد أقدر أن أعرفها، أصبحت كومةً من العظام والزوايا الحادة، باتت عظمتا وجنتيها العريضتان الآن مثل خنجرين بارزين في وجهها، واختفت عيناها الطيبتان اللتان لا تعرفان الخوف، وحلَّ محلهما نظرةٌ مرتعبة. لقد حطَّم القائد سونج هذه السيدة.

همست: «يوينيو-نيم، أنا هيون، بايك-هيون».

أستغرق الأمر بضع دقائق قبل أن توجَّه نظرها نحوي: «هيونا؟». صوتها أحيا ذكرياتٍ بداخلي—عدتُ طفلةً في الثامنة مجدداً، طفلةٌ نصف متجمدة تنتظرُ خارج منزل الجيبانج. انحنت الممرضة جيونجسو أمامي وسألتني: أين والدتك؟ فهزرتُ رأسي. إذن أين والدك؟ غاص رأسي نحو الأسفل، وانحدرت الدموع على وجنتي. حينها احتضنت وجهي بأدفاً يدين عرفتهما على الإطلاق. لست وحدك الآن، أعدك. نفضت الثلج الذي تجمَّع على رأسي وكتفي، ولفتنني بأسمك بطانية قطنية، ورفعتني على ظهرها، ثم حملتني طوال الطريق إلى الهيمينسيو. لم تتوقف لالتقاط أنفاسها ولو مرة واحدة.

كانت في مثل عمري الآن، في الثامنة عشرة.

لقد غيّرت حياتي، وتمنيتُ أن أنقذ حياتها.

جثوثُ أمامها، ووضعتُ الصينية على الأرض، وقلت: «أنا هنا...»،
لفتت تنورتها الغارقة في الدماء انتباهي، يداها أيضًا غارقتان في الدماء،
كأنها كانت تضغط بهما على جرح لا يتوقف نزيفه. همستُ وصوتي
يلتوي في محاولة للبقاء هادئة: «كم مرة ضُربت؟».

أجابت: «لم أعد أحسب».

- هل تسمحين لي؟

بعد أن أومأت، رفعتُ فستانها إلى الأعلى، ملابسهـا الداخلية ممزقةٌ
ومُقَطَّعةٌ من الجُلْد، ورجلاها ملتهبتان وملطختان بالدم، انشق جلدها
عميقًا، وبرز بياض عظمتها المكسورة عبر لحمها. لا ينبغي أن يصدمني
ذلك المنظر، لقد عالجنا العديد من المرضى العائدين من تحقيقات
الشرطة، جلود أرجلهم ممزقة ومشقوقة بالطريقة نفسها. ومع ذلك،
اضطرتُّ إلى إغماض عيني كي لا أصاب بالغثيان.

سألتنِي: «لماذا أنتِ هنا؟».

أجبتها: «لأعنتي بك»، ثم نظرتُ إلى الأعلى: «وأسألكِ عن الحقيقة».
بقيتُ صامتةً فترةً طويلة، وخشيتُ أن تطردني، لكن على العكس
من ذلك، هزَّت رأسها ببطء وضعف: «أريدكِ أن تفهمي، أنا لا يهمني
ماذا يظن الآخرون».

- دعيني أولاً أظهُر...

لمست الممرضة جيونجسو رسغي: «لا يوجد وقت».

- أرجوكِ يا يوينيو-نيم.

لم أستطع التفكير في التحقيق، ليس وأنا محاطة بكل هذه الدماء والعظم. لمستُ حاجبها، إنه يغلي، خفتُ عليها، وقلت: «لدينا وقت. إذا تركتكِ على هذه الحال الآن، لا أظن أنك ستبقين على قيد الحياة...».

قالت بتوسُّل: «هيوناه، أريدك أن تعرفي أنتِ على الأقل الحقيقة».

الحقيقة: كلمة نطاردها أنا وإيوجين منذ أيام، لكنها الآن أمامي مباشرة، ولست واثقة من أنني أقبل ثمنَ هذه الحقيقة.

قالت: «لم أكن في الهيمينسيو وقت جريمة القتل، ولا قبل ذلك، لكن حجة الغياب الوحيدة التي أملكها... لا أجرؤ على كشفها للشرطة. سيكون ذلك قاسياً جداً، حجة غيابي «بايكجونج»، ولديه سبعة أطفال يحميهم».

عصفت بصدري لطمةً موجهة، لم أستطع أن أصدّق، أشرتُ بغضبٍ إلى رجليها المعذبتين بوحشية وقلت: «ومن ثمَّ ستتحملين القسوة وحدك؟ تخاطرين بحياتك من أجل رجل ينتمي إلى أدنى طبقة؟ أنقذي نفسك يوينو-نيم. رجاء».

سمعتُ وقع خطواتٍ غاضبة قوية، آتية من خارج مبنى السجن، وصاح صوت مدوّ: «أين هما؟».

تبيستُ مكاني، أستطيع تمييز صوت القائد سونج بالضبط كما أُميّز صوت الرعد الهادر.

- أياً كان عدد من أنقذتهم، ما يزال الموتى يطاردونني يا هيوناه.

أدارت الممرضة جيونجسو يدي بحيث يظهر باطن كفي للأعلى. أستطيع أن أشعر بارتجافها، وإصبعها الملطخة بالدماء تتتبع الخطوط الموجودة في يدي. قالت: «لن أسامح نفسي أبداً لأنني تسببتُ بموت

زوجة القائد سونج وطفلها. كان يسهل تجنب ذلك، ومع ذلك كنت متغطرة جدًّا، ولم أطلب المساعدة نيابةً عنهما».

تشبَّثتُ عيناها بعينيَّ، ويداها برسغي لحظةً طويلة، لحظةً فطرت قلبي. «تذكَّري ما كنت أقوله لكِ دومًا: يجب أن تُقدِّري حياة الآخرين، وأولئك الأكثر ضعفًا هم الأثمن على الإطلاق. نحن يوينيوس يا هيونا. يجب أن نحمي». أفلتت يدي ثم أكملتُ: «أذهبي الآن، ولا تقلقي عليَّ».

- لكن...

مددتُ يدي لأمسك بالوعاء الذي حضَّرتَه لها، فسحبت الصينية بسرعة بقرب رجلها، وأسدت تنورتها عليها، ثم قالت: «سأعتني بنفسي، يجب أن تغادري الآن».

- سأعود إليك، سأحرص على ألا يحدث...

قالت: «لا أحتاج إلى إنقاذ»، نظرتُ إليَّ مرةً أخيرة، شعرتُ بأنها تودعني: «لقد اتخذتُ قرارًا، وقد يتسبب في موتي، لكنني لست نادمة. اعتني بنفسك يا هيونا».

- أرجوك...

في تلك اللحظة، اندفع إيوجين إلى داخل الزنزانة، وقبض على ذراعي، ثم أنهضني. شعرتُ بأنني مفكَّكة؛ ذهني ما يزال جاثيًا أمام معلمتي، لكن جسمي ينطلق بسرعة عبر الظلال ثابتًا إلى جانب إيوجين، ننطلق عبر مبنى السجن الضيق والطويل الذي لا ينتهي.

ارتطم الهواء المنعش بوجهي ونحن نخرج من بابٍ بديل. أسرعنا عبر الفناء، وإلى جانب المطبخ، ثم اندفعنا إلى غرفة التخزين في نفس اللحظة التي امتلأ فيها الهواء بصوت القائد القادم من بعيد: «أغبياء! أين تلك الممرضة المتطفلة؟»، بدا نباح الكلب الحاد كأنه صدى لكلماته.

القائد يبحث عني أنا. خفق قلبي بقوة مؤلمة وأنا أُحدِّق عبر شقٍّ في الباب، وقفَ إيوجين خلفي على مقربة مني، ويده تمسك بكتفي، قبضته تحميني.

سألني: «ماذا كتبت؟ الممرضة جيونجسو كتبت شيئاً على راحة يدك».

أدرت رأسي ونظرتُ نحو الأسفل، لمع رمزان من رموز الهانجول باللون الأحمر الصديء على جلدي، كما لو كانا محفورين: يونج-دال.

غمغم إيوجين: «يونغ-دال... أعرف ذلك الاسم».

- أتعرفه حقاً؟

أضاف قائلاً: «هذا اسم الجاني الذي ارتكب جريمة السرقة في ليلة المذبحة. إنه مشهور بين ضباط الشرطة. في المرة الأولى التي قبض عليه فيها، وُسِمَ وجهه، وفي المرة الثانية جدعوا أنفه. هدأ نشاطه فترة، ثم قبل بضعة أيام، اقتحم مخزن أرز يملكه أحد النبلاء، وسرق كيسين. سمعتُ أنه سيحكم عليه بالإعدام هذه المرة».

قلتُ بصوتٍ خشن: «أين هو الآن؟».

قال: «لقد هرب، لكنني أظن أنه مجروح... انتظري هنا. سأذهب لأجد التقرير، وأعود على الفور».

ثم ذهب. بدلتُ ثيابي بسرعة إلى زيِّ التمريض، وحرصتُ على استعادة هويتي وحقيبة إبر الوخز اللتين وضعتهما في جيب المئزرة. عدتُ للتركيز على الاسم المكتوب على يدي باللون الأحمر: يونج-دال. إذن هو مجرم بسيط، واحدٌ من آلاف لجأوا إلى السرقة كي يبقوا أحياء في ظل المجاعة. ثمة سببٌ وراء استخدام مقولة «mok-gumeung-i-

podochung» بشكل شائع، كانت مقولةً منتشرة بين الفقراء، تعني أنه إذا أراد المرء أن يُطعم نفسه، فعليه أن يصبح مجرمًا.

تمشيتُ في غرفة التخزين المظلمة، أقترَبُ وأبتعدُ عن شعاع ضوء المشعل المتسلل إلى الداخل عبر شق الباب. الآن أصبح موقف الممرضة جيونجسو منطقيًا؛ سببُ رفضها البوح بحجة غيابها، لقد كان اختيارًا بين حياتها وحياته... وحياة أطفاله السبعة.

سمعتُ خطواتٍ أقدامٍ تسحقُ العشب في الخارج، فانقطع حبل أفكارِي. عاد إيوجين. مشيتُ عبر غرفة التخزين، تصرُّ الأرض تحت وزني، وما إن وصلتُ إلى المدخل، حتى شعرتُ ببرد الشتاء يغمرنِي. رأيتُ المشاعل المتوهجة عبر الشق، وتباطأ كلبُ أمام غرفة التخزين مباشرةً.

أرجوك اذهب. أرجوك. حبستُ أنفاسي، وأبقيتُ عينيَّ على الكلب متمنيةً لو باستطاعتي أن أحمله على المغادرة. لكن الكلب أدار أنفه في الهواء يشم في اتجاهي، تمنيتُ فجأةً لو أنني لم أقترَب كثيرًا، كان يجب أن أختبئ في الركن البعيد.

نبح الكلب مرة.

سمعتُ صوت خفقات قلبي يدوي في أذنيَّ عندما اجتمع الضباط في الخارج. تراجعتُ خطوةً إلى الخلف، ولكنَّ رجلي التوت، وتعثرتُ واقعةً على الأرض في الوقت نفسه الذي انفتح فيه الباب.

اصطدمتُ عينيَّ برؤية القائد سونج، وضابطين، والدامو سولبي. التوت شفتا القائد في اشمئزاز: «هل هذه هي الفأرة التي أبحث عنها؟». قال لسولبي: «أحضري لي هوية هذه الفتاة».

برأس منحني، ووجه شاحب من الخجل، مشت إليّ بخفة، ومدت يديها الاثنتين قائلة: «من فضلك يوينو-نيم».

لم أستطع التحرك، يداي متجمدتان.

حاولت سولبي مجددًا، وفي صوتها نبرة اعتذار: «من فضلك».

شعرت بالحمى والإغماء، وأنا أُدخل يدي المرتجفة إلى جيبِي، وأسحب الغرضين اللذين أحملهما: بطاقة الهوبي الخشبية، وحقيبة إبر الوخز. تبعثرت الحقيبة على الأرض، عندما أخفقتُ في أن أناول سولبي هويتي الخشبية. وقعت نظرة القائد الباردة عليها، وعندما نظر إلى الأعلى نحوي، شعرت كأن نصلًا انغرز في قلبي.

- بايك-هيون، عامية سوقية.

رمى هويتي عند قدميَّ قائلاً: «أنتِ الابنة غير الشرعية للورد شين. كما أقول دائماً، هؤلاء غير الشرعيين سيحرقون مملكتنا، إنهم متمردون جداً وعصاة. غادري فوراً، وتوقفي عن إحداث المزيد من الفوضى».

هل سَمَحَ لي بالذهاب؟ عليّ أن ألجم نفسي حتى لا أهرول مبتعدة عن ناظريه، ولكن على العكس، أخذت وقتاً كي أنحني، والتقطت هويتي بهدوء، وأشق طريقي خارجة من غرفة التخزين مارةً من جانب جسده المظلل. تشنّجتُ أذناي عندما غمغم إلى ضابط بجانبه قائلاً: «أبلغ سيادة اللورد أن ابنته غير الشرعية قد اقتحمت مكتب الشرطة».

اختنقتُ أنفاسي في حلقي، وتباطأتُ خطواتي، ثم استدرت كي أواجه القائد، وعيناي متسعتان. همستُ: «أرجوك، لا تخبر أبي».

عَقَدَ ذراعيه فوق صدره، وقال: «لماذا؟ هل ندمت فجأةً على أفعالك؟»، أعقب ذلك سكتةً طويلة ربما راقب خلالها الذعر على وجهي، ثم لمعت عيناه: «دعينا نعقد اتفاقاً إذن، أنا أعتزم تقديم عريضة لعزل المحقق

الشاب، فإذا كنتِ ستشهدين؛ إذا قلتِ لي كل ما تعرفينه عن تحقيقه السري حول ولي العهد، سأغفر لك تجاوزاتك».

أمسكتُ بالهوية الخشبية بقوة، حتى انغرزتُ أطراف أظفاري في راحتي. لقد رأيتُ الكثير من الأشياء، وشعرتُ بالكثير أيضًا، على مدى الأسبوع الماضي بحيث لا أستطيع أن أخون إيوجين. بقي صوتي ثابتًا بينما قلت: «أنا لا أعرف عما تتحدث يا سيدي».

- عنيدةٌ مثلك مثل الجونجساجوان نفسه.

أشار القائد سونج إلى سولبي: «خذيها إلى مبنى السجن، واحرصي على ألا يعرف المحقق سيو بالأمر». ثم توجّه إليّ: «إذا لم يأت والدك من أجلك، سأبقيكِ في الحبس حتى تنتهي أيام الممرضة جيونجسو العشرة. لدي ما يكفيني من المتاعب».

عشرة أيام...؟ حدّقتُ إليه، وأنا أسمع دقات قلبي القوية تتردد في أذنيّ.

امتدت ابتسامةٌ قاسية عبر شفتيه ردًا على السؤال الذي في عينيّ: «إنه القانون الوطني: يجب إصدار حكم بعد مرور عشرة أيام من التعذيب. وأنا أعتزم اتهام الممرضة جيونجسو بارتكاب المذبحة».

استغرقتُ دقيقة كي أستوعب كلماته، وعندما استوعبتها شعرتُ كأنني ابتلعت كتلةً من الثلج. لم يكن لدي سوى عشرة أيام أخرى كي أمنع إعدام الممرضة جيونجسو.

وقد انقضى معظم اليوم الأول أصلًا.

13

أغمضتُ عينيَّ وفتحتهما مجددًا، ما يزال باب الزنزانة هناك، مُقفلاً بمفتاحٍ يخشخش الآن على خصر ضابط وهو يتمشَّى عبر قاعة السجن المظلمة.

لست غاضبةً، على العكس كنت هادئةً، لكنني لم أكن واثقة ماذا أفعل الآن.

على جانبيَّ زنانات تضم غرباء يهمسون: «أليست تلك ممرضة؟ ماذا تفعل ممرضة في السجن؟». يُضخُّ السكون أصواتهم، حاولت ألا أسمع، لكن ذلك محال.

- ربما سمَّمت شخصًا ما؟

- إنها لا تبدو قاتلة.

- نادرًا ما يبدو القتلة مثل القتلة.

جلستُ وضممتُ ركبتيَّ إلى صدري. سؤال ثقيل يحوم حولي، وأنا أستمع إلى دقات قلبي المضطربة: هل سيأتي أبي؟

لا أستطيع أن أحدد كم من الوقت بقيتُ جالسةً هنا، عندما رأيتُ سولبي تدلف إلى مبنى السجن على رؤوس أصابعها. نهضتُ على قدميَّ بصعوبة، اجتاحتني موجةٌ دافئةٌ من الارتياح عندما رأيتُ وجهًا مألوفًا.

همستُ من بين قضبان زنزانتي: «المحقق سيو يبحث عنك. أمروني أن أخبره بأنك غادرت إلى منزل جايكجي. وبدا أنه صدقني، بما أن

المرضات يقمنَ هناك في العادة عندما يحتجنَ إلى البقاء في العاصمة». ترددتُ: «لم أود أن أكذب عليه، لكن خادم القائد كان يتجسس عليّ. إذا كنتِ ترغبين في إخبار المحقق بمكانك الآن، سأفعل».

إذا أخطرت سولبي المحقق سيكتشف القائد. لقد تسببتُ لها بما يكفي من المتاعب.

همستُ: «لا، أود أن أبقى وحدي...».

عقدتُ ذراعيّ، وتمشيت في الزنزانة، ينخر في داخلي تيارٌ خفيٌّ لا يهدأ. ثم تمهلْتُ، عندما رأيت أن سولبي ما زالت تنتظرني، كأنها ظنت أن لدي شيئاً آخر أقوله.

وأدركتُ أنني لدي ما أقوله.

همستُ: «أتذكر أنكِ كنتِ في الهيمينسيو قبل عام، لعلكِ تعرفين طالبة تدعى مينجي؟»

- هل تقصدين الفتاة التي نجت من المذبحة؟ أعرفها. في الواقع، لقد ساعدت المحقق سيو في البحث عنها. تسارعت نبضات قلبي: «حقاً فعلتِ؟».

- لقد كُلفت باستجواب كافة أقاربها الذين يعيشون هنا. كما أن لدي قائمة تتزايد، تضمُّ أفراد عائلتها ومعارفها الذين يعيشون خارج العاصمة؛ في الأماكن التي يعتقد المحقق سيو أن مينجي يمكن أن تهرب إليها. على ما يبدو أن والد مينجي قد اختفى أسبوعاً كاملاً بعد المذبحة مباشرةً. يعتقد المحقق سيو أنه رافق مينجي إلى مكان للاختباء، والآن عائلتها مذعورةٌ من الكشف عن مكانها. يظن المحقق أنهم خائفون من أن تُحبس ابنتهم، وتعدَّب مثل

المرضة جيونجسو فور العثور عليها، لذلك فإنه يحاول كسب ثقتهم.

من يدري كم من الوقت يمكن أن يستغرق ذلك؟ لم يبق أمام الممرضة جيونجسو سوى تسعة أيام.

- ثمة شيء أريدك أن تفعله من أجلي.
أومات: «أي شيء».

- اذهبي إلى الممرضة أوكسون نيابةً عني، وأخبريها أنني لم أعد أحتاج مساعدة في البحث عن حجة غياب الممرضة جيونجسو.
يجب أن أحترم رغبة معلّمتي في التوقف عن البحث عن يونج-دال وأطفاله السبعة. «أخبريها بدلاً من ذلك أن تسأل جميع من تعرفهم عن والد مينجي، وأين ذهب في أسبوع المذبحة. لعلّه لم يثق بالمحقق سيو بما يكفي ليخبره، لكن من المؤكد أنه حكى عن تحركاته لمن يعرفهم».
قالت سولبي بنظرة عازمة: «سأذهب إليها حالاً، أعرف أين تسكن».
- شكراً لك.

رحلت، وانتظرتُ وسط الصمت، أستمعُ لدقات الجرس الكبير معلنةً انتهاء حظر التجول، كنتُ أعتقد أن والدي بالتأكيد سيأتي من أجلي قريباً.

ومع مرور الساعات، تسَلَّتْ رطوبةٌ باردة عبر الساحات، وعرفتُ طريقها إلى زنزانتي. تجمّدت أصابع قدمي، واعتصر الألم ساقيَّ مع كل خطوة. تمهلْتُ الآن، ثم رفعتُ عنقي أحاول أن ألمح بوضوح أكبر الممرضة جيونجسو من خلال صف الزنازين وقضبانها الخشبية، لكنها بقيت مكومةً على الأرض، بعيدةً عن الأنظار تستنزفها الحمى، خفتُ عليها.

عندما دقت الأجراس، كنت لا أزال منتظرة، أسمع.

لا أحد جاء من أجلي.

استيقظت مذعورةً على صوت خشخشة المفاتيح. لا بد من أنني غفوت بعد الفجر، فالضوء في الخارج يشير إلى أن الوقت قريب من الظهيرة. فركتُ عينيّ، ونظرتُ أمامي فشعرتُ بأن كل أطرافي هامدةٌ.

وقف أبي خارج الزنزانة بينما فتح الحارس الباب. حدّق أبي إلى الأسفل نحوي، ويداه مشبوكتان خلف ظهره.

ترنحتُ، بالكاد استطعت أن أتنفس، وأنا أحنى رأسي إلى الأسفل. تدربتُ على الأكاذيب طوال الليل؛ أكاذيب تحميني من غضبه وخيبة أمله. لكن في هذه اللحظة، أنساني الخوف الأكاذيب، وبقي عقلي فارغاً. قال أبي بصوتٍ رتيب: «استلمتُ رسالةً عاجلةً في منتصف الليل، وعندما وصلتُ إلى مكتب الشرطة أخبرني القائد بمدى تطفلك، وقال: إنكِ تسللتِ إلى مكتب الشرطة أمس».

بدأتُ عيناها المراقبتان كأنهما تقولان: دافعي عن نفسك الآن... إن كنتِ تجرئين.

همستُ: «ثمة سوء تفاهم بالتأكيد. لقد تسللتُ إلى مكتب الشرطة أمله أن أعتني بالمرضة جيونجسو، لا شيء أكثر...».

- إذن، أنتِ لستِ متطفلة فقط، بل كاذبة أيضاً.

تسارعتُ دقات قلبي، وأخفضتُ نظري نحو الأرض.

- لقد أخبرني القائد أنك تسللتِ إلى مسرح مذبحة الهيمينسيو، وبلا تفكير لمستِ الجثث، على الأرجح تلاعبتِ بالأدلة. ثم مرة أخرى

تدخلت بلا تفكير في فحص جثة ما بالقرب من نهر هان. وهو
يظن أنك لا بد تشاركين أسرار القصر أيضًا مع المحقق سيو.
قلت وأنا أحاول أن أبدو صادقة: «أنا آسفة، لن أتطفل مجددًا...».
سأل أبي: «بماذا وعدك المحقق سيو في مقابل مساعدتك له؟ أم
تسمحين له باستغلالك ببساطة، لأنك عاشقة».

سقطتُ تظاهراتي المتملقة، ورمقته من تحت رموشي: «لا، ليس
لهذا السبب، إنه لا يستغلني، نحن أصدقاء».

قال ساخرًا: «أصدقاء؟ لا يمكن أن يكون رجل وامرأة أصدقاء،
الصداقة موجودة بين المتساوين وحسب. أنتِ عامية سوقية، عندما
ينتهي كل هذا لن يقدم لك أكثر من أن تصبحي محظيته. رجلٌ له مثل
هذه الروابط العائلية لن يتنازل أبدًا فيتزوج بفتاةٍ مثلك».

صررتُ على أسناني: «ليس لدي نية في أن أصبح محظيةً يا لورد
شين».

هزَّ رأسه، من الواضح أنه لا يصدقني: «مهما يكن، لقد أخزيتني أمام
القائد. وما هو أكثر من ذلك، لقد عصيتني عمدًا». صمتَ بشكلٍ مفاجئ،
وفي ظل صمته استطعتُ أن أشعر بحجم ازدرائه. قال: «ألم أطلب منك
ألا تتورطي؟».

اختفت فظاظتي، فرغبتُ الآن أن تبتلعني الأرض. همستُ: «نعم،
فعلت».

أطلق زفرةً، وهزَّ رأسه مجددًا: «عندما علمتُ أنك أصبحت ممرضةً،
افتخرت بك. لكن الآن، أرى أنني أخطأت في تقديرك، وظننتكِ شيئاً لستِ
عليه. مثلك مثل أي غير شرعي آخر في هذه العاصمة: مسببة متاعب
ومخالفة للقانون».

بينما كانت خيبة أمله تحدّق إليّ، بقيتُ متسمّرةً، أمسكُ بطيات تنورتي بقوة حتى شعرتُ بسخونة مفاصل أصابعي.

- لا يمكنني تجاهل كلمات القائد سونج، هو أدنى مني رتبةً، ومع ذلك كان غاضبًا منك، فقال لي: «كيف يمكن لوزير العدل أن يضمن وجود نظام في العاصمة، بينما لا يكون قادرًا على فرض نظام مناسب على أهل بيته؟».

مد أبي يده، ونقر إصبعًا على القضبان الخشبية، كل نقرة بدت كأنها صفعَةٌ موجّهةٌ إليّ، عدُّ تنازلي للعقوبة التي تعتمل في ذهنه: «لقد أرسلتُ رسالةً إلى القصر بخصوص سلوكك غير اللائق، وطلبتُ خفض رتبتك».

بالكاد تمكنتُ شفتاي من تكوين السؤال: «خفض رتبتني؟».

- تجريدك من لقب ناي-يوينيو، لأن الناي-يوينيو أولاً وقبل كل شيء سيدة قصر، وأسراره يجب أن تكون محفوظة، ومع ذلك ليس لدي شك في أنك تسربين المعلومات.

تحدثت بصعوبةٍ بينما سرى الذعر في عروقي، زعر بطيء وثابت، بارد ومؤلم: «لكن أنا... لقد أمضيت نـ... نصف حياتي أجتهد في سبيل هذا المنصب...».

قال بصوتٍ فظ: «Samgang oryun»⁽¹⁾. لقد وهبت السماء لكل فرد دورًا محددًا بناءً على مكانته أو مكانتها؛ اللورد يجب أن يتصرف مثل لورد، والخادم مثل خادم، والأب مثل أب، والابن مثل ابن. وأنت، ابنة يجب أن تتصرفي مثل ابنة».

(1) Samgang oryun: المبادئ الأساسية، والأنظمة الأخلاقية التي بُنيَ عليها المجتمع الكوري في جوسون. (المترجمة)

زحفت البرودة إلى قلبي، لقد دخلتُ إلى الهيمينسيو، ودرستُ حتى أوقات متأخرة من الليل، عشتُ على ثلاث ساعات من النوم، ونزف أنفي كل يوم، كل ذلك كي أصبح الابنة التي تحدث عنها؛ ابنة يمكنه أن يفخر بها.

- لكنكِ كسرتِ هذا التناغم.

تصلبتُ خطوط وجهه، وقال: «والآن عليكِ تحمل العواقب...».

قاطعته: «أنتَ أبي، ومع ذلك لم تتصرف كأب قط». ارتجف صوتي، وارتعشتُ كلماتي، لكنني تكلمتُ ولم أتمكن من التوقف. أهانني الظلم في كلماته جدًّا؛ فلم أستطع أن أسكت: «لذا، لِمَ عليّ أنا أن أتصرف بصفتي ابنتك؟».

تحوّل وجه أبي إلى اللون الرمادي، واكتسى بغضبٍ صامت، غضبٍ لم أشهده من قبل، يشبه غياب ضوء الشمس ودفء البشر، فراغ مظلم مليء ببرد الشتاء وحسب.

ضعف صوته، وتحول إلى همس بارد: «من علّمك أن تكوني متمرّدة إلى هذا الحد؟ أن تكوني فظةً جدًّا؟»، أكاد أشعر به يعد عظامي التي يود أن يكسرها. لكنني لم أكن مستعدةً على الإطلاق لفظاعة قسوته. «بحلول نهاية هذا القمر الكامل، عليكِ مغادرة مسكني، أنتِ، وشقيقك وأمك، دعينا لا نتصادف مرةً أخرى».

ترقرقتُ عيناوي، كأنه صفعني على وجنتي: «لكن هذا بيتنا نحن...». قاطعني بشراسةٍ مفزعة: «لا شيء لديكم يخصكم، بيتك ملكي أنا». بقيت الزمجرة عالقةً على وجهه، ثم أخذ نفسًا عميقًا، ومرّر يده على ثوبه الحريري، وتحوّل إلى وزير العدل مرةً أخرى بوجهه المتجهّم الهادئ: «لكن إذا توسلتِ لأسامحك، إذا أقسمتِ بحياة أمك ألا تتطفلي بعد الآن، سأعيد النظر في موضوع بيتكِ على الأقل. لن آخذه منك».

مَزَّقَتْ كلماته اللحم عن عظامي. هذه أشياء لا يجب أن يتفوه بها الأب. أخذتُ خطوةً إلى الأمام، انثنت ركبتي، لكنني تماسكتُ في الوقت المناسب. هَمَسَ صوتٌ في رأسي: توَسَّلِي. صوت أُمِّي: أرجوكِ، لا تقلبيه ضدنا.

تدفقت الدموع على وجنتي. شحبت عينا أبي بينما مددتُ يدي باتجاه باب الزنزانة وفتحته أكثر. تحدثتُ بصعوبة: «أنا آسفة، لكن التحقيق لم ينته بعد».

بدا مذهولاً جداً، فلم يتبعني بينما مشيتُ مترنحةً في الممر، ثم إلى خارج المكتب.

كان الليل قد حل عندما توقفتُ عن التجول عبر الحقول الفارغة، واستجمعتُ شجاعتي للعودة إلى المنزل. كانت السماء أرجوانية، والأرض مثل ظلٍّ، وبينهما شقٌّ من ضوء برتقالي يتلألأ وهو في طريقه للاختفاء. ومع امتداد الظلال، شعرتُ كأن عالمي قد انهار، عائداً إلى الظلام والفراغ واللاشيء.

يجب أن أخبر أُمِّي، غمغم الصوت في رأسي، عندما تعثرتُ صاعدة الدرجات، ومنها إلى الشرفة الخشبية. سحبتُ الباب ودخلت. يجب أن أخبرها بكل شيء.

شققتُ طريقي إلى غرفة أُمِّي، وفتحتُ الباب الشبكي، فوجدتُ الغرفة فارغة. تذكَّرتُ أنها في مثل هذا الوقت تضع شقيقي الصغير على حصيرته كي ينام. في الغرفة المظلمة المجاورة، وجدت الاثنين نائمين، رأس شقيقي الصغير تعشش في ثنية ذراعها.

استيقظتُ أمي على الحصيرة، وتحركتُ بطانيتها وهي تنهض على مرفقها كي تنظر نحوي. بدت متعبةً جدًا.

همست: «ما الأمر؟».

يجب أن أخبرها.

- قضيت يومًا صعبًا.

ابتلعتُ ريقِي بصعوبة، متسائلة: ماذا ستقول أمي إذا عرفت ما فعلته. هل ستغضب؟ هل ستقول لي ما قاله لي أبي. دعينا لا نتصارف مرةً أخرى.

«هل يمكنني...»، ضغطتُ على أسناني المصطكة: «هل يمكنني أن أنام هنا؟».

كتمتُ تتأوبها، بدتُ متعبةً جدًا بحيث لا يفاجئها السؤال، وقالت: «ثمة بطانية إضافية في الزاوية».

مشيتُ متعثرةً عبر الغرفة، وأخذتُ البطانية، ثم عدتُ إلى أمي وشقيقي الصغير، عائلتي الوحيدة. نزلتُ على حصيرة النوم، واستلقيت متجمدةً محدقةً إلى ظهرها. كان أحد أحلام طفولتي أن أنام بجوارها، محمية بأمان بين ذراعيها. ولكنني كنت دائمًا أشعر بالخوف من أن أطلب ذلك، كنتُ متأكدةً من أنها لا تحبني كثيرًا. وعندما تعرف الحقيقة، سيقبل حبها لي أكثر.

أغمضتُ عينيَّ محاولةً كبح الألم المتزايد في صدري. لن تغفر لي أمي أبدًا، ستتركني وراءها، تمامًا مثلما فعلت قبل عشر سنوات.

عندما حل الصباح، عدتُ إلى غرفتي، أردتُ أن أدفن نفسي تحت البطانية، لكن الخادمة موكجيوم أحضرت لي زي التمريض المغسول.

لقد ظننت أن اليوم عمل، وهو بالفعل كذلك، على الرغم من أنني خفت ألا تُفتح لي أبواب القصر.

قالت موكجيوم وهي تهز رأسها: «تبدین كأنك رأيتِ شبحًا، هل أنتِ مريضة؟».

أعطتني مرآة برونزية، فحدّقت إلى انعكاسي، أحداث الأمس تحوم فوقني مثل الشبح. خسرتُ كل شيء في لحظة واحدة. هل كان يجب أن أسجد أمام أبي، وأن أتوسل ليسامحني مهما طال الوقت؟ أكان يجب أن أنحني ضاغطة جبّهتي على الأرض حتى تنزف، حتى تؤلمني ركبتاي وحتى يتهيج جلد راحتيّ ويتشقق؟

بلا وعي فركتُ كدمةً وهميةً على جبّهتي.

سألتني الخادمة موكجيوم: «هل سترتدين زيك هنا؟ أم في القصر؟». غمغمتُ: «سأبدل ثيابي هنا»، ثم سكتُ.

تسلّلتُ فكرةً إلى أطراف عقلي، فرفعتُ المرأة مرةً أخرى، وحدّقتُ إلى انعكاسي -إلى جبّهتي- وحاولت أن أفهم الاضطراب الذي يعتمل في داخلي.

«لحظة واحدة يا سيدتي الصغيرة، رأيتُ شقًا صغيرًا في زيّك». هرعت الخادمة موكجيوم لتُحضّر عدة الخياطة.

واصلتُ الوقوف ساكنةً في فراغ غرفتي، أنظرُ إلى ذكرى تظهرُ شيئًا فشيئًا على سطح المرأة البرونزية، ذكرى جبينٍ ملطخ بالطين ومجروح حديثًا. أفلتتُ شهقةً من بين شفّتيّ عندما تبلورت في ذهني الفكرة.

العلامات الغريبة التي رأيتهَا على جبين الطبيب خون في اليوم السابق... إنها علامات رجل سجد في الطين؛ الجبين الملطخ، واليدان، والركبتان المتسختان، وشعورٌ ما، ربما نوبة من الحزن اليأس، أو

الغضب غير المسيطر عليه، قد دفعه -أو دفع شخصًا آخر- إلى لطم رأسه على الأرض.

هرعت الخادمة موكيجوم عائدةً إلى الغرفة، وانكبَّت على زِيِّي، ظهر سؤال غامض في خلفية المشهد الذي في عقلي: لمن انحنى الطبيب خون؟

14

دخلتُ إلى القصر شبه متوقعة أن أُطرد، لكن بدا الجميع مشتتين، ولم يكثرثوا بي.

تحدث مجموعة من الممرضات عن ولي العهد. لقد غيّر الملك قراره، وسمح لابنه أن يرافقه هو وحاشيته في رحلة التكريم إلى مقبرة الملكة جيونجسيونج الملكية لحضور الخدمة التذكارية.

سألت رئيسي، متذكراً الدواء الذي وعدتُ الأمير به: «متى سيعود سموه يا يويون-نيم؟». عليّ أن أفعل ذلك بسرية تامة، إذ كان محظوراً إعطاء دواء لأحد أفراد العائلة من دون تسجيله رسمياً. كان بمقدوري أن أصنعه أبكر أيضاً، لو لم أتعرض لحادثة السجن.

وصلتُ أفكاري إلى طريقٍ مسدود أمام صمت الطبيب نانشين الطويل: «يويون-نيم؟».

عَقَدَ حاجباه عابساً: «لا يجب أن تكوني هنا يا ممرضة هيون، ليس بعد الآن».

قلتُ وقد سقط ثقلٌ مخيف على صدري: «لست متأكدةً من أنني أعرف ماذا تقصد يا يويون-نيم».

هَمَسَ بنبرةٍ اعتراها القلق: «لورد شين... لقد طلب عزلك، وهو يملك اتصالات قوية بمن في القصر». ثم مدَّ يده: «أنا آسف يا ممرضة هيون،

لكن يجب أن أطلب منك هوية دخول القصر. أنتِ لن تخدمي هنا بعد الآن».

امتلاً صدري بموجةٍ من الحزن، وتبعها قلق. سلاح جريمة القتل ما زال بين تلك الجدران. كذبتُ: «هل يمكنني الانتهاء من مساعدة الممرضة جيون؟ لقد أخبرتها أنني سأساعدُها في تحضير الدواء اليوم». جعدَ التردد ملامح وجهه، ثم ألقى عليّ نظرة شفقة قائلاً: «حسناً، لكن ما زال عليكِ إعادة هويتك».

رمشتُ بسرعة بينما مددت يدي داخل جيب مئزرتي، وناولته هويتي، وشعرتُ كأنني قد سلمته الحلم الوحيد الذي حلمت به. أنا لا شيء الآن، لا أملك شيئاً، سوى قضية قتل عليّ حلّها.

- لا أعرف ماذا حدث، لكنني آسف على رحيلك.

ألمتني كلمات الطبيب نانشين، ولو كنت تعرضت للموقف ذاته قبل بضعة أسابيع، لكنت على الأرجح تكوّمت في مكان ما أبكي وحدي. لكنني ركزت كل تفكيري على المهمة التي أمامي: أن أصنع دواء ولي العهد جانجهيون، وأنتظر عودته.

اتبعتُ التعليمات التي حفظتها، وجهزتُ موقداً حديدياً صغيراً، وقدرًا من الماء المغلي، ثم صببتُ فيه المكونات التي جمعتها: فطر البايك- بوك-ريونج المُقطّع إلى قطع كبيرة، والذي بدا مثل قطع الخشب المتعفنة، وحمضيات جيشيل المجففة، وحفنة من المكونات والجذور المجففة الأخرى.

اختبأت من جيون -لأنني أعرف أنها ستلاحظ حزني فوراً- انحنيت في ظل العطارة الملكية، وجلست القرفصاء أراقبُ القدر الصغير، وأؤجج اللهب من تحته. أحتاج فقط إلى القدر المناسب من الحرارة؛ كي أسمح للأعشاب بأن تخبثر جيداً مدة ساعة.

ما بين الحين والآخر تمرُّ مجموعة من الممرضات، ويتمهلنَ وينظرنَ نحوي، ثم يتهامسنَ بين بعضهن بعضًا. لا بد من أن خبر خفض رتبتي قد انتشر. خفضتُ رأسي أكثر، أنا لست مهمة، لا أريد أن يراني أي شخص.

ثم تجمعت الغيوم داكنة وملتفة، فزادت الظلال في الفناء. نظرتُ إلى الأعلى متسائلة ما إذا كانت ستُمطر، وحينها سقطتُ قطرةً داخل عيني. جفلتُ ومسحتُ الماء جانبًا. وقتي ينفد.

رفعتُ الغطاء بسرعة، ونظرتُ داخل القدر، ثم همستُ: «شكرًا للسموات». لقد اختمر السائل، وصار بقدر وعاء صغير. هذا كافٍ. جمعتُ مئزرتي حول يدي، وحملتُ القدر الأسود، وفوهته متجهةً نحو الأعلى، وهربتُ من السماء المفتوحة. بدأ المطر يهطل بقوة حين دخلتُ إلى الجناح القريب.

على الطرف المقابل من الفناء، توقف صفٌّ من النساء عن متابعة سيرهنَّ، على الرغم من الطقس، كي ينحنين إلى رجل نبيل طويل. تباطأتُ خطواتي عندما رأيت قبعة الشرطة الخاصة به، وهلال وجهه الذي لا يمكن أن أخطئه. سرْتُ في جسدي رعشةً حادة.

هرعتُ عائدةً إلى الظلال، يتساقط المطر بغزارة أكبر الآن، فأسرعت نحو الشرفة، ثم اختبأتُ خلف أحد الأعمدة الضخمة التي ترفعُ السقف العالي. خفق قلبي بقوة، وسمعتُ ترددَ دقاته في أذني. وضعتُ القدر، ومسحتُ العرق ومياه المطر عن حاجبي، جوارحي ترتجف.

- لماذا تختبئين مني؟

استدرتُ فوجدتُ نفسي وجهًا لوجه أمام إيجين، تعبيراته متوترة يخالطها ارتباك مؤلم. سألت: «أين اختفيتِ أمس؟».

شبكتُ يديَّ خلف ظهري، ألوي أصابعي لتتشكّل منها عقدة محكمة: «إلى منزل الجايكجي، حيث يمكن للممرضات المبيت ليلاً». نظرتُ حولي، نظرتُ في كل مكان إلا نحو الشاب الواقف أمامي. كنا وحدنا خلف العطارة، معزولين وراء ستار من المطر المتساقط من الأفاريز المطلية باللون الأخضر.

ابتلعتُ ريقِي بصعوبة، أحاول ألا يبدو عليَّ التأثر: «ماذا تفعل هنا يا ناوري؟».

وقف ساكنًا، عيناه مسبلتان نحو الأسفل، واعتلتُ وجهه نظرة منهكة ومتعبة: «هذا كله خطئي، كنتُ غاية في التهور». أخذ يدي، وفتح أصابعي المطوية، ووضع شيئًا في قبضتي، إنها حقيبة إبر الوخز الفضية الخاصة بي.

اخشوشن صوته: «لقد سألتُ دامو سولبي عندما وجدت هذه، فحكّتُ لي ما حدث، والسجناء الآخرون أخبروني بما سمعوه مما دار بينك وبين والدك؛ إنكِ على وشك أن تخسري منصبكِ هنا بسببي».

كان ما زال ممسكًا بيدي، فسحبتُ يدي من يده على الفور.

- ليس خطأك، لقد طلبتُ مساعدتك كي أدخلَ خلسةً إلى المكتب...
ازادت نبرة صوته إصرارًا: «سأعيد كل شيء كما كان، لقد جهزتُ تقريرًا لفصيل التعاليم القديمة».

غمرني شعورٌ بالذعر: «أي تقرير...».

- لم نعثر بعد على أدلة قوية، ولكنني... أعتزم أن أعرض عليهم كل ما اكتشفناه. وفي المقابل، سأطلب منهم إبعاد القائد سونج من السلطة، وإعادتك إلى منصبك.

هزرتُ رأسي ببطء، لا أحد ممن تورطوا في سياسة البلاط يعيش طويلاً، وقلت: «ليس بعد يا ناوري، ما زال الوقت مبكراً جداً على تسليم كل شيء إلى فصيل التعاليم القديمة». التقطتُ القدر، ما يزال ساخناً بين يديّ. «ثمة شيء واحد آخر أحتاج إلى أن أجده، شيء واحد أخيرُ يمكنني فعله من أجل التحقيق، ومن أجل تقريرك. ولي العهد يعرف شيئاً، ولدي طريقة يمكنني أن أكتشف بها».

تداخل حاجباه مع بعضهما بعضاً: «كيف...؟».

قلت: «سأخبرك أكثر في المرة القادمة يا ناوري، لكن عليك أن تعدني ألا تفعل أي شيء حتى ذلك الحين». انحنيتُ، أرغب في الإسراع بعيداً قبل أن يتمكن إيجين من الاعتراض: «لو تسمح لي بالانصراف».

«هيوناه، انتظري»، مد يده نحوي، لكنني استدرت؛ فسقطت يده في الهواء. «عندما ينتهي كل هذا...»، قال لي ونظرته تخرقني، هذه النظرة الفاحصة المألوفة، كأنه يميل نحوي ليرى أعماقي. كأنه يرى شيئاً يستحق البحث عنه حقاً: «تعالى معي إلى مهرجان الفانوس».

رمشتُ، وانتشر إحساس بالحرقة في صدري. نحن لم نزر قط إلا مواضع الجرائم، ومركز قيادتنا كي نتناقش في شأن الجثث والأدلة. يصعب عليّ أن أستوعب فكرة الخروج إلى أي مكان غير هذه الأماكن، فكرة أن تكون شراكتنا خارج هذا الإطار. من الصعب أن أتخيّلنا مثل شابٍّ وامرأة عاديّين، من دون أن تجمعنا روابط الموت، بل من الصعب أن أتخيّل ما إذا كان سيرغب في أن نبقى أصدقاء حينها.

سألتُ لاهتةً: «لكن... لماذا أنا؟».

اقترب إيوجين وهَمَس: «أحب أن أكون معكِ».

تشبَّثُ بالقدر أكثر، الشيء الوحيد الذي يفصلني عن بنيانه الفارع. تردَّد، ثم مرَّ إصبعًا على جانب وجنتي. انحبست أنفاسي، ووجدت نفسي غير قادرة على إبعاد عيني عن عينيه. في تلك اللحظة نسيت أين كنت، بدا أننا كلينا نسينا، فقد مال إلى الأسفل، ووضع قُبلةً على وجنتي. انتهت سريعًا جدًّا، وتراجع خطوةً متبعدًا عني، حتى كدت أتساءل ما إذا كانت القُبلة قد وقعت بالفعل.

قال بصوت مضطرب: «أنا آسف، لم أفكِّر، لن أكررها ثانية».

خفق قلبي بقوة، وتشكَّل شعورٌ مثل الكدمة في معدتي. ترددت كلمات أبي في رأسي، ترددت بصدى حقيقي الآن، وزادت حدَّة الألم. لن أكون أبدًا الحب الأعظم لأي شخص. سأكون دائمًا قبلةً مسروقة، لحظة عابرة، غلطة.

قلتُ بهدوء مفاجئ: «لقد وصفتني بأني جريئة، لذلك سأكون جريئة يا ناوري. ربما أنا لست سوى خادمة في نظرك، لكنني لن أكون دميكت». ناداني: «هيونا»، لكنني كنت قد استدرتُ بالفعل كي أغادر. عبَّر الشرفة في لمح البصر، وأمسك رسغي: «أرجوك، لقد أسأت فهمي... دمية؟ هل تعتقدين أنك لا تعنيني إلا بهذا القدر؟».

خفضتُ رموشي، وحدَّقت بقوة إلى زرقه ثوبه الحريري اللامع. قال صوت أبي كأنه واقفٌ هنا إلى جانبي: إنه لا يختلف عني، قد يعجب إيوجين بك الآن، لكن لاحقًا، سيكون ثمة شخص آخر دائمًا، شخص أجدر منك.

قلتُ: «لا أستطيع أن أشتت انتباهي، ليس الآن. ليس عندما...»، ابتلعتُ ريقِي بصعوبة وأكملتُ: «ليس بعد أن خسرتُ الكثير جدًّا بحثًا عن الحقيقة. أعتذر يا ناوري، لكن يجب ألا تُشتتني، وأنا يجب ألا أشتتك». تنحنح شخصٌ ما في مكان بعيد.

انتزعتُ رسغي منه، وألقيتُ نظرةً خلفي فرأيت السيدة هيجيونج، وسيدة بلاط مبلة تقفان في الفناء. كانت الأخيرة تمسك مظلة جيوسان من قبضتها الطويلة؛ لحماية سيادتها من المطر. متى وصلت؟ منذ متى وهي ترانا؟

تسارع عقلي، وأخذتني هذه الأسئلة المخيفة بعيدًا عن إيوجين، والنظرة التي اعتلت وجهه.

قلت: «أنا مضطرة للذهاب»، ثم تركته هناك.

ما إن اقتربتُ من السيدة هيجيونج، حتى همستُ: «أخبرني الخصيُّ إيم أنك مكلفٌ بإحضار دواء للأمير. هل هو معك؟». يُفترض أن هذا سر، لكن لم يبدو أن سموها غاضبة: «معي». رفعتُ القدر: «إنه أوندامتاج».

قالت: «اتبعيني»، ففعلت. ثم أكملتُ: «يجب أن نُجهِّز لعودة الأمير، سيكون في مزاج سيئ».

- لكن يا سيدتي، لقد غادر لتكريم...

نظرتُ إليَّ وعيناها مليئتان بالذعر: «سموهُ عائدٌ في الطريق، بدأت السماء تمطر بغزارة، فألقى الملك اللوم على سموهُ، قائلًا: إن السماوات تُظهر استياءها من وجود الأمير. لذا فإن الأمير -وحده- أمرَ بالمغادرة».

مكتبة 15

t.me/soramnqraa

تحت غطاء من الأفاريز المُنمَّقة المطلية باللون الأخضر، انتظرت السيدة هيجيونج على الشرفة تترقَّبُ وصول ولي العهد، وإلى جوارها صف من سيدات البلاط المرتجفات.

دخلتُ إلى مقر الأمير عبر رواق فارغ، ثم إلى الركن الداخلي، ومعني صينية حَضَرَتها سريعًا قبل دقائق، عليها وعاء للشرب وقدر الدواء. كلاهما جاف، إذ جئتُ إلى هنا تحت المظلة مع سموها. أمرتني: حضري وعاء من دواء الأوندامتانج، وقدميه للأمير عند عودته. يجب أن نفعل كل ما نستطيع لتهدئة غضب السيجا-جيوها، أو ستراق الدماء مجددًا. مجددًا.

تسلَّل استنتاجُ ما إلى ذهني: كانت السيدة هيجيونج تعرف بالفعل بعنف الأمير جانجهيون، وقطعه لرأس الممرضة هيو-وك. كانت تعرف، كما عرفت نساء القصر الثلاث المقتولات، كلهنَّ شاهداتُ صامتاتُ، غرضنَ الطرف آملا أن يبقين على قيد الحياة.

اصطدمتُ ركبتي بطاولة منخفضة الأرجل، فعاد إليَّ تركيزي الكامل. جثوثُ، وأفرغتُ الصينية، ثم سكبتُ الدواء في وعاء الشرب حتى الحافة تمامًا. وفور انتهائي، نهضتُ مرةً أخرى على قدمي، ونظرتُ حولي أتساءل: أين أقف؟

اتجهتُ نحو صف من الحواجز الشبكية الطويلة، يتسللُ عبرها الضوء الرمادي، ويغمر الأرض الفسيحة التي ما زالت مزدحمةً بالكتب وأكوام من الأثواب، كأن الأمير قد رماها جانبًا بغضب. ثم استقر نظري على الخزانة المُطعمّة بالصدف اللامع في الضوء الخافت.

نظرتُ حولي، لا أحد معي في الغرفة، وفي وسط الصمت المطبق المحيط بي، خطرتُ لي فكرةٌ رهيبة. نظرتُ مرةً أخرى إلى الخزانة، تلك التي نظر إليها الأمير جانجهيون، عندما أخبرني عن الشيء الدامي الذي عثر عليه في ليلة المذبحة.

لا بد من أن سلاح القتل داخلها.

همس خاطرٌ في رأسي: هذا يومك الأخير في القصر، اليوم الأخير لاكتشاف دليل واحد أخير.

أمسكتُ بالصينية بإحكام أكبر، وبقيتُ ساكنةً، قلبي يتقاذف داخل صدري.

حام الصوت حولي واقشعر جسدي: لقد خسرتِ حلمك ومستقبلك. لقد خسرتِ نفسك. كل ذلك من أجل ماذا؟ على الأقل أنجزني هذه القصة التي تخليتِ عن كل شيء من أجلها.

تقدّمتُ خطوةً مترددةً نحو الأمام، ونظرتُ حولي مجددًا. ومع استمرار الصمت، زادت جرأة خطواتي، فوضعتُ الصينية جانبًا، وفتحتُ أحد أدراج الخزانة، ثم التالي، يداي تتحركان أسرع مع كل دقيقة تمر. صادفتُ أحجارًا كريمة صغيرة، دبابيس ذهبية، لفاتٍ من الحرير، أربطة رأس...

توقفتُ عندما لاحظتُ أن أحد الأدراج بدا أقل عمقًا من البقية، على الرغم من أنه يجب أن يكون بنفس الحجم. مررتُ أصابعي على الحافة، حتى انزلق إصبعي في فتحة صغيرة، مُظهرًا قاعًا زائفًا.

رفعته بحذر... فوجدت نفسي أحدق إلى خنجر مكسو بلون بني محمر حتى مقبضه.

لا، انتبهت بينما ملأت شهقة صدري، لم يكن خنجرًا.

إنه بيشيم: نصل طبي طويل ورفيع يُستخدم لإجراء الشقوق.

رأيتُ هذا النوع من قبل، فهو يستعمل عادةً عند التعامل مع حالات الالتهاب. يشبه الخنجر إلى حد كبير، مع الأخذ في الاعتبار طول النصل، لكنه يفترض أن يكون حادًا من الأعلى فقط. بينما هذا البيشيم أكثر حدةً من البيشيم العادي، لا بد من أنه قد شُحِذَ بأداة ما.

التقطتُ النصل، وأدرته فاحصةً إياه. هل هذا هو السلاح الذي طُعنْتُ به سيدة البلاط أهني في صدرها وحلقها؟
انفتح بابٌ خلفي.

تسارع نبضي، أبقيتُ ظهري مدارًا، آملة أن يخفي جسدي ما أفعله، ثم أعدتُ الأداة الدامية مرةً أخرى إلى حيث وجدتها، وأخفصتُ القاع المزيف، وأغلقتُ الدرج بهدوء. حينها استدرتُ، وشعرتُ بالغثيان يتموّج في معدتي حين رأيتُ الأمير جانجهيون.

تساقط الماء من حافة قبعته السوداء، وخصلات شعره تتقاطر على وجهه المظلل. ثوبه الحريري مبلل أيضًا، وتطريز التنين الفضي ملطخٌ بالطين.

«ماذا تفعلين هنا». لم يكن هذا سؤالًا.

«جئتُ لـ...»، فمي جاف؛ التصقت الكلمات بلساني، فبلعتُ ريقِي بقوة، وحاولت مجددًا: «جئتُ لأحضِر الدواء كما وعدت سموك».

لم يتحرك، ولم ينطق بكلمة واحدة. لا شيء يقطع الهدوء المتوتر سوى تنفسه الواهن، وصوت المطر المتساقط من قبعته...تك، تك، تك.

قال بِرَقَّة: «أَنْتِ اشْرَبِيهِ».

غرزتُ أظفاري في راحتي، وقلتُ بقدر ما أستطيع من الأدب: «إنه لسموك، سيساعدك على تخفيف...».

«لقد سَمَمْتِه، أليس كذلك؟». تحرك الماء في حذائه وهو يتجه نحوي، وقال: «رأيتك تغلقين ذلك الدرج».

- أنا... أنا رأيته مفتوحًا، لذا أغلقته، سموك هذا كل ما في الأمر.

أمسكتُ يده المثلَّجة بذقني، تقرصُه بقوة وهو يرفع رأسي، ثم قال: «انظري إليّ»، وعندما فعلت رأيتُ عينين محتقنتين بالدماء، كأنه يحترق من الداخل. «فصيل التعاليم القديمة هو الذي يحرضك، أليس كذلك؟». خَفَتَ صوته، وتحول إلى همسٍ حادٍّ: «عرفوا أنك تشبهين أختي، لذا وضعوك بالقرب مني، لتكشفي أسراري ونقاط ضعفي».

اتسعتُ عينايا: «لا سموك!».

«والدك على علاقة وثيقة بالفصيل المنافس لي». شدد قبضته، كأنه عازمٌ على شقِّ فكي، فتبلور الذعرُ مثل بلورات الثلج في صدري. «كلاكما شهدتُ، ألم تفعلني؟ أنني كنت بالفعل خارج القصر في ليلة المذبحة؟ والآن ستخبرين مسؤولي الفصيل القديم عن هذا السلاح، وستقولين إنه لي. إنني قتلتُ أولئك الفتيات».

«أرجوك»، كان من الصعب أن أتكلم وذقني مرفوع للأعلى هكذا. «دعني أشرح...».

أفلتتُ منه ضحكةً ملتوية خالية من الفكاهة: «الآن فهمتُ. لذلك أمرني أبي بالمغادرة أمام مئات المسؤولين المتفرجين. الجواسيس أمثالك هم من حوَّلوا أبي إلى ألدِّ أعدائي».

بزمجرة مشمئزة أنزلَ ذقني، فتراجعتُ إلى الوراء. عقلي فارغ لا يمكنه التفكير في أي طريقةٍ للالتزام بالبروتوكول، تدور فيه فكرة واحدة وحسب: يجب أن أهرب.

والخيار الوحيد المتاح موجود على الجانب الآخر من الغرفة، فما تزال الأبواب المزدوجة مفتوحة جزئيًا، كاشفةً عن الرواق.

ألقيتُ نظرةً على الأمير، الذي يقف الآن في ركن غرفته، تلفه الظلال كأنها عباءة. ثم استدار، جزء منه في الظلام، وجزء مضاء بالعاصفة الهوجاء في الخارج، كان ممسكًا بقوس طويل أنيق.

غاصت معدتي من الخوف، تلعثمتُ قائلةً: «... لا أرجوك، سموك، أنا لست جاسوسة!».

بحركةٍ واحدة سلسلة، أخرج سهمًا، وصوبَ الطرف المعدني اللامع نحوي: «هذا ما قاله الآخرون أيضًا: الخصيُّ هانتشاي، الممرضة هيو-وك، محظيتي الخاصة، وغيرهم».

التوت ركبتي وأنا أوصل تراجعني. ثمة آخرون.

قال: «أبي سيقتلني، وإذا كنت سأموت...»، شد سهمه إلى الخلف بسهولة، وسمعتُ الوتر يتمدد، ببطء، ببطء، «سأخذ كل أعدائي معي». أطلقه.

مزَّق الألم وجنتي بينما انبطحتُ على الأرض، ويدي مرفوعتان فوق رأسي. تردَّد صوتُ عالٍ خلفي، بنظرةٍ خاطفة رأيتُ السهم مغرورًا في الجدار، وانتبهتُ إلى أنني على بُعد بضع خطوات وحسب من المدخل.

وبينما كان الأمير يسحب سهمًا آخر، نهضتُ على قدميَّ مجددًا، واندفعتُ نحو الباب، ولكن مهما ركضتُ بسرعة... كان الصوت يلحق

بي.

صوت خيط القوس، صوت تمُدّه.

صوت الصمت بينما يَصُوبُ الأمير.

اخترقتُ صافرةً الهواء مرةً أخرى، وطاردتني وأنا أتعثرُ خارجةً من الغرفة. أسقطني صوت دوي قوي على الأرض، إذ أُصبت بضربةٍ قوية أسفل كتفي اليسرى، لكن ذهني بالكاد انتبه إلى الألم. تحركتُ يدي تلقائيًا كي تكسر قصبة السهم، واستمرتُ ساقاي في الحركة.

خرجتُ متعثرةً من الجناح، فاستقبلني المطر والهواء النقي المندفِع، ووجدتُ نفسي وجهًا لوجه أمام السيدة هيجيونج وصف سيدات البلاط. شهقتُ: «ساعديني»، أصابني الارتباك بالدوار، لم يستطع عقلي استيعاب ما يحدث: «أرجوك، ساعديني».

تراجع حشد النساء مبتعدًا كما لو كنت الطاعون، شاهقات وخائفات، خائفات كمثّل الخوف الذي يُفترضُ أن أشعر به. تغلّغت الحقيقة الباردة داخل عظامي، وتسَلَّل الماضي إليّ، أنا في مكان الممرضة هيو-وك أُحدّق إلى الشهادات الثلاث: سيدة البلاط أهنبي، الممرضة آرام، الممرضة كيونجهي. رجاء، توَسَّلنا بينما اقترب ولي العهد، ساعدونا.

صرختُ إحدى سيدات البلاط: «أذهبي، أو سنموت جميعًا!».

انسحب الدم من وجه السيدة هيجيونج، وهمستُ: «يجب أن تغادري، اركضي يا ممرضة هيون. اختبئي، ولا تدعي أحدًا يعثر عليك!».

ومع تردد صوت الخطوات في الرواق، عرجتُ عبر الفناء، واصطدمتُ بالجدار الحجري المحيط بالجناح. شققتُ طريقي على طول الجدار، ثم انسلتُ عبر بوابة صغيرة، ووجدتُ نفسي في متاهة أصغر من الساحات والأجنحة الملتفة والظلال. أين يمكن أن أختبئ حتى لا يُعثر عليّ؟ إلى من يمكن أن أُلجأ، والقصر مليء بشهود صامتين؟

أَمْسَكْتُ يَدَ دافئةٍ برسغي، فتلاشى الذعر الذي اجتاحني عندما رأيتُ
وجهاً مألوفاً.
إيوجين.

اختفت أي ذرة استياء كنت أحملها تجاهه. وبينما كان يقودني
مسرّعاً عبر الفناء، عبر نفق صغير بين المباني، اختلستُ النظر إليه،
إلى وجهه المبلل بالمطر. توقف ارتجافي عندما غمر يدي بدفء قبضته،
لم تعد أطرافي ترتعش، وقويت ساقاي وأنا أركض إلى جانبه.
قال لي: «يجب ألا نترك وراءنا أي أثر».

خبأً حذاءه المتسخ بالطين بسرعة، حينها انتبهتُ إلى أنني لا أنتعل
حذاءً، فقد خلعتُ صندلي قبل دخول الجناح، فخلعتُ جواربي الرطبة
بدلاً من ذلك، وألقيتها في إحدى الشجيرات، ثم عصرت ماء المطر من
على ملابسي. أسرعنا نحو شرفةٍ تحيط بجناح طويل، وعندما وجدنا
باباً مفتوحاً، دلفنا إلى الداخل، وأغلقناه بهدوء بقدر ما نستطيع. أعيننا
مُثَبَّتة على الحاجز الشبكي، انتظرنا أن يظهر طيف رامي السهام.

مد إيوجين يده إلى جانبه، فاكتشف أنه لا يحمل سيفه، لا بد من أنه
خلعه قبل دخول أراضى القصر. قال: «يجب أن نختبئ في مكانٍ أكثر
أماناً».

نظرتُ حولي، ووقعتُ عيناى على حاجز كبير قابل للطي عليه لوحة
زخرفية، الحاجز مفتوح بقرب حائط في أقصى طرف الغرفة. أمسكتُ
بيد إيوجين، وسحبته حتى وقفنا خلفه، الحاجز أمام وجوهنا مباشرةً،
ظهورنا تكاد تلتصق بالحائط.

تحدث إيوجين بصوتٍ هامس: «لقد انتهى لقاءنا الأخير بشكل سيئ،
لذا أتيت إلى هنا كي أشرح لك موقفى، فسمعتُ الهياج». استدار إليّ، ثم
تسمّر انتباهه عند كتفي: «لقد أُصِبتِ....».

وضعتُ إصبعي على فمه: «يجب أن نبقي هادئين».

«هادئين؟»، تنهَّد، وشحب وجهه: «أنتِ تنزفين».

قلتُ بهدوءٍ مكررةً كلمات الممرضة جيونجسو: «كلما كانت الظروف حرجة علينا أن نكون أكثر هدوءًا».

صوت صرير خُطى عبر الشرفة في الخارج.

أمسكتُ بيده بقوة أكبر، الخوف يُجمِّد الدماء في عروقي، ولكن هذه المرة مصحوبًا بذعر أن أخسر إيوجين. حتى لو كان معه سيفه، فإن سحب سلاح ضد ولي العهد يُعاقب عليه بالموت. نحن محاصران من دون أي شيء ينقذنا.

انفتح الباب ببطء.

اندفع نسيم رطبٌ ومنعشٌ إلى الغرفة.

حبستُ أنفاسي -كلانا فعل- وازدادت أيدينا تعرقًا.

واصلت الرياح عصفها حتى شعرت بأنها أبدية.

ثم وبعد طول انتظار، أُغلق الباب بقوة، وابتعدت الخطى، خطى ثقيلة وعازمة. وعلى مسافةٍ قريبة، انفتحت المزيد من الأبواب ثم أُغِلَّت. بعد بضع لحظات، اندلع صوت صرخات نساء، تلاها صوت خطوات مبعثرة متفرقة، كأن حشدًا من سيدات البلاط يهربُ من نمر متجول. ثم، لا شيء.

تراشق المطر على حواجز الهانجي، وبعد قليلٍ حتى المطر توقف. الظلالُ في الغرفة لا تتحرك، كأنها رُسِمَت على الأرض.

أخيرًا تحدث إيوجين: «دعيني أر جرحك».

ذكَّرني به الآن، أدركتُ كتفي إليه، وانتبهتُ إلى الألم النابض، كما لو أن أحدهم أحرقني بقطعة فحم مشتعلة. بدا أن السهم قد استقر في

مكان ما بين كتفي والجزء العلوي من ذراعي. ثمة ألم حارق أيضًا في جانب وجهي، وعندما لمستته شعرتُ برطوبة الدم اللزجة. رُميتُ بسهم؛ سرتُ قشعريرة في بدني عند تذكري.

هَمَسَ إيوجين: «إنه ليس سهم صيد، أنا متأكد من ذلك». أصبح الألم غير محتمل. صررتُ على أسناني، وسألته: «كيف عرفت؟».

قال: «لأن السهم لم ينفذ بشكلٍ عميق، يمكنني أن أرى جزءًا صغيرًا من رأسه». أمسك يدي بلطفٍ: «يجب أن نغادر، ونجد طبيبًا».

تسللنا إلى خارج الغرفة، نمشي بخطواتٍ هادئة، ونتوقف بين الحين والآخر، ثم نُعْمِلُ آذاننا كي ننتبه إلى أي تحذير يشير إلى اقتراب الأمير، لكن لم يكن هناك سوى صمت مهيب. كنا بجوار بوابة تؤدي إلى خارج مجمّع الأمير، حينها رأيته: دمٌ مراقٌ عبر الفناء. ملأت البقعة القرمزية الفاقعة بصري، ضبابٌ أحمر لم أستطع أن أزيحه بعيدًا.

عندما تمكّنّا أخيرًا من الهرب إلى خارج القصر عبر بوابة تونجهوا، استدرتُ إلى إيوجين، وهمستُ: «كان يجب أن تكون أنا».

قال بصوتٍ مخنوق، وهو يقودني إلى حيث كان حصانه مربوطًا: «لم يجب أن يكون أحدًا. لم يكن ينبغي أن يموت أحدُ اليوم».

- لكن أحدهم مات، ولا أحد سيسمع عنه غدًا.

- هذه طريقة القصر. أبي حذرني من هذا.

تمهّل مُلتفتًا نحو البوابة الصغيرة ثم أكمل: «إذا دخلت القصر، فإما ستموت، وإما ستتحول إلى شبح آخر بين جدرانهِ... تعالي»، هَمَسَ وهو يرفعني على السرج، ثم جلس خلفي، وحثَّ الحصان على التحرك إلى الأمام: «يجب أن نُخْرِجَكَ من العاصمة».

16

دَقَّ الجرس الكبير، وتردد صدى رنينه المدوّي في الشوارع. أُغْلِقْتُ البوابات العملاقة في كل زوايا القلعة، وبصعوبة نجونا وخرجنا على ظهر الحصان. ضربت حوافره الأرض، فتضاءلت العاصمة وجبلها الحارس حتى صارت ظلاً ذا حافات سوداء. المسافة التي كنت أقطعها في أكثر من نصف ساعة من المشي، قطعناها في دقائق، عما قريب ستظهر أنوارُ منزلي متلألئةً من بعيد.

صاح إيوجين وسط هبوب الرياح: «لقد وصلنا تقريباً، سأستدعي طبيباً على الفور».

عضضْتُ على شفتي بقوة، وأخفّضت رأسي فوق شعر الحصان كي أخفي دموعي. تسلَّل الألمُ إلى داخلي، آلاف النصال تطعنني في ظهري، تلتوي عبر لحمي، وتنشرُ عظامي. كل نفس أتنفسه كأنني أتنفس شظايا الثلج، أصبح التنفُّسُ العميق مُحالاً. أخذت أنفاساً صغيرة بدلاً من ذلك، دار رأسي، ولولا أن إيوجين يحتضنني بقوة لوقعت عن السرج.

فور وصولنا نزلَ إيوجين عن الحصان، وساعدني على النزول بحذر، حتى لا يضغط على جرحي. ظننتُ أنني تركتُ الأهوال ورائي، لكن بينما كان يساعدني وأنا أسير مترنحةً نحو باب منزلي الشبكي المتوهج، هبط عليَّ كابوس آخر، اجتاحتني ذكريات اليوم السابق: أبي واقفٌ أمام

زنزانتني في السجن، وآمالي وأحلامي التي تبعثرت تحت ثقل كلماته.
هذا ليس منزلي أنا، هذا ملك أبي. وأمي... لم يعد هذا منزلها أيضًا.
ازداد تنفسي صعوبةً، شعرتُ بأن ساقِي تنهاران. قلتُ: «يجب أن
أخبرك»، اختنقتُ وأنا أحاول أن أبعد عني ألم الخسارة، وألم السهم
الحاد المنغرز في لحمي: «وجدتُ دليلًا... في غرفة ولي العهد...».
دار رأسي بينما تعثرتُ، اشتدتُ قبضة إيوجين تحاول أن تبقيني
متوازنةً.

قال بيأس: «ابقي معي يا هيوناه، بضع خطوات أخرى وحسب».
بضع خطوات أخرى، وخارت قواي تمامًا، تلاشى سمعي، وأغلقت
الظلالُ عيني، فانغمستُ في ظلام مريح.

في البداية لم يكن هناك سوى أصداء صوت بعيدة.
قال صوت ذكوري، يرن كأُنني أسمعُه من تحت الماء: «إنه مسحوقٌ
مخدر رغوي، سأذيبه في النبيذ، وسيخفف من الألم».
ثم تغيّر الظلام عندما رفع أحدهم رأسي، وسكب مشروبًا في فمي،
ومرةً أخرى غرقتُ في هاوية عديمة الوزن.

عندما فتحتُ عيني، رأيتُ طيفًا من الألوان التي بدأت تتضح ببطء،
وتجسدت في أشكالٍ مألوفة. غرفتي مضاءة بأشعة أول الفجر. جلستُ
الخادمة موكجيوم وجيون، التي تفاجأت لرؤيتها معنا، إلى جانب
الجدار، يغطّان بالنوم.

ثم استقر نظري على إيوجين.

كان منحنياً، أكمامه مرفوعة، وينظفُ طرف بطانية حريرية في وعاء من الماء، ويعصرها، ثم ينظفها مجدداً. بقيت البقعة الحمراء الصغيرة على القماش. تابعت ظله المضاء بنور الشمس الممتد حتى الصينية المجاورة لمكان استلقائي، وعلى الصينية رأس سهم دامٍ ملتصقٌ بقصبة سهم مكسورة. لا بد من أن الدم قد تناثر على البطانية، عندما سُحب رأس السهم من داخلي. تقاطرت المياه مرة أخرى حين غمس إيوجين البطانية مجدداً في الوعاء، ثم انعقد حاجباه في إصرارٍ. كان مشهداً غريباً، رجل في ملابس زرقاء حريرية، وقبعة شرطة سوداء مُنحنيًا على الأرض يغسل كما لو كان خادماً.

استلقيتُ بسكونٍ، خائفة جداً من أن أتحرك بمفردي. تنحنحتُ، وقلتُ: «لقد جف الدم عليها، لن تزول البقعة».

نظر إيوجين إلى الأعلى، وظهر الارتياح على وجهه، قال: «لقد استيقظتِ. كيف تشعرين؟».

«أتألمُ»، مددت يدي بحذر، والتقطتُ السهم، ثم أدركته بين أصابعي، وأنا أحاول ألا أبدي تأثري بالحادثة التي وقعت في القصر، ثم أكملت: «لكنه ليس شيئاً أعجزُ عن احتماله».

نهض على قدميه، واقترب كي يساعدني على الجلوس، ثم مال وتفحص كتفي. قال: «بدأ الدم يُغرق ضمادتك، ورغم ذلك أمرنا الطبيب ألا نزيله، فعلينا الحفاظ على وجود ضغط فوق جرحك. سأطلب من الخادمة أن تضع طبقة جديدة فوق الطبقة القديمة». ثم استدار كي يغادر.

«انتظر»، أمسكتُ جانب ثوبه، ثم سحبت يدي بسرعة: «ماذا حدث ليلة أمس يا ناوري؟ لا أتذكر أي شيء منذ اللحظة التي وصلتُ فيها إلى هنا».

- مرتُ ثلاثة أيام.

رمشتُ مذهولةً: «ثلاثة؟».

- ربما بسبب اجتماع الإصابة مع صدمة الحادثة، لقد نمّت على مدى تلك الأيام الثلاثة.

تمهل: «وأعطيت أيضاً الأدوية المخدّرة لتتغلبى على الألم، كما طلبت».

غمغمتُ: «لا أتذكر أيّاً من ذلك، لا أتذكر أي شيء...».

أخذ السهم بلطف، ووضعه مرة أخرى على الصينية، ثم دفعها وراءه بعيداً عن مجال رؤيتي، كأنه لم يرد أن يتذكر.

قال: «لقد فقدتِ وعيك، وتمكنتُ أنا من العثور على طبيب محلي». بقيتُ نظرتَه مثبتّة على يديه المتشققتين من محاولة تنظيف بقعة الدم. «مع ذلك، لم أستطع الوثوق به، لا سيما عندما اقترح أن يبقى السهم بالداخل. لقد رأيتُ العديد من الحالات التي اتُّخذ فيها مثل هذه القرارات، وتسببت في التهابات مميتة. لذلك، استدعيتُ في اليوم التالي طبيباً من العاصمة عالج العديد من جروح الأسهم من قبل، فأخرج رأس السهم في دقائق. لقد قال: إنكِ محظوظة، لأن السهم لم ينعزز في عظامك».

أطلق زفرة، ثم اتجه ببصره نحو الحاجز المطوي المفتوح أمامنا، وظلّ ناظرًا إليه، كأنه يتأملُ الألوان المائية: «لا بد من أن يتعافى الجرح بشكل طبيعي».

أدركتُ أن إيوجين يتجنب النظر إليّ، شيء آخر وقع في الأيام الثلاثة الماضية، شيء لم يرغب في إخباري به، سألته: «ما الأمر؟».

فظهر التردد على وجهه: «أردت أن أرحي حديثي معك، حتى أسمح لك بأن ترتاحي. لكن يبدو أن وقتنا ينفذ».

- تتحدث معي حول ماذا؟

- قبل أن تفقدي وعيكِ، ذكرتِ أنك عثرتِ على دليل في غرفة ولي العهد.

قفزتِ ذكرى ذلك اليوم إلى عقلي؛ القوس الأسود اللامع المشدود، والسهمُ المصوّب إلى رأسي. خبأتِ يديّ في طيّّة تنورتِي، كي أخفي عودة ارتجافاتي. «أتذكر ما قلته لك قبل بضعة أيام؟ أن ولي العهد أخبرني بأن أبي هو حجة غيابه؟».

ما زال لا ينظر إليّ: «أكملي».

أكملتُ: «قال إن الجاني اصطدم به وهو يركض، وأسقط سلاحًا. لقد انتبهتُ أين توجه ببصره وهو يخبرني بما حصل، وعندما وجدت نفسي وحدي في غرفته قبل ثلاثة أيام، أنا... أنا ذهبت كي أرى ما بالداخل».

تحجّرت تعبيراته، وقال: «ومن ثم أمسك بك الأمير متلبسةً، وكاد أن يقتلك».

قلتُ مدافعةً: «كان الأمر يستحق». لم ترُق لي الطريقة التي تحدث بها معي، كأني فعلت شيئاً خاطئاً، هو الذي طلب مني أن أساعده في هذا التحقيق من الأساس.

ساد صمتٌ متوترٌ بيننا، وبقيتُ ناضرةً إليه، منتظرة أن يسألني عما رأيته. وعندما لم يفعل، استسلمتُ، واندفعتُ قائلةً: «حسنًا، يا ناوري، هل تريد أن تعرف ماذا وجدت أم لا؟».

مرّر يده على وجهه وقال: «ماذا وجدت؟».

- بيشيم، نوع من النصال الطبية المستخدمة في عمل الشقوق.

خيّم فوقه سكون ثقيل: «بيشيم؟ لماذا أداة طبية؟».

- أنا أيضًا تساءلت.

عَقَدَ يديه على صدره، وانخفض حاجباه. وبعد فترة، غمغم: «السبب الوحيد الذي أستطيع التفكير فيه هو أنه أداة مألوفة للقاتل، بحث القاتل عن أداة اعتادتها يده».

قفز إلى ذهني الآن الاسم الأكثر بروزًا: «الطبيب خون، إنه المشتبه به الوحيد لدينا الذي عنده خلفية طبية».

بدا دافعُ الطبيب خون واضحًا: الانتقام لمقتل أمه بقتل الشاهدات الصامتات، وتشويه سمعة ولي العهد بإلقاء اللوم عليه في كل شيء.

غمغمتُ: «هناك أيضًا الممرضة إينيونج الشاهدة». لم أستطع التفكير في أي دافع لها على الإطلاق. ومع ذلك، لم أستطع إغفال المصادفة الغريبة؛ لقد رأيتها في مكان مقتل سيدة البلاط أهنبى. سألته: «ماذا الآن؟».

حدَّق خارج النافذة دقيقة، ثم استدار قليلًا، فكشف عن جزء يشبه الهلال من وجهه، ثم هَمَس: «ارتاحي يا هيونا. قبل أن تتعافي لا يوجد «ماذا الآن». دعينا نتظاهر بأن كل شيء جيد بضعة أيام».

تفحصته بحيرة كبيرة وهو ينهض ويعبرُ الغرفة.

نادى: «أجوما»، وشخرت الخادمة موكجيوم بصوت عالٍ قبل أن تفتح عينيها في ذهول. جيون أيضًا استيقظت. قال: «السيدة الصغيرة بحاجة إلى طبقة جديدة من الضماد».

«هل استيقظت؟»، نظرت السيدة العجوز نحوي، وعيناها تلمعان بالارتياح: «لقد استيقظت!».

أطلقتُ جيون تنهيدة عميقة: «شكرًا للسماوات!».

وبينما هرعت الاثنتان نحوي، تعنتيان بي كدجاجتين حاضنتين، اختفى إيوجين خارج الباب، انغلقت الأبواب المنزلقة وراءه برفق. لماذا

يتصرف بغرابة هكذا؟ ولماذا أزعجتني العبارة التي أنهى بها كلامه إلى هذا الحد؟ دعينا نتظاهر أن كل شيء جيد بضعة أيام.

قالت الخادمة موكجيوم: «قلقت عليك والدتك، وأنا أيضًا قلقتُ جدًّا، خشينا حدوث الأسوأ...».

سألت، وما زلت أنظر نحو الباب: «هل حدث أي شيء في الأيام الثلاثة التي فقدت الوعي فيها؟ بخلاف إصابتي، ماذا حدث أيضًا؟».

«جيلسيو»⁽¹⁾...، أمالت رأسها جانبًا، وعقدت حاجبيها: «لا أعرف يا أجاشي».

دخلت جيون في الحوار: «سمعتُ ابن عمي يقول: إنه اكتشف دليلًا حاسمًا. لكنني لست متأكدة ما هو. سمعتُ ذلك بسرعة جدًّا، بينما كان يتحدث مع والدتك، ومن ثم اضطر للذهاب مسرعًا».

الآن فهمتُ لماذا أزعجتني ملاحظته، طلب مني أن أرتاح، وأن أتظاهر بأن كل شيء جيد بضعة أيام، رغم أنه لم يكن هناك المزيد من الأيام على الإطلاق لنضيّعها. كل يوم، كل ساعة تمرُّ خطرةً على الممرضة جيونجسو. هذا لا يمكن أن يعني إلا شيئًا واحدًا.

لقد أقصاني عن التحقيق.

عزم المضي بمفرده.

قلت وأنا أحاول النهوض بصعوبة على قدمي: «ساعديني على تعديل شعري ولفّه».

ارتجفت الخادمة موكجيوم من قلقها عندما سمعتُ طلبي، لكنني أرغمتها بنظرة مُستبدة. بقيت صامتة ورافضةً بينما بدأت بتصفيف شعري.

(1) تعني لا أعرف باللغة الكورية. (المترجمة)

احتجتُ جيون، وعيناها تنتقلان بعصبية بين خادمتي وبيني: «لكن لا يمكنك مغادرة المنزل يا هيونا، أنتِ **تحتاجين** إلى الراحة».

بقيتُ هادئةً ومصرَّةً، سأذهب إلى مكتب الشرطة، وأطلب الإجابات من إيوجين. لن أذهب إليه مثل طائر جريح يشعر أنه ملزمٌ بحمايته، ولكن مثل يوينو خاطرتُ بحياتها من أجل الحقيقة. لقد مشيتُ كل هذا الطريق، ولن أدعه يتركني الآن. لقد تخليتُ عن الكثير من أجل هذا.

أحكمتُ وضع «الجاراما» الحريرية السوداء على رأسي، ربما للمرة الأخيرة، وحينها سمعتُ صوت موكجيوم قادمًا من خارج الغرفة، لا بد من أنها تسلت خارجة لتشي بي: «يا سيدتي، يا سيدتي!». وصلني صوتها تقول: «الأجاشي ارتدت ملابسها، وعلى وشك أن تغادر البيت!». ارتديتُ زيي الحريري بصعوبة بمساعدة جيون، التنورة الزرقاء الداكنة، والسترة ذات اللون الأزرق الفاتح، أقلُّ حركة أتحركها تؤلم جرحي. ثم أضفت اللمسة الأخيرة، بودة جييون للجرح الموجود في وجهي. حينها انفتحت الأبواب من ورائي، جهزتُ دفاعي مستعدةً لمواجهة محاولات أُمي لمنعي.

قالت بهدوء، بينما غادرت جيون الغرفة بسرعة، وأغلقت الباب لتمنحنا بعض الخصوصية: «لم يأت الرجال لي للتسلية إطلاقاً، بل كانوا يحتاجون إلى التحدث. والدك أيضاً، لا يأتي إليَّ إلا عندما يكون هناك شيء في باله».

اختلستُ النظر خلفي، وأنا أشعر بالارتباك والحذر بعض الشيء. وقفتُ أُمي بشعرها الأسود مصففاً ومربوطاً في عقدة مثالية عند مؤخرة عنقها، يلمع فيه دبوس فضي. وجهها الجميل كعادته دائماً: خالٍ من المشاعر مثل الصخرة. انسدت عباءة من القش على إحدى ذراعيها، وفي يدها الأخرى قبعة «ساتجات» من القش، ثم قالت: «سأجبره على الكلام،

لدي أصدقاء قدماء، أعضاء مؤثرون في الفصيل الجنوبي، يتوقون لدليل يثبت براءة الأمير، هم الفصيل الذي سيُقضى عليه إذا سقط الأمير». انخفضت نظرتي نحو حافة تنورة أمي، مُثقلةً بالارتباك المفاجئ. قالت شارحةً: «لقد سمعتكِ، أخبركِ المحقق بأن والدك هو حجة غياب الأمير، مثل هذه الحقائق لا يجب إخفاؤها».

- هل ستفعلين... تخونين أبي؟

- إذا لم يتحدث أحد بالحقيقة، فكيف ستنقذين معلمتك؟ يجب أن يبدأ الأمر بوالدك، يجب أن يشهد من الذي كان معه وقت وقوع جريمة القتل. من تلك النقطة، أمل أن تنكشف المزيد من الحقائق. تركتُ كلماتها تستقرُّ في ذهني. حتى إذا اعترف أبي، فلن يؤدي هذا الاعتراف إلا إلى معاقبته هو وحسب، ومن المؤكد أن اعترافه لن يحرر الممرضة جيونجسو. لكن كما قالت أمي، إنها خطوة في الاتجاه الصحيح، وربما هي إحدى أصعب الخطوات على الإطلاق.

همستُ من دون أن أقدر على النظر إليها: «قد يصعب العثور على طريقة للتحدث إليه... إنه غاضب مني، وأمرنا جميعًا بأن نغادر هذا المنزل».

انتظرتُ غضبها وهياجها العنيف. انتظرتها أن تطردني، أن تتبرأ مني. لكن عندما لم تهب العاصفة، نظرتُ إلى الأعلى، فرأيتُ عينيْن ثابتتين.

قالت: «أنا على علم بذلك»، سرْتُ قشعريرة من المفاجأة على طول ظهري، تبعها شعورٌ بالارتياح. أكملت: «السجناء يثرثرون، وكذلك خدم الشرطة، والثروة تنتشرُ بسرعة في العاصمة. لا تقلقي عليّ. بالتأكيد، أستطيع أن أستجمع ما يكفي من الشجاعة كي أترك هذا البيت». رَقَّ

صوتها، وانعقد حاجباها: «يجب أن نكون نحن الاثنان شجاعتين يا بايك-هيون، لكن يجب أن تكوني أنتِ أشجع، يجب أن تنقذي الممرضة جيونجسو».

بالكاد أصدق أذني. لم يتطابق أي شيء في سلوك أُمي مع معرفتي بها.

سألت: «لماذا يهتمك ما يحدث للممرضة جيونجسو؟». هذا سؤال لم أتخيل قط أن أسأله حتى قبل شهر، لكن كثيرًا من الأمور تغيّرت منذ ذلك الحين. «أنتِ تركتني خارج منزل الجيبانج في قسوة الشتاء».

لكن الآن، في ذاكرتي عن تلك الحادثة، لم أعد أقف وحدي أمام منزل الجيبانج. ظهر جسدٌ آخر في المشهد المثلج في ذهني، ظل جالسًا في محفة⁽¹⁾ متجمّدة، متسع العينين وهو يراقبني ويصلي كي تأخذني المدام إلى الداخل.

همست: «أنتِ... أنتِ كنتِ تراقبينني وأنا أنتظر في الخارج في الثلج. بقيتِ تراقبينني حتى وأنا أبكي».

لم يظهر على وجهها أي أثر للصدمة، باستثناء احمرار طفيف في عينيها أكثر من أي وقت مضى. صار صوتها أخشن: «ليس لدي عذر... أردتُ أن أربيكِ كي تكوني قوية، كي تكوني مستعدة للمشقة التي تنتظر امرأة في مثل مكانتك. لكنني -على العكس من ذلك- كدت أن أسحقك لو لم تتدخل الممرضة جيونجسو. أنا ممتنة لها إلى الأبد، إنها أمُّ لكِ أكثر مني، أكثر مما سأقدر أن أكون يومًا ما».

مشّت نحوي مقلّصة المسافة الكبيرة بيننا. عندما وقفتُ على بعد خطوة واحدة، بدت فجأة ضعيفة جدًا وهشة جدًا، مثل ورقة صفصاف

(1) المحفة: كرسيٌّ محمول يستعمله النبلاء في العادة. (الترجمة)

حساسة: «يجب أن تتخفي إذا كنت ذاهبةً إلى مقاطعة داميانج، لا تدرين من الذي يبحث عنك بعد... حادثة القصر».

أعطتني قبعة القش المخروطية، وبعد لحظة مفعمة بالحزن، أزلتُ «الجارِما» على مضض، لقد كانت تاجي، شهادةً على أعلى إنجاز تأمل فتاةً في مثل مكانتي أن تحققه، لن أقدر على ارتدائه مجددًا. مرّت أصابعي على الحرير، قلبي مليءٌ بذكرياتٍ عن مدى فخري بارتداء «الجارِما»، وخفتُ أن أفكر في حياتي من دونها- فيمن أكون بلا لقبِي. ابتلعتُ ريقِي، ووضعت «الجارِما» جانبًا أخيرًا، واعتمرت قبعة الساتجات خافضةً حافظها العريضة على عينيّ المبللتين، وحينها انتبهتُ إلى كلمات أُمي الأخيرة.

همست: «داميانج؟ لماذا قلتِ داميانج؟».

توقفتُ يدها في الجو، ارتفعت أصابعها لتلمس حافة قبعتي: «ألم يخبرك المحقق؟».

- يخبرني بماذا؟

- يبدو أنك طلبتِ من دامو شرطة أن تبحث عن معلومات. أنا لا أعرف التفاصيل، لكنهم وجدوا الممرضة الطالبة المفقودة، مينجي مع أحد أقربائها في داميانج، والمحقق الشاب سيغادر إلى القرية.

نظرتُ نحو رأس السهم الدامي الذي ما زال على الصينية، واحترقت كتفي من الألم. ومع ذلك، كنت أعتزم العثور على إيوجين، على الرغم من أن مغادرته الآن من دوني لم تعد تبدو غريبة جدًّا، فداميانج على بعد يومين تقريبًا بالحصان.

أكملتُ أُمي: «إذا غادرتِ الآن، قد تتمكنين من اللحاق به بالقرب من نهر هان».

سأذهبُ لأنني أريد ذلك، لكن لم أستطع أن أفهم لماذا تريدُ أُمي الشيء نفسه لي. سألتُ بتردد: «لماذا تشجعيني على الذهاب؟ الأمهات الأخريات سيأمرن بناتهنَّ بالبقاء في مثل هذه الحالة».

بحركة واحدة متموجة، لَفَّتْ عباءة القش حولي. «لقد شاهدتك على مدى تلك الأيام الثلاثة، واستمعتُ إلى قصص المحقق عن دورك في التحقيق. ذكّرني بحلم التامونج⁽¹⁾ الذي رأيته قبل ولادتك. حلمتُ بتنين أسود على الجدران، وكنت متأكدةً من أنني سألد صبيًا، ولهذا تشوشت عندما ولدت فتاة. ومع ذلك، منحتك اسمًا بناءً على الحلم الذي شاهدته. بايك، بمعنى «الأكبر» وهيون بمعنى «فاضل ومستحق وقادر». حتى إنني أسميت شقيقك الأصغر على اسمك: داي-هيون».

نخر إحساس غريب جلدي، الإحساس نفسه الذي شعرت به عندما قرأت الممرضة كيونجهي الرسالة الأخيرة من الممرضة مقطوعة الرأس إلى ابنها، الطبيب خون. لكنني ما زلت لا أستطيع وضع إصبعي على سبب انزعاجي.

أكملتُ أُمي: «أدركتُ الآن أنكِ قادرة جدًا، ولا أظن أن جرحًا في كتفك سيوقفك». أخرجتُ علبة أسطوانية من كيسٍ مربوط بتنورتها، ووضعتها في يدي. هدأت برودة الفضة مهمات الإحباط التي كانت تنهشني، معيدةً انتباهي إلى الحاضر، ووجدتُ نفسي أحدّق إلى الأسفل نحو الرموز الرقيقة المحفورة على المعدن.

قالت: «إنها سكين «جانجدو» مصنوعة في منطقة بيونج يونج في أولسان، أردتُ أن أهديك إياها عندما تتزوجين».

(1) أحلام التامونج أو Taemong في الثقافة الكورية تعني «أحلام الحمل»، وهي أحلام يقال: إنها تُنبئُ بحمل، أو ولادة طفل، تحلم بها الأم المستقبلية. (المترجمة)

كان السكين رمزًا لمسؤولية المرأة للقيام بواجباتها بالشكل الصحيح في الحياة الزوجية. همست: «فهمت»، ولم أعرف ماذا أقول غير ذلك.

أكملت: «لكن يبدو أنه من الأنسب إعطاؤك إياها الآن. يعطي الوالدان سكينًا لابنهما، عندما يصل إلى سن البلوغ، كي يكون مخلصًا للمملكة، ويقوم بواجبه». سكنت، وأطلقت نفسيًا متذبذبًا: «أنتِ بالغه الآن، وثمة قرارات ثقيلة تنتظرك، أنا أثق بأنك ستختارين الصحيح منها».

فتحت العلبة، وأزحت الغمد، فلمع خنجر بين يديّ. ارتجفت قبضتي حول المقبض الفضي، فأنا لم أمسك بسلاح من قبل.

تحدثت أمي برفق: «عودي إلينا يا هيونا»، ثم تركتني وحيدة مع ثقل في صدري. صليتُ ألا أضطر إلى استخدام الخنجر، وفي الوقت نفسه فكرت: لن أوزي أحدًا بهذا أبدًا.

لكن لعلّ هذا ما اعتقده القاتل في يوم ما، حتى خسر أغلى شيء في حياته.

تساءلت: ما هذا الشيء بالنسبة إليّ؟

ما الشيء الذي قد أنهى حياة إنسانٍ من أجله؟

17

لم أجد إيوجين على شاطئ نهر هان، لكن بينما كنتُ أعبر إلى الجانب الآخر من الممر المائي لمحتُ لمعان الحرير الأزرق بين حشد من القوارب والصيادين. رأيته واقفاً ويده مشبوكتان وراء ظهره، كان في وضعية تركيز شديد وهو يستمع إلى تاجرٍ على ظهره صناديق. يمسك هذا التاجر بمروحة مطوية، ويشير بها إلى اتجاهات مختلفة على مسافة بعيدة، ثم أمالها في الهواء كما لو كان يرسم جبلاً.

فور أن اقتربت بما يكفي كي أسمع، سأله التاجر بلهجة جنوب-غربية ثقيلة: «هل أنت متأكد من أنك تستطيع تذكر كل هذه الاتجاهات يا ناوري؟».

أجاب إيوجين بصوتٍ منخفض: «ما إن علمتُ شيئاً فمن النادر أن أنساه».

بالتأكيد، هكذا فكرتُ، وأنا أشاهده يُسقط عملة نقدية في يد التاجر. لقد نجح إيوجين في امتحان الخدمة العامة في عمره الصغير، وهذا دليل على قدرته الكبيرة على الحفظ والفهم. معظم من يتقدمون يعانون من طموحهم بالنجاح في امتحان الجواحيو، والكثير منهم يدرسون منذ عمر الخامسة، ويرسبون وهم في الثلاثين، بل حتى في الثمانين من عمرهم.

إنني أفهمُ طموح النجاح اليأس هذا، طموح تجاوز المكانة المجهولة والترقي.

تلك المكانة المجهولة التي لن أتمكن من التخلص منها بعد الآن.
تألم قلبي متأثرًا بالفراغ الذي خلفه أبي فيه، لقد أخذ مني حلمي،
أخذ كل شيء يعنيني.

أزحتُ حزني بعيدًا، وأخذتُ نفسًا عميقًا من الهواء النقي، ثم ركزتُ
على إيوجين. إنه الآن يتجه نحو الطريق الترابي الواسع الذي بدا كأنه
يختفي في الأفق الأزرق الفاتح. تبعته، تاركَةً دائمًا عدة خطوات تفصل
بيننا، كنت بعيدة بما يكفي بحيث لا يسمع خطواتي، وأنزلت حافة قبعة
القش نحو الأسفل أكثر.

تأكدتُ بعد فترة من أنه لن يكتشف وجودي، فخففتُ من انتباهي.
قرقرتُ معدتي من الجوع ففتحتُ حقيبة التنقل الصغيرة التي جهزتها
لي الخادمة موكجيوم قبل أن أغادر، وملأتها بخيطٍ يضمُّ العملات
المعدنية، وضمادات نظيفة، وحبًّا مجففًا. سحبتُ إحدى مجسّات
الحرير، وبينما أنا أمضغها، نظرتُ حولي.

همستُ إليّ الطبيعةُ بوعدِها القديم، كما فعلت في جناح
سيجيومجيونج. لعلّي خسرتُ منصبي، وقد أخسر المزيد، لكن كل شيء
سيكون جيدًا في النهاية. تهمسُ الأشجار: انظري، انظري كيف نتمايل،
كيف نغني ونرقص.

أخذتُ قضمَةً أخرى، وعيناي تترقرقان.
يخشى جزءٌ مني أن يكون هذا الوعد موجّهًا إلى كل الناس، ما عداي
أنا.

تنشقتُ، ومسحتُ دموعي بكمي.

حينها تعثرتُ قدمي بشيء صلب، صخرة ناتئة من الأرض، وفلتتُ مني صرخةً قصيرة. على الفور وازنت نفسي، ووضعتُ يدي على فمي بإحكام. هل سمعني؟ عندما نظرتُ إلى الأعلى، اصطدمتُ نظرتي بإيوجين الذي استدار عند سماع الضجيج. كان بعيدًا جدًّا بحيث لا أرى تعابيره. اقترب أكثر فأكثر، وظهر حاجباه المائلان وأنفه المعقوف، وعلى وجهه نظرةٌ عاصفة. أبعد يده عن السيف المعلق على جانبه.

«ماذا...»، بدا كأنه لا يدري ما يقول، نظرتُه تخترقني. ثم مرَّ يده على وجهه المُنْهَك، وقال: «أخبرتكَ والدتك، أليس كذلك».

- مصادفةً.

ألقي نظرة خلفي، وعرفتُ الشيء الذي يبحث عنه، والذي لن يراه، لم يتبق أي أثر للعاصمة ولا بصيص من نهر هان؛ لقد أصبحنا بعيدين جدًّا بحيث لا يمكن تبرير الرجوع.

على الرغم من ذلك، مشى إلى جانبي، وقال: «تعالِي، سأعيدك إلى المنزل».

وقفتُ ثابتةً: «لقد مشينا ساعتين على الأقل، وستستغرق ساعتين أيضًا كي ترافقني في العودة، ثم ساعتين غيرهما حتى تعود إلى هذه النقطة ذاتها. سينتهي اليوم تقريبًا، ولن تصل إلى أي مكان». ثم أضفت بصوت رصين: «لدينا أقلُّ من أربعة أيام قبل أن يصدر الحكم بحق الممرضة جيونجسو. لن يتبقى سوى يومين وحسب عندما تصل إلى مقاطعة داميانج، وبالكاد سيكون معك وقتٌ للعودة كي تقنع القائد سونج. ليس لدينا وقت لنضيِّعه».

ظل إيوجين ساكنًا ومديرًا ظهره لي، مواجهًا الاتجاه الذي يقودنا إلى نهر هان. في كتفيه المتصلبتين إصرارٌ عنيدٌ؛ قال لي محدّرًا: «سيتعين

علينا السفر عبر عشرات القرى، وعبر أنهار وجبال. الرحلة ستزيد من تفاقم جرحك».

- لا يهم، أنا يوينو، أعرف كيف أعتني بنفسي.

لم يتزحزح من مكانه.

قلتُ بصوتٍ مرتفعٍ قليلاً: «لقد اخترتُ هذا الطريق، وهذا هو الطريق الوحيد الذي يمكنني أن أسلكه الآن، ويجب أن تسمح لي بالسير فيه».

صار التشنج في كتفيه أخفَّ، ثم استدار ومشى من أمامي من دون أن ينظر إليّ. عندما لحقتُ به قال: «أنتِ مزعجة جداً».

سألته بنبرة مهذبة: «مزعجة لأنني على حق يا ناوري؟».

أجاب بنصف ابتسامة: «نعم، أنتِ على حق يا ممرضة هيون، أنتِ دائماً على حق».

مشينا صامتين، وأبقيتُ حافة قبعتي منخفضة كي أخفي الابتسامة المرتسمة على شفتيّ. بصحبة إيوجين ترتفعُ الجبال عالياً، وتتمايل حقول العشب المحيطة بنا في عالم يخصّنا وحدنا، عالم يسهل فيه نسيانُ خطورة موقفنا، والحزن الذي ما زال كامناً تحت أضلعي، ولو كان النسيان لحظةً قصيرةً واحدة.

قلتُ بعد فترة: «إذن، لقد عثرت على مينجي في داميانج، كيف اكتشفت دامو سولبي، والممرضة أوكسون هذا؟».

- أظن والدتك أخبرتك عن هذا أيضاً.

- ليس بالتفصيل.

- علمت الممرضة أوكسون بأمر سفر والد مينجي مؤخراً من طبيبٍ آخر، يبدو أن الأب أصيب في رحلته القصيرة من وإلى داميانج. رأيتُ أنه من الغريب أن يغادر العاصمة قاصداً داميانج بعد فترة

وجيزة من مذبحة الهيمينسيو، واكتشفت أن له قريبًا هناك، أحد أقرباء العائلة البعيدين. عندما تحدثت مع والد مينجي حول هذا أمس، شحب وجهه، وتوسل إليّ أن أبقى ابنته بعيدة عن التحقيق، قائلًا: إنه لا يريد أن يراها مقبوضًا عليها، ومعدّبة مثل الممرضة جيونجسو. كان هذا كافيًا لتأكيد شكوكي».

سرتُ قشعريرةً بداخلي، وامتدتُ إلى أطراف أصابعي. شبكتُ يديّ معًا بقوة، وهمستُ: «أخيرًا سنكتشف حقيقة ما حدث في تلك الليلة. وإذا أخذنا بعين الاعتبار كيف قاومت ضحايا الهيميسنو، فإذا كان القاتل يرتدي وشاحًا أو قناعًا حول عنقه، فمن المؤكد أنه قد تمزّق».

أجاب إيوجين: «آمل هذا أيضًا، أن تكون مينجي لمحت وجه الجاني».

- وإن لم تفعل؟

- حسنًا، يمكننا أن نسألها ما إذا سمعت الجاني يتحدث، ما إذا

كان القاتل رجلًا أم امرأة؟ وإن لم تعرف جواب ذلك حتى، حينها سنكتشف شيئًا أتساءل عنه منذ البداية: كيف استطاعت الممرضة

الطالبة مينجي الهروب من المذبحة؟

ظل سؤاله عالقًا في ذهني، بينما نزل علينا رذاذٌ خفيف، أمطارٌ مضاء بنور الشمس تحملها الرياح من السحب الداكنة المتجمّعة فوقنا. كنا على حافة عاصفة. عندما مررنا بالغابات التي تغطي قاعدة الجبل، وتبعنا طريقًا متعرجًا سار عليه الكثيرون من قبل، أصابني القلق. بدا الطريق بلا نهاية، كأن طريقًا أبدىً يحول بيننا وبين داميانج.

قلتُ: «ثمة عاصفة قادمة يا ناوري، عندما نصل إلى بلدةٍ يجب أن نستعير أحصنة، وإلا فإن هذه الرحلة سوف تستغرق وقتًا طويلًا». فتحتُ حقيبة سفري، وأخرجتُ منها خيط العملات المعدنية، قلتُ وضوء الشمس يلمع على الحلقة الرنّانة: «لقد أحضرتُ ما يكفي لذلك».

قال: «لن نضطرَّ إلى استخدامه، فوق الجبل ثمة بلدةٌ فيها مكتب شرطة، سأطلب الخيول من هناك». ثم تمهَّل، وسأل: «هل تعرفين كيف تمتطين حصاناً؟».

- أعرف.

- سيكون أماننا رحلة طويلة على ظهر الحصان، إذا أوجعتك كتفك، هل ستحرصين على إخباري؟

كذبتُ قائلَّة: «سأفعل».

- وستحتاجين إلى شيء تحمين نفسك به. ثمة العديد من قطاع الطرق، والحيوانات البرية المتجولة في هذه الأنحاء.

- لدي شيء؛ خنجر، أهدتني إياه أُمي.

- حقاً؟ دعيني أرّ.

مد يده، وأخذ الحقيبة الفضية، وعندما سحب الغمد ظهرت المفاجأة على وجهه وهو يفحص الفولاذ: «هذا النصل من المنطقة العسكرية في بيونج يونج، حيث تُصنعُ أعظم أنواع سكاكين «الجانجدو». تزعمين بأنها لا تكثرُ بك أبداً، لكنها اجتهدت كي تشتري هذه السكين».

تنهدتُ: «تبين أنها مختلفةٌ بعض الشيء عما كنت أظنُّ». خيمتُ عليَّ لحظة صمت بينما تذكَّرتُ كلماتها: «حكّت لي أُمي سبب تسميتي».

قال إيوجين: «حقاً؟ لدي فضول لأن أعرف لماذا قد يسمي شخصُ ابنته باسم بايك-هيون: «الأخ الأكبر الفاضل»».

مرة أخرى كما حدث من قبل، سرى إحساسٌ بعدم الارتياح بداخلي، بينما تشنَّجت عضلاتي. أشعرُ بأن ثمة شيئاً ما يجب أن أعرفه. دلكتُ صدغي، وغمغمتُ: «اختارت الاسم بسبب حلم...».

أدركتُ متى شعرتُ بهذا الإحساس من قبل: إنه شعور الإحباط المتصاعد، كان ذهني يتشظى كلما وجدتُ نفسي قريبة جدًا، لكن في الوقت نفسه بعيدة جدًا، عن استنتاج المرض الحقيقي الذي يعانيه المريض. الإحباط الذي يتزايد بسبب الساعات التي أقضيها في تقييم أهمية الأعراض المختلفة. لكن العلامات مصفوفة أمامي الآن: حكاية أُمِّي حول اسمي.

رسالة الممرضة هيو-وك التي بدأت مصادفةً باسم الأسماء لها أهمية في مملكتنا.

لقد ظننتُ أن أُمِّي أسمتني بهذا الاسم بدافع الكراهية، أنها أسمتني باسم الصبي الذي تمننت لو أنجبته، لكن لا، لقد أسمتني بناءً على حلم. واسم أخي الصغير اختارته بناءً على المقطع الأخير من اسمي: هيون، مقطعنا المشترك للإشارة إلى أننا من جيل واحد.

تأملتُ قائلةً: «ثمة شيء يزعجني حول اسم الطبيب خون. خون ميونج... كل الأسماء المعطاة تحمل معاني».

أجاب إيوجين: «لقد رأيتُ رموز الهانجا الخاصة باسمه، يتكون اسمه من الرموز التي تعني مو: حامل السلاح، ويونج: بطل».

«يونج...»، أملتُ رأسي جانباً عابسةً، بينما قفزتُ إلى ذهني صورة جبين خون المصاب، إلى جانب علامات الطين على جسد رجلٍ توسَّل على الأرض. قلتُ: «عندما تحدثت مع خون، هل أخبرك...»، تمهلْتُ محاولةً استجماع أفكارِي: «هل ثمة شخصٌ لا يتوافق معه خون بشكل جيد؟ شخصٌ يضايقه بشدة؟».

- مدام مون.

- أي شخص آخر؟ ربما فرد من العائلة؟

- والداه متوفيان، ومع ذلك، لديه ثلاث إخوة غير أشقاء، وبدا منزعجًا جدًا عندما سألته عنهم. حاولت البحث عنهم، لكن لا يوجد سجل رسمي للعائلة. أعتقد أن والديه لم يُبلّغا عن زواجهما.

غمغمتُ باسميهما: «الطبيب خون مويونج... الممرضة إينيونج...»، هما الاثنان الوحيدان اللذان ظننتُ أن بإمكانهما حمل البيشيم. «لا بد من أن الأداة الطبية لأحدهما. لكننا لم ننظر إلى إينيونج إلا بصفقتها شاهدة...».

ثم استوعبتُ الأمر، قفز عقلي من مكانه مذهولًا من الاكتشاف الذي أظنني توصلت إليه. خيم الصمت على رأسي، فاخفتت حتى زقزقة العصافير على الأغصان العارية اللامعة تحت الرذاذ الخفيف. عندما عدتُ إلى صوابي شعرتُ بأن إيوجين يحدّق إليّ منتظرًا.

- ما رموز الهانجا لاسم إينيونج؟

قال: «إين بمعنى (الإحسان) و...»، تجمّد ثم أكمل: «يونج بمعنى (بطل)».

همستُ وأنا ما زلت غير مصدقة: «دوليمجا؛ الممارسة الشائعة جدًا، تسمية الأطفال بالرمز نفسه إما في المقطع الأول من الاسم، وإما في المقطع الأخير. قد تكون مصادفةً، لكن اثنين من المشتبه بهم يتشاركان المقطع الأخير نفسه. الطبيب خون مويونج والممرضة إينيونج. ماذا لو كانا أخوين غير شقيقين؟».

قال مترددًا: «فهمتُ ما تقصدين، لكن... كما ذكرت، يمكن أن تكون مصادفة».

قلتُ: «ألا تظن أن ثمة الكثير جدًا من المصادفات هنا؟ تصادف أنها كانت في الهيمينسيو في ليلة المذبحة. كانت ترتدي عباءة من القش، ربما كي تخفي آثار الدم والخدوش تحتها، كانت تقدر أن تختبئ في

مكان ما لتُصلِح شعرها المشعث. كما أنه، بعد فترة وجيزة من قطع رأس الممرضة هيو-وك، دخلت الممرضة إينيونج القصر، وتركت منصبها في مكتب الشرطة».

قالت لي إينيونج: قررت أن الوقت قد حان للمضي قدماً حين صفعتني مأساة جديدة، بدأت الذاكرة تعود إليّ بينما أتحّث: توفيت أُمي التي كانت تحلم دوماً بأن أصبح ممرضة في القصر.

أُكملت: «قبل ذلك كانت دأمو شرطة. قالت لي: إنها اختارت ألا تدخل القصر، لأنها مشغولة بحل قضية قتل. تخيّل كم تعلّمت من الأشياء... انتظر. كم من الوقت تحتاج المرأة كي تتدرب على استخدام السيف ببراعة؟». مكتبة سرٌّ مَنْ قرأ

- يستغرق الأمر سبع سنوات على الأقل كي تحترف هذا الفن.

- لقد عملتُ في مركز الشرطة تسع سنوات، والمحقق كان مُعلمها...

ساد صمتٌ عميقٌ بيننا: «لم أنتبه تماماً للممرضة إينيونج، لقد أعددتها مجرد شاهدة وحسب».

- ربما هي مصادفة وحسب.

تراجعتُ عن نظريتي، لا أستطيع تخيّل أن إينيونج هي الرجل النبيل الذي وضع النصل على رقبتني.

- في النهاية لديها حجة غياب.

ظهرَ عدمُ الارتياح على ملامحه، وقال: «أبٌ سَكَّيرٌ لا يستطيع أن يتذكر في أي عام هو، ووكزٌ مليء بالمقامرين الجشعين، يمكن أن تكون دفعت لهم كي يكذبوا عليّ. كما أن والدها مُطلق، ومن الممكن أنه تزوج في وقت ما بالممرضة هيو-وك...»، ضغط إيوجين بأصابعه على عينيه، وتصلّب وجهه بالإحباط: «اللعة. كان يجب أن أستجوبهم كلهم أكثر».

سارعتُ قائلةً: «هذا ليس خطأك، كنتُ تتعامل مع تحقيق كامل بمفردك، من دون مساعدة القائد. كما أن إينيونج أول شاهدة هرعتُ إلى الشرطة. ترددتُ، وهزرتُ رأسي: «أي قاتل يُبلِّغ عن جريمته؟».

قال وقد انخفض صوته إلى نبرة باردة: «لعلَّ هذا هو بالضبط ما فكرتُ فيه الممرضة إينيونج. وعلى الرغم من ذلك فمن الممكن أنها مجرد مصادفة، لكن كما ذكرتِ، إنها مصادفات كثيرة جداً. الضحية الخامسة، الممرضة آرام، كانت قد أعدت الشاي لمن جاء لزيارتها في الصباح الباكر، أعدت الشاي للقاتل. ليس طبيعياً أن تُعد مثل هذا الطقس الحميمي للطبيب خون، لكن من الممكن أن تعدّه للممرضة إينيونج...». أضفتُ والمزيد من الأفكار تتبلور في ذهني: «كنت أظن أن الطبيب خون هو القاتل قبل بضعة أيام. في اليوم الذي تلا مقتل الممرضة آرام، أخبرني شيئاً غريباً، أخبرني أنه تمنى لو مات بدلاً من أهني، كان يلوم نفسه على موتها. عندما سألته عن قصده، سألتني: أليست مصادفةً غريبة أنه وقع في الحب مع واحدة من الشاهدات الثلاث على موت والدته».

زاد انعقاد حاجبي إيوجين، أستطيع أن أشعر بتسارع عقله. أضفتُ: «كان ثمة ثلاث علامات على جسده: دمٌ على جبهته، وطينٌ على يديه وركبتيه، لقد سجد لشخص ما...».

غمغم إيوجين: «إذا كنا سنتبّع نظريتك، فلعلَّ الممرضة إينيونج دخلت القصر كي تكتشف كيف اختفت أمها. ربما سمعت همسات عمّن رأوها آخر مرة».

أضفتُ وقد انقطعت أنفاسي من فرط الانفعال: «ربما، ربما عندما كانت تخدم مدام مون، اكتشفت أن المدام، وسيدة البلاط أهني قد عرفت شيئاً عن والدتها، لذا شجعت شقيقها على تعقب أهني».

تابع إيوجين: «وقع هو في حبّها، لكنه أيضًا أطاع أمر الممرضة إينيونج بجمع المعلومات. وفي اليوم الذي عرف فيه التفاصيل أخيرًا، حدثت مذبحة الهيمينسيو، ثم طاردت الممرضة إينيونج الاسمين الآخرين اللذين ذكرتهما أهنبي: الممرضتان كيونجهي وآرام».

قلت: «وفي الصباح التالي، ربما سجد لها... لشقيقته الكبرى، كي يتوسّل إليها أن تتوقف!».

قال إيوجين: «لقد غيّرت رأيي، ما إن نحصل على الأحصنة سنذهب إلى جوانجغو».

رمشتُ: «ماذا هناك في جوانجغو؟».

- مكتب الشرطة الذي خدمت فيه الممرضة إينيونج يومًا ما، سيتسبب ذلك في زيادة طول الطريق، لكنني أعتقد أنه علينا ذلك. لقد ركزنا جدًّا على الأمير والطبيب خون حتى إننا بالكاد نظرنا في ماضيها.

قلتُ: «ربما كلانا لم يعتقد أن ذلك ممكن: أن امرأة قد تكون بهذه القسوة. ربما عندما وُلدت، حلمت أمها بالتنانين أيضًا».

18

التفتُ سحب داكنة منخفضة في السماء. ركبنا على الأحصنة إلى مدينة جوانجغو المحصنة، ووصلنا إلى مكتب الشرطة المحلية، أعمدته حمراء باهتة، وله بوابة باجودا ذات مستويين، وبدأ ماء المطر يجري بغزارة في أزقة البلدة. خدَّر الشعور المتزايد بالترقب ألم كتفي المجروحة.

«هل أعرف دامو إينيونج؟»، كرر الضابط الذي يحرس مدخل المكتب سؤال إيوجين. «نعم، كان لدينا دامو بهذا الاسم. لقد ترقّت إلى ممرضة قصر قبل عام أو نحو ذلك».

أخرج إيوجين قلادة الماباي قائلاً: «إذا كان القائد بالداخل أخبره بأن محققاً من مكتب شرطة العاصمة يطلب مقابله».

امتثل الضابط على الفور، وعاد ومعه خادم رافقنا مشياً تحت الأفاريز التي تحمينا من المطر متجهين إلى الجناح الرئيسي: مبنى طويل له أعمدة ترتفع عالياً، وتتصل بالسقف ذي القرميد الأسود.

في الداخل، رحب بنا القائد تشاي، رجلٌ في منتصف العمر له لحية سوداء طويلة وخفيفة. تبادل الرجلان المجاملات، وجلسا على حصيرة أرضية. اتخذتُ مكاناً بعيداً خلفهما، قرب الأبواب المنزقة، لكن إيوجين نظر خلفه، وأشار إليّ كي أجلس إلى جواره. تصرّف كأن هذا شيء

طبيعي بالنسبة إليه، لكن القائد بدا مذهولاً. ارتعش حاجباه الكثيفان، وصوّب نظره نحوِي في فضول، لكن ذلك لم يدم سوى لحظة.

قال بصوتٍ عميقٍ ورخيم: «إذن، أنت المحقق سيو. لقد سمعت عنك، العبقري اليافع الذي منحه الملك منصباً في عمر الثامنة عشر. ما الذي جعلك تقطع كل هذا الطريق إلى هنا أيها المحقق؟».

- جئنا نسألك ما الذي تعرفه عن إينيونج، كانت دامو هنا تسع سنوات قبل أن تصبح ممرضة قصر.

أطلق القائد تنهيدةً طويلة متأملة: «إذن شكوكي في محلها». وقبل أن نسأله عن قصده، قال: «دخلت إينيونج مكتب الشرطة في عمر الأربعة عشر، فتاةٌ لها عقل متقد، حتى إنني قررتُ أن أدربها كي تصبح عيني وأذني، أن تصبح امتداداً لي».

سأل إيوجين: «هل تضمن هذا التمرين فنون المبارزة بالسيف؟».

- لقد طلبت مني أن أعلمها المبارزة بالسيف عندما وقعت سلسلة من حوادث القتل في البلدة. لقد رأيت فيها امرأةً شابةً تتمتع بالاستقامة والأخلاق. لذا، طلبت من أحد محققي الشرطة أن يعلمها.

- لماذا قررتُ أن تترك المكتب بعد تسع سنوات؟

- أخوها الأصغر، طبيب في القصر، كتب لها...

- ما اسم هذا الأخ؟

- لا أعرف. لقد غادر أخوها المنزل في سن مبكرة، كي يدرس الطب في العاصمة، كما أنها لم تتحدث عنه إلا قليلاً. بدا أنها لم تكن قريبة منه، لم تكن قريبة منه أو من زوج والدتها...

ثم أشرق وجهه: «آه! زوج الأم! كان مسؤولاً عسكرياً قبل أن تُخفّض رتبته إلى خادم عقاباً له على شيء ما. السيد خون، هكذا كان الناس هنا ينادونه، وانتقل لقبه إلى ابنه».

فكرتُ: الطبيب خون.

سأله إيوجين: «أنت تشير إلى والد إينيونج بصفته زوج أمها، هل يعني هذا أن والدة إينيونج تزوجت مرة أخرى؟ الزواج مرة أخرى محظور».

- الطبقة المتدنية تفعل ما يروق لها، وكما قلت، كانت عائلتها تحافظ دائماً على خصوصيتها. لقد عاشوا بهدوء معاً بعد طلاق أمها، ولذلك فأنا لا أعرف على وجه الدقة ما إذا كانا قد تزوجا بالفعل أم لا.

تنحنح القائد: «كما كنت أقول، كتب الأخُ إلى إينيونج، وحينئذ عرفتُ أن أمها اختفتُ، وآخر مرة رأوها حية كانت في القصر. لم أكن أعرف أن أمها أصبحت ممرضة قصر حتى ذلك الحين، لقد عملت في العطارة المحلية معظم حياتها».

تشبّثتُ بتنورتي لأثبت ارتجاف يديّ.

- وعلى الرغم من أنني نصحتها بعكس ذلك، فقد تعاملتُ إينيونج مع اختفاء أمها كأنه قضيتها هي، كأنها هي المحقق. كتبتُ إلى شقيقها كل يوم تقريباً، تطرح عليه الأسئلة، وتطلب منه أن يكسب ثقة سيدة البلاط أهنيبي...

سأل إيوجين: «سيدة بلاط؟».

- نعم، يبدو أنها آخر من شوهد مع والدتهما. بعد فترة، توقف عن الرد على إينيونج. حينها بدأت تستغل كل دقيقة فراغ في

قراءة الكتب الطبية، وعادة تدرس طوال الليل. أخذتُ امتحاناً وراء امتحان في العطاراة المحلية وفي كل مرة، ترتفع علاماتُها أكثر فأكثر. حينئذ أُعيد تعيينها مرة أخرى في العطاراة، وقد دُهِشْتُ كثيراً حينما عرفت أنها قضت هناك بضعة أشهر قبل اختيارها للعمل في القصر.

همستُ: «إذا سمحت لي»، فنظر القائد نحوي، بدا كأنه لا يفهم وجودي معهما، لكنه أوماً برأسه على أي حال. «لقد ذكرت أن إينيونج كانت امرأة ذات استقامة وأخلاق، بعد اختفاء أمها، هل تغير شيء فيها؟ هل أقدمت على أي تصرف غريب؟».

راقبني القائد، ومن ثم نظر إلى إيوجين: «من تكون، أيها المحقق؟». أجاب إيوجين: «ممرضةٌ في القصر، هي جزء لا يتجزأ من هذا التحقيق».

همس: «طبعاً... وإلا كيف يمكن لأي شخص أن يعرف ما يجري داخل جدران القصر؟»، إنه يعرف شيئاً. وحين زم شفتيه وعبس، تشنَّج ظهري.

أكمل: «انشغلتُ إينيونج بقضايا الظلم، مهووسةٌ بها... مهووسة بشكلٍ مخيف جداً. ثم في أحد الأيام، عندما كُفِّتُ بالقبض على شاهدة زور، وجدتُ الشاهدة... في حال مقلقة يرثى لها: وجهها مضروب، بالكاد يمكن تمييزه، تعرضتُ لضربٍ مبرح حتى إنها لم تستيقظ بعدها. غضضتُ نظري عن ذلك، رغم أنني أعترف الآن: إنني أتساءل ما إذا كان تجاهلي خطأ».

قال إيوجين ببطء: «أقول مع فائق الاحترام»، فنظرتُ إليه بتوتر، ثم أكمل: «في بعض الأحيان تكون الرحمة المفرطة مؤذية مثل قَلَّتْها».

انتظرتُ فورة غضب القائد- لا شك أن القائد سونج كان سينفجر غضبًا، لو أنه في مكانه. لكن على العكس من ذلك، أطلقَ زفرةَ ندمٍ، بينما بدا أن كلمات إيوجين تتغلغل في عقله. لعلَّ المسؤولين خارج العاصمة أقلُّ وحشيةً.

أكمل إيوجين: «لا بد من أنك قد سمعت عن مذبحة الهيمينسيو يا يونجام⁽¹⁾».

«سمعتُ، وأظن أن هذا هو سبب قدومك إلى هنا». أخذ يعبثُ بلحيته بينما نظر نحوي. قال بصوتٍ خفيض: «لم أظن أن أحدًا سيأتي إلى هنا لي طرح عليَّ هذه الأسئلة... من سيعتقد أن مجرد فتاة خادمة قادرة على كل هذا الغضب العنيف؟».

سأل إيوجين: «هل تظن أن الممرضة إينيونج قد يكون لها علاقة بجرائم القتل؟».

«أظن ذلك. لقد كان شكًا وحسب، لكن الآن بعد الخوض في التفاصيل مجددًا، أعتقد حقًا أنها وراءها». نهض القائد تشاي على قدميه، وجلب شيئًا من درج خزانة. جزء مني خشي أن يسحب سيفه ويقتلنا، لأننا اكتشفنا خطأه. لكنه لم يسحب سيفًا، بل قطعة خشب محفور عليها ختمه، تونجيو: مذكرة تعطي الضباط سلطة اعتقال الأفراد.

قال: «لقد تابعت مذبحة الهيمينسيو من كُتب، ورأيتُ الفوضى التي سببتها، وجعلت الناس يشكُّون في ولي العهد نفسه. عندما ترجع، قدِّم ختمي للقائد سونج وأخبره، بأنك حصلت على شهادة رئيس مكتب جوانجفو. يجب اعتقال الممرضة إينيونج والتحقيق معها».

(1) لقب وتكريم للرجال الكبار باللغة الكورية. (المترجمة)

عندما خفَّ المطر، صارت زرقة السماء داكنة، واقترب الظلام. غادرنا البلدة المحصَّنة على أمل العثور على خان قريب، لكننا بدلًا من ذلك عبرنا حقلاً بعد حقل من حقول الأرز الموحلة، ثم امتدادًا لا ينتهي من الشجر؛ غابة من الأشجار الملتوية، وسوق الخيزران الخضراء الشاهقة، حتى رأينا أخيرًا خيالًا ونافذتين مضاءتين بالشموع، بدا نور الشموع في النافذتين كعينين صفراوين فاقعتين تحدِّقان من بين الظلال.

فلتت الكلمات مني: «شكرًا أيتها الآلهة».

قال إيوجين: «دعنا نأمل أن من يعيش هناك زوجان عجوزان، وليس جوميهو يتغذى على الرثاء».

بدا إيوجين خفيفَ الروح، فالتحقيق يقترب من نهايته. ومع ذلك، لم أشعر بالراحة على الإطلاق، لأن المرأة التي يعتزم إيوجين القبض عليها الآن هي ممرضةٌ أعرفها، تكلمتُ معها، وعملتُ معها.

ومع ذلك، حاولتُ أن أبدو مبتهجةً: «دعنا نأمل ذلك من أجلك أنت، فالثعالب ذات التسعة ذيول تفضلُ رثاء الرجال أكثر من النساء».

عندما اقتربنا من الكوخ الذي يضم فناءً صغيرًا ومطبخًا مجاورًا إلى جانبه، ربطنا خيولنا، واتجهنا نحوه. وقفتُ متوترةً خلف إيوجين، وهو يدقُّ بقبضته على باب المدخل. لم يسبق لي قط أن ذهبت إلى منزل شخص غريب كي أطلب منه مسكنًا وطعامًا، ولكن بدا أن إيوجين قد فعل ذلك عدة مرات من قبل؛ على الأرجح عندما سافر مع والده المحقق الملكي السري متكرين مثل الفلاحين.

انفتح الباب كاشفًا وجه امرأة شابة حذرة. كانت ترتدي سترة بيضاء وتنورة صفراء فاتحة، شعرها ملفوف وراء رأسها، ومثبتٌ بدبوس «بينيو»، مما يعني أنها سيدة متزوجة. بقيتُ حذرة، حتى بعد أن شرح

لها إيوجين أنه مسؤول عسكري في رحلة مع شقيقته، وسأل ما إذا كان لديها غرفة إضافية نبيت فيها الليلة.

قالت على مضض: «لدي غرفة واحدة إضافية، يمكنكما النوم فيها»، ثم تنحت جانباً كي تسمح لنا بالدخول.

مارو خشبي صغير -مساحة المعيشة الرئيسية- مليء بأكوام من سلال القش، وسكين مطبخ بجوار كمية من فصوص الثوم على طاولة منخفضة. قادتنا عبر الأرض الخشبية، ثم فتحت الباب على غرفة أصغر. - ثمة بطاطين هناك، وليس لدي أي شموع احتياطية. سأحضر لكما بعض الماء، لكن ليست لدي وجبات أقدمها لكما، بالكاد أجد ما أكله أنا.

كنت أتصور جوعاً، لكننا مضطران للاكتفاء بالوجبات الخفيفة التي في حقيبتني.

قال إيوجين بهدوء فور أن بقينا وحدنا: «أظن أنها أرملة. (أحضرت المرأة لنا وعاءين من الماء، فاستخدمناهما في تنظيف أنفسنا). أو زوجها ليس في البيت».

ما إن نظفتُ يدي وأظفاري، ومسحتُ العرق عن حاجبي، أدخلتُ يدي تحت سترتي «الجيوغوري»، وممررتها على كتفي العارية، فشعرتُ بتصلب الضمادة. أحتاج إلى إضافة طبقة جديدة، لكنني كرهتُ أن أخلع سترتي. وسط حيرتي، نظرتُ إلى إيوجين نظرة خجلة.

أشاح بنظره بعيداً بسرعة: «سأنادي الأجوما كي تساعدك، وسأبقى في الخارج».

خرج، وعندما دخلت المرأة شهقتُ من منظر الدم، لكنها لم تسأل أية أسئلة.

قالت وهي تلفُ طبقةً جديدةً من الضماد على الطبقة القديمة: «أنتما لستمأ أخًا وأخته، أستطيع أن أعرف ذلك من الطريقة التي ينظر بها إليك وأنتِ غير منتبهة».

لم أفهم قولها، لكن كلماتها علقت بذهني عندما أصبحتُ مع إيوجين وحدنا مجددًا.

طرحْتُ حصيرة النوم الخاصة بي، ووضعتها أبعد ما استطعت عن حصيرة إيوجين؛ ولم تكن بعيدة جدًّا في نهاية الأمر، نظرًا لصغر حجم الغرفة. جلستُ على حصيرتي أحتضن ركبتيَّ بينما تمدد إيوجين على حصيرته، ذراعه تحت رأسه، وعينه مغمضتان، سيفه ولفة من الحبال مربوطان إلى خصره. بدا أنه سينام بهما.

غمغم: «يجب أن ترتاحي، أمامنا رحلة طويلة مع بزوغ الضوء».

سألتُ: «هل ما زلنا سنذهب إلى داميانج؟ كي نستعيد الشاهدة الرئيسية؟».

- سأرسل ضباطًا آخرين للعثور على مينجي، بما أننا عرفنا أين هي. لا أريد أن أعطي الممرضة إينيونج أي فرصة للهرب.

بقينا هادئَيْن وساكنَيْن نستمعُ إلى حفيف الغابة، صوت بومة، أجنحة ترفرف فوق الغابة.

وسط هذا الهدوء، بدأتُ أفكر فيما ينتظرنا. ستنتهي القضية في غضون أيام، وكدت أخشى فكرة العودة إلى الحياة الطبيعية، تلك الحياة التي ينتظرني فيها نوع مختلف من الغموض. من تكون أُمي حقًّا؟ هل تحبني بالفعل؟ وما الذي يتوجب عليَّ فعله في حياتي، بعد الفوضى التي خلَّفها غضب أبي؟

وأين إيوجين وسط كل هذا؟

كان التفكير في ذلك محبطًا. ومع ذلك، ضغطتُ أصابعي على جفوني في الظلام، فرأيتُ بقع ضوء طافية مثل الفوانيس في الليل. قلتُ، وأنا أخفض يدي حتى احتضنت راحتي وجهي: «مهرجانُ الفانوس... لقد طلبت مني أن أذهب معك إليه».

بقيتُ عيناه مغمضتين: «لقد قلتُ: إنني مجرد تشتيت».

أصبحت وجنتاي حارَّتين تلسعان أصابعي: «لم أقصد ذلك، كنت غاضبةً بسبب ما حدث مع أبي».

- إذن أنت تهتمين بي بالفعل.

قلتُ بلطف: «طبعًا».

فتح عينيه، وحدَّق إلى السقف المظلل فترةً طويلة، وتساءلتُ ما الذي يدور في عقله. أيفكر هو أيضًا أين سأكون في حياته بعد التحقيق؟ أو ربما يفكر في طريقة ليبعدني...

غمغم بتردد، ثم أدار رأسه قليلًا: «طالما كنت أشعر بأنني وحيد حتى التقيتك». في الضوء الخافت، لمعت عيناه بإخلاص حبس أنفاسي، ثم أكمل: «أجد نفسي أتساءل ما إذا كنت تشعرين بالطريقة نفسها نحوي».

كنتُ خائفةً، لكنني أردتُ أن أعرف: «كيف... كيف ذلك؟».

نظر إلى السقف مرةً أخرى، فاحصًا أنماط الضوء والظل، ربما يللمم شتات أفكاره: «عندما نكون معًا... نكون كأننا مثل الماء في النهر، أفكارنا تتدفق في أفكارك، وأفكارك في أفكارنا. وعندما نصمت...»، ارتسمت ابتسامة باهتة على شفتيه: «أنسى أنك هنا في بعض الأحيان». قلتُ بطريقة جافة: «كم أشعر بالإطراء يا ناوري».

- هذا أعظم مدح، أنا لا أحب أن أكون بين الناس فترة طويلة، لكن وأنا معك... لا أشعر بأنني مضطر أن أكون شخصاً آخر لست أنا. نظرتُ إليه، مدركةً أنني حقاً أشعر بالطريقة نفسها نحوه. عندما أكون معه، أشعر كما شعرت في جناح سيجيومجيونج، كأننا هربنا إلى عالم آخر لا يوجد فيه سوانا؛ هناك لا قواعد ولا قوانين أضطر إلى اتباعها.

- أظن أنني أشعر بالشيء نفسه أيضاً...

قطع صوتٌ خارجي قصير انتباهي فجأةً. بدا كأنه صرخةٌ قوية، قُطعت بشكل مفاجئ. قفز إيوجين بالفعل إلى وضع الاستعداد، واضحاً يديه على سيفه.

سألت: «حيوان؟».

- بدا كذلك، سأعود. انتظري هنا.

- دعني آت...

- لا.

قبل أن يتمكن من المغادرة، نهضتُ على قدميَّ وأمسكتُ بيده، يده الباردة. بينما فعلت ذلك، صار واثقاً من أن هناك شيئاً غير صحيح.

شدُّ على يدي بلطفٍ: «سأعود، أعدك».

قال ذلك كأنه يعنيه حقاً، فهزرتُ رأسي على الرغم من الخوف الذي سرى في عروقي: «بالطبع ستفعل».

عندما غادر، سمعتُ صوت حذائه يبتعد، صوت خطواته على الأغصان المتكسرة في الخارج. في لحظة ما، مرَّ بقرب النافذة الأقرب إليَّ، ثم اتجه بعيداً عن الكوخ. خفق قلبي بشدة بين ضلوعي، فنهضتُ على قدميَّ، وأسرعتُ نحو النافذة وفتحتها، فرأيتُ إيوجين يختفي في غابة

الخيزران الشاهقة التي بدت خضراء باهتة في الضوء الخافت. تمهّل مؤقتًا ليسند عصا صغيرة على العمود. ومن ثم رحل، وابتلعه الظل.

انتظرتُ، تمشّيتُ، عضضتُ أظفاري، نظرتُ خارج النافذة مجددًا قبل أن أتمشّى في الغرفة مرةً أخرى. حاولتُ تخيل خطواته وهو يستكشف محيطنا. وفي كل مرة تخيلت أنه يعود الآن إلى الكوخ، ساد الصمت. لا يمكنني أن أسمع سوى حفيف الغابة حولي.

ثم، بعد ما يقرب من ساعة أو نحو ذلك -أو لعلها بضع دقائق وحسب- سمعتُ الباب الخارجي يُفتح ثم يُغلق. هرعْتُ والارتياح لعودته يسري بداخلي.

لكن ارتياحي كان قصير الأجل. لم يكن ثمة أحد سوى السيدة الشابة، تجلس على أرضية المارو التي تربط غرفتنا بغرفتها. ظهرها مدارٌ إليّ، وقد بدّلت ملابسها بملابس جديدة. سترتها البيضاء مشدودة على كتفها، وتنورتها الزرقاء الداكنة متجمّعة حولها، وشعرها الأسود يلمع في ضوء الشموع.

تمامًا مثل النصل.

سكين المطبخ على الأرض. كانت ترتجف، وشممتُ رائحة شيء حامض ولانزع. رائحة تحلل أو ربما قيء؟ ثم لاحظتُ شريطًا أحمر يظهر ببطء على جانب سترتها.

همستُ: «أجوما؟ اقتربتُ منها خطوةً: «أجوما؟».

قالت السيدة بصوتٍ مُنْهَك جدًّا، صوتٍ مألوف أعرفه ليس صوت الأرملة: «الأمير هو القاتل». سرت برودة في دمي عندما تعرفتُ عليها. «ومع ذلك ها أنتِ تلحقين بي أنا، أنا لا أصبر على من يتدخلون في شأني».

قلتُ: «كيف عثرتِ علينا هنا؟»، وبينما أتحدث، مدت يدي ببطء نحو خنجري، فأخرجته من غمده، وخبأته تحت تنورتِي.

«شهود. هناك دائماً شهود. الناس رأوك مع المحقق ذي الثوب الأزرق». نهضت الممرضة إينيونج، واستدارت كاشفةً عن ملابسها الأمامية الممزقة والمغمورة بالدماء. استغرقني الأمر دقيقة كي أدرك أنه ليس دمها، لا توجد دماء متجمعة تحت قدميها، أو تتقاطر منها. «لقد لحقتُ بكما، على أمل أن نجد الممرضة مينجي، كي أتخلص منها قبل أن تتحدث إليكما، لكن بعدها ذهبتما إلى القائد تشاي، وحرّضتماه ضدي». قلتُ: «وأنتِ لحقتِ بنا كل هذا الطريق إلى هنا... وقتلتِ صاحبة هذا البيت؟»، ثم اجتاحني الرعب مجدداً... لم يعد إيوجين. التوت ركبتي، وبدأ صوتي حاداً: «أين المحقق سيو؟ ماذا فعلت له؟».

- صديقك مات.

دوى رنين عالٍ في أذنيّ، وأخذ يعلو أكثر فأكثر، حتى إنني لم أعد أستطيع سماع أي شيء آخر على الإطلاق. تعثرتُ ساقِي وأنا أتحرك نحو الأمام، متحرّقةً للاندفاع خارج الكوخ، لكن قبضة قوية مثل الحديد أمسكتُ بذراعي. اندلع ألمٌ حاد من كتفي المصابة. كرزت على أسناني بقوة، ونظرتُ حولي فوجدت نصلاً يتجه مسرعاً نحو ظهري.

لم يمر في ذهني سوى شيء واحد فقط:

إيوجين يحتاجني.

تحركتُ يدي من تلقاء نفسها، وجرح خنجري اليد المُمسكة بي، انزلق النصل نحو اللحم، لحمها ولحمي، ومن ثم تحررتُ.

اندفع الهواء البارد في وجهي وأنا أخرج متعثرةً من الكوخ. أفلت أنينٌ مني حين كدت أتعثّر بشيء في طريقي؛ جثة الأرملة الدامية. أجبرتُ قدميَّ على المضي قدماً. التفتُ الظلال على بصري، لكن رؤيتي اتضحت عندما وصلت إلى آخر مكان رأيتُ فيه إيوجين؛ العصا الصغيرة المستندة على ساق الخيزران: علامةٌ لتمييز الدرب.

نظرتُ خلفي فإذا إينيونج تلحق بي، قبضتها الدامية تتشبث بسيفي الآن.

مررتُ بالعلامة، ثم تسللتُ إلى داخل الغابات التي تلالأت بالأزرق الفاتح تحت سماء المساء، آخر بصيص من الضوء قبل حلول الليل. زحف القلق على جلدي مثل الصقيع، مهدداً بأن يُحجّرني في مكاني، لكنني أخذتُ أنفاساً عميقة محاولةً استيعاب الدرس الذي تعلمته في الهيمينسيو.

الدرس الذي حفرته الممرضة جيونجسو بداخلنا: كلما كانت الظروف حرجة علينا أن نكون أكثر هدوءاً.

نفسٌ عميق آخر، ثم تفحصتُ المكان من حولي. لم يكن هناك جدوى من الاندفاع في اتجاه عشوائي. يجب أن أعثر على العلامة التالية، جُبتُ في المكان بضع دقائق قبل أن أرى عصا أخرى، أطول هذه المرة، مُسندةً إلى صخرة بشكلٍ غريب. أكملتُ في هذا الطريق، ركضاً ووقوفاً حتى وجدتُ علامة أخرى بجوار منحدر صاعد. بعد ذلك، لم تعد هناك علامات.

صرختُ عندما وصلتُ إلى نهاية الطريق: «إيوجين». ثم تجرأتُ على رفع صوتي أكثر بينما كانت الغابة تلوح فوقِي: «إيوجين!».

تحطّم هدوئي. أسرعَت باتجاه المنحدر الذي يزداد ارتفاعاً. جرحَت الأغصانُ وجهي، وطعنت ذراعي، وشقّت تنورتي. ومن وُثم توقفتُ فجأة،

تحركت التربة من تحت قدمي وأنا أنظر إلى منحدر مفاجئ نحو الأسفل، بالكاد أراه وسط الظلال المتزايدة؛ منحدر شديد يزحف هبوطاً، مالت الأشجار، وهبَّت الرياح على وجهي من الأسفل، تحتي محيطاً من سوق الخيزران التي تحفُّ بعيداً في أسفل المنحدر. ارتعشت ركبتاي وأنا أترجع إلى الوراء، فتعثرتُ بصخرة، وسقطتُ على مؤخرتي، وغاصت راحتي في الأرض الرطبة، وعندما رفعت يدي كي أنظفهما، تجمدتُ: كانتا ملطختين بالأحمر.

همستُ وأنا أفحص الأرض أمامي: «رجاء لا». ثمة أثرٌ من الأوراق والأغصان المغطاة بالدماء تؤدي إلى حافة الهاوية. نهضتُ على قدمي، وفكرتُ في النزول إلى الأسفل، لكنني قررت خلاف ذلك، فالغابة تزداد ظلمةً في هذه اللحظة. امتدت الظلال على طول أرض الغابة، وصعدت على الجذوع العتيقة، تبتلع كل شيء تلمسه. زلّةٌ واحدة، وسأتحطم على طول الطريق إلى الأسفل.

رفعت تنورتي، وأسرعتُ بالالتفاف نحو الأسفل حتى ألتمني رئتاي، وفور وصولي إلى أرض الغابة السفلى استدرتُ، وشققتُ طريقي عائدةً إلى الجرف، غير أنني هذه المرة وقفتُ تحت الارتفاع المخيف.

تحت قدمي قبةٌ شرطة، وحزام ذقن من خرز الكهرمان الملوّث بالدماء.

انقبض قلبي وأنا أدفع سوق الخيزران الطويلة. أغصانها تعجُّ بالأوراق اللامعة والطويلة، أوراقٌ كثيفة بحيث إنني بالكاد استطعت رؤية الطريق. زاد خفقان الخوف في صدري عندما خطر لي أنني ربما تجاوزت إيوجين، ولكن الأوراق تكشّفت عن منظر شخص جاثٍ في مجرى مائي متدفق، منحني، ويرتجف بشدة.

«إيوجين!». هرعْتُ نحوه، وجثُوتُ أمامه، استقرَّ نظري على وجهٍ مليءٍ بالجروح والكدمات، وعينين تحدقان إليَّ في خوف صريح. يده اليمنى منسدلةٌ إلى جانبه، مكسورةٌ من المرفق، ويده الأخرى تضغط بقوة على خاصرته. تدفَّق الدم على رسغه، متفرعًا إلى خطوط سميكة غمرت نصف ثوبه.

قال وهو يتنفس بصعوبة: «هيونا.. لا يتوقف».

مسحتُ العرق البارد عن حاجبي: «دعني أر».

حاولتُ أن أبدو أكثر هدوءًا بينما مددته على ظهره بعيدًا عن التيار المتجمّد. لكن الذعر كان ينساب تحت أطراف أصابعي، وأنا أزيل الجزء الأمامي من ثوبه. أزلته بسرعة، ووجدتُ تحته جرحًا عميقًا، جرح سيف فظيع ممتد من أسفل يسار بطنه وحتى أعلى ضلوعه. لا بد من أن الممرضة إينيونج أخذته على حين غرة، هاجمته ثم دفعته نحو المنحدر. قال: «كيف استطاعت أن تعثر علينا؟». قطعتُ شريطًا من تنورتي، ولففته حوله، وربطته بأكبر قدر ممكن من الضغط. لن أدعه ينزف حتى الموت. أردتُ أن أستمّر في الكلام كي أساعده على البقاء واعيًا، وكي أبقى عقلي بعيدًا عن التفكير في أسوأ السيناريوهات: عظام مكسورة، أعضاء متضررة، التهابات مميتة... «لا بد من أنها كانت تراقب أحدنا أو كلينا فترة من الوقت».

لم يكن يستمع، يحدِّق إليَّ بعينين باهتتين. تشنَّجتُ عضلاتُ فكِّه، ويده متشبَّثةٌ بجرحه المضمّد بينما ازداد ارتجافه سوءًا. كان جلده رطبًا وباردًا جدًّا. ماذا أفعل أنا؟ تمنيتُ لو أنني أقدر أن أسأل أستاذًا في الطب أو معلّمتي -أي شخص لديه معرفة أكثر مني- بينما كنت أهمس باسم إيوجين بيأس مرارًا وتكرارًا. كل ما كان بإمكانني فعله هو وضع رأسه على ركبتي، ومشاهدته وهو يتلوى من الألم.

لا أعرف ماذا عليّ أن أفعل لاحقًا. رجاء، أخبرني، لا أعرف ماذا أفعل.
ثم استيقظت الغابة.

تحركت الأوراق بفعل خطي مقتربة.

وصلني صوتٌ أنثويٌّ: «شكرًا لأنك قدتني إلى المحقق».

ظهرت الممرضة إينيونج من الظلام، ووقفتُ وسط بصيص الضوء الأزرق الفاتح، وفي يدها سيف. بدت مختلفة عما كانت عليه في القصر، واهنة جدًا مثل عظمة على وشك الانكسار.

زمجرت كما لو أنها جوميهو، عيناها لامعتان مثل نصلها: «لقد تمنيتُ أن ينزف حتى الموت. لكن الآن، عليّ أن أنهي المهمة. كنتما تريدان التحقيق معًا، والآن سينتهي أمركما... معًا».

19

بقيتُ على ركبتيّ، ذراع مطوية حول إيوجين، والأخرى تلوح مهددةً بالخنجر، كأن هذا كافٍ لحمايته. بقي رأسه ساكنًا على حجري. لم يتحرك، وخفت جدًا أن أنظر نحوه.

صرختُ: «اتركيه وشأنه»، دوى صوتي اليأس في الغابة الفارغة: «رجاء، اذهب وحسب!».

قالت: «كنت سأترككما وشأنكما، لو لم تشقا طريقكما نحو مكتب الشرطة الذي عملت به. أنتما الآن تعرفان الحقيقة. ولهذا سعيتهما إلى القائد تشاي». اقتربتُ أكثر، وأكملتُ: «ما كان ينبغي أن تحاولا إيقافني. حتى أخي لم يحاول أن يوقفني عندما أعطيته خاتم زوجته دليلًا على وفاتها. لقد عرف، لقد عرف، أنه من حقي أن أسعى للانتقام. لا يمكن للمرء أن يعيش مع قاتل أحد والديه تحت سماء واحدة».

هذه مقولة ذكرها إيوجين ذات مرة: «كتاب الطقوس للي تشي».

رددتُ عليها بصوت أجش مفعّم بالمشاعر: «لكننا ممرضات، هل تتذكرين قراءتنا للكلمات صن سيمياو، في الصفحة الأولى تمامًا من موسوعتنا الطبية؟ «الإنسان هو أئمن المخلوقات الحيّة في هذا العالم». كيف... كيف استطعتِ قتل كل أولئك النسوة؟».

أدركتُ أن ثمة فرقًا شاسعًا بين أن أشك في الممرضة إينيونج بناءً على ما أخبرنا به القائد، وبين أن أراها وجهًا لوجه. ما كنتُ لأشكّ بها

إطلاقاً، إنها المرأة الوحيدة التي وثقتُ بها في قصر مليء بالجواسيس. «لا أفهم كيف فعلتِ هذا؟ سيدة البلاط أهني، الممرضة آرام، الممرضة كيونجهي، كل هؤلاء مجرد شاهدات، لم يكن بإمكانهن إنقاذ أمك. حتى لو حاولن الوقوف في وجهه، كان سيقتلن جميعاً...».

همستُ إينيونج بصوتٍ بارد: «أتظنين أنك أفضل مني؟ أنك تعرفين ما الصواب وما الخطأ، وأنني لا أعرف؟ معظمنا يعتقد أنه غير قادر على القتل... حتى يصيبنا المصاب. حتى تتعرض أمك». -صوتها مرهق، كأن صخرة من الألم استقرت في حلقها- «حتى تتعرض أمك، المرأة التي ولدتك، التي ربك بيدها اللطيفة، لقطع رأسها. حتى تعرفي أن ثلاث نساء قاسيات سحبن جثتها بعيداً عن الفناء، وجردنها من ملابسها حتى لا يربط أحدٌ بينها وبين القصر، ثم تركنها في مكان ما على جبل بوجاك. كي تُنسى هناك، كي تأكلها الحيوانات البرية».

ملأت البرودة صدري. لم تخبرني الممرضة كيونجهي بذلك قط. تفتّقتُ تلك الليلة في خيالي مثل القبر: رأيتُ أطياف ثلاث نساء يسحبن جثة مقطوعة الرأس، وهن يمضين عميقاً نحو الجبل، حيثُ تركنها في الفضاء المعزول.

- حينها وحينها فحسب، يمكنك أن تعرفي ما إذا كنتِ أفضل مني. اهتز صوت إينيونج وهي تتقدم خطوة أخرى إلى الأمام، هي الآن على بعد بضع خطواتٍ فقط من الجدول الذي يفصل بيننا. «أظن أن الممرضة كيونجهي لم تخبرك بهذا الجزء، ولا أخبرت سيدة البلاط أهني أخي به. لم تقلْ له أي شيء من ذلك، حتى استدرجتها خارج القصر في ليلةٍ ما، وهددتها بأداةٍ طبية كي أخيفها وحسب. لم أقصد أن أؤذيها قط، لكن حينها أخبرتني بالحقيقة الكاملة. وأنا... أنا أردتها أن تعرف طعم ذلك الخوف. أردتها أن تشعر بما شعرتُ به أُمي».

همست: «لكن الممرضات الطالبات ومعلمتهن لم يستحققن الموت». ردت بحسم: «لقد وقفن في طريقي، عندما هرعتُ سيدة البلاط أهني نحو الهيمينسيو، خرجت المعلمة ورأت وجهي، فاضطرتُّ إلى قتلها. ثم رأت جميع الطالبات ما حدث، وبدأن بالصراخ، فاضطرتُّ إلى إسكاتهنَّ جميعاً. لكنني شعرتُ بالذنب عندما مُتن. شعرته ينخر في عظامي: الرعب مما فعلت. جعلني ذلك أحتقر الأمير أكثر، الرجل الذي يبدو أنه لا يشعر بالندم على الرغم من كل ما فعله».

قلتُ ببطءٍ محاولة كسب بعض الوقت: «إذن، أنتِ من نشرَ المنشورات المجهولة لإثارة الشبهات حوله، وقتلتِ الشاهديتين لإخفائهما جثة أمك...»، اختنق حلقي، وتصاعد القلق في صدري مع تدفق دم إيوجين الدافئ عبر تنورتي. سيموت إذا لم أخرجه من هنا الآن. جلتُ بنظري، متلهفةً لأن أجد أي مهرب. لكن أينما نظرتُ، وفي كل طريق محتمل للهرب، لم أستطع تخيل نهاية لا تُفضي إلى الموت. الخنجرُ الذي في يدي، مهما كان مسبوگًا بمتانة، فإنه لن يُجدي نفعاُ أمام امرأة قضت تسع سنوات من حياتها تتقن فن استعمال السيف.

قالت إينيونج بصوتٍ خشن: «لم أستطع العثور عليها حتى». باتت قريبة جداً الآن. تتدفق مياه الجدول ملامسةً حافة تنورتها. «لم أستطع حتى أن أدفنها بشكلٍ لائق. هذه الحياة التي نعيشها يا ممرضة هيون لا تستحق العيش فيها على أي حال».

ضمتُ إيوجين بين ذراعيّ، أحاول الابتعاد عن ظلها الذي يحوم فوقنا، لكن وزنه سيجعل الهروب محالاً. لا يمكنني إلا أن أضمه أقرب إلى صدري، أحنيتُ رأسي، متمنيةً لو أنني أقدر أن أخبئه بأمان تحت قفصي الصدري، وأحميه تحت عظامي وبالقرب من قلبي، بصرف النظر عما سيحدث لي.

لقد وعدتك بأن أحملك -أغمضتُ عينيَّ بقوة حابسةً الدموع الحارقة- لكن لا أعرف كيف.

ثم هبَّت الرياح، فشملتها مجددًا، تلك الرائحة اللاذعة الحمضية التي اكتشفتها سابقًا في منزل الأرملة. رفعتُ رأسي قليلًا، بينما استيقظ وعيي من سباته: إنها بالفعل رائحة قيء.

همستُ إينيونج: «سأنهي الأمر بسرعة، من أجلنا جميعًا». دوى ضجيج معدني غريب عندما أخرجتُ سيفها مشهرةً النصل الذي تلاًلًا تحت ضوء القمر. «وقتنا ينتهي».

استمرت الرائحة في الانتشار حولي بعد أن اقتربت إينيونج مني. تفتَّح عقلي، هذا الجانب من عقلي الذي يضيء عندما أفتح كتابًا طبيًا، أو عندما أجنو أمام مريض مُعتلٍّ. كلما لعبت لعبة الاستنتاج.

رفعتُ نظري إلى الأعلى على طول إينيونج، بدا وجهها أزرق شاحبًا، لكنه على الأرجح من أثر الشفق المتلاشي. هل أتخيلُ، أم أن وجنتيها متورمتان قليلًا؟ راقبتها وهي تحكم قبضتها أكثر على سيفها، ومررتُ بنظري على يدها الملطخة بالدماء وأعلى كمها، حيث لاحظتُ خدوش أظفار، وبقعًا شاحبة متناثرة على حلقتها وجانبي وجهها، ذلك الوجه الذي كان مُغطى دائمًا ببودرة الجيبون. لقد كانت تخفي هذه الآثار منذ اليوم التالي لمذبحة الهيمينسيو.

«عادة ما تفاجئني مثابة البشر». وضعتُ إينيونج النصل في موضع النبض الخافق على جانب حلقي. ارتجفتُ عندما شعرت ببرودة الفولاذ على جسدي، لكن هذه البرودة حفزت عقلي كي يقلِّب أسرع وأسرع بين صفحات كل ما درسته: «نادرًا ما نموت فورًا، لكن إذا بقيت ثابتةً جدًّا يا ممرضة هيون، فلن تشعري بالألم تقريبًا. أعدكِ رمشة عين وتموتين».

بقع. مثل قطرات المطر على طريقٍ ترابيٍّ.

توقف عقلي، وصلت إصبعي إلى صفحة.

ببطءٍ رفعتُ رأسي وحدّقتُ إلى إينيونج، ربما أكون مخطئة. على الأرجح مخطئة. ومع ذلك، البقع موجودة بلا شك. وبينما كنت أستذكر كل العلامات والأعراض صعقتني الحقيقة.

همستُ: «انتظري، أنتِ تعرفين ما خطبك، أليس كذلك؟».

شدتُ قبضتها على السيف، وظهر صدعٌ صغير في تعابير وجهها الجامدة.

«نحن الاثنان يوينيوس، لقد تدريبنا على اكتشاف علامات الموت». تجرأتُ، ووضعتُ يدي بين حلقي والنصل. لم تتزحزح إينيونج. «أنتِ مسمومة، أليس كذلك؟».

انفجرتُ قائلةً: «يجب أن أقتلك»، غيّرتُ زاوية سيفها، مُهددةً بقطع أصابعي مع حلقي: «سأفعل، إذا تفوهتِ بكلمةٍ أخرى». ضغطتُ عليها: «من فعل ذلك؟ من سمّمك؟».

امتدت فترة صمت طويلة، صمت ثقيل جدًّا حتى إنه غطى الأرض الصخرية. اختفت آخر أشعة من غروب الشمس، مبتلعة الغابة في ظلام دامس، تاركة فقط شذرات من الرؤية، شذرات من جذور الأشجار المضاءة بضوء القمر، شذرات من وجه إينيونج المشوّه، شذرة من سيفها الذي ما يزال مرفوعًا وجاهزًا للضرب.

- كذبت.

قالت وصوتها يتقطّع، وأفلتتُ منها ضحكة مرتجفة: «أخي حاول إيقافي. توسّل إليّ بعد أول حادثة قتل. ومع ذلك نحن عائلة، فلم يقدر على تسليمي، لذلك سمّمني».

مزقتني كلماتها: الطبيب خون أخوها، هو قاتلها. لقد أحب أهني كثيرًا، الفتاة التي أصبحت شاهدة صامتة.

قلت بهدوء: «إذا كنتِ محظوظة فأمامكِ بضعة أيام وحسب للعيش. أنتِ تستخدمين آخر أيام حياتك لقتل الشخصين الوحيدين القادرين على تحقيق العدالة لأمك. تستخدمين آخر أيام حياتك لإدانة ممرضة بريئة، وجعلها كبش فداء لولي العهد. لعلكِ أقوى مني الآن، لكنكِ لن تكوني قوية بما يكفي لتؤذي الأمير. ليس وأنتِ على هذه الحال. غضبك لا يكفي».

انتظرتُ محدّقةً إلى عينيها المحترقتين. ثم أضفتُ: «لكنه قد يكفي... لخلق شرارة. لست الوحيدة التي خسرت شخصًا عزيزًا عليها. الأمير جانجهيون قتل والد المحقق سيو». اهتز النصل في يدها: «والده؟».

قبضتُ على أسناني المصطكة، وحاولت أن أبدو حازمة: «والد المحقق سيو كان محققًا ملكيًا سرّيًا، أُرسِل إلى مقاطعة بيونجان، إلى حيث حمل الأمير... حمل رأس أمك. وهناك قتل الأمير والده، وقرويًا آخر. قال لي المحقق: إنه إذا لم يستمع الملك له، سيبلغُ فصيل التعاليم القديمة بكل جرائم الأمير. وإذا أردتِ أن تحصل أمكِ على العدالة، يجب أن تعيشي طويلًا بما يكفي كي تشهدي».

حبستُ أنفاسي، محاولةً إيقاف الارتعاش العنيف في أطرافي. مررتُ يدي على وجه إيوجين، ووضعت أصابعي على حلقة باحثة عن دقة قلب. بالكاد أحس بها، ضعيفة جدًا مثل همسة وداع. اجتاحت موجة ساخنة من الألم صدري.

زمجرتُ قائلةً: «خذي قرارك!»، لم أعد خائفة. اجتاح الغضب صوتي وأنا أفحُ في وجهها: «إذا أردتِ رؤية أمك في الحياة القادمة من دون

ندم، يجب أن تترك المحقق سيو يعيش. إذا لم تفعل، سنلعن جميعاً، وسيستمر الأمير في القتل، ثم في يوم ما سيصبح الملك، ولا يمكن المساس به».

رنَّ المعدنُ على الصخور، أسقطت إينيونج سيفها. يدها معلقة بارتخاء إلى جانبها. «ظننتُ، أنه ربما فور موتهم جميعاً، سيخفُّ الألم قليلاً... أُمي هي الوحيدة التي أحببتي. دائماً ما كانت تقول لي كيف أحببتي منذ اللحظة الأولى التي وُلدت فيها. وأنا أظل أفكر كيف لم يحبني أحد في هذا العالم، كما أحببتي هي».

بالكاد كنت أستمع لما تقول. بسرعة، أزلتُ رِبطة الحبل من خصر إيوجين، الحبل الذي أعرف أن الضباط يستخدمونه للقبض على الجناة. قلت وأنفاسي تؤزُّ من القلق: «مُدِّي رسغك». كل ثانية تمرُّ هي ثانية يمكن أن تغير إينيونج فيها رأيها. «إذا كنتِ تريدين العدالة، يجب أن تسلمي نفسك».

قالت: «سأفعل»، ثم تمهلت: «سأفعل، لكن لدي طلب».

سألتها: «ما هو؟»، سأفعل أي شيء.

تحرك طيف إينيونج، ثم وصل إلى أذني صوت ورقة مجعّدة. قالت: «معي خطاب قديم من أُمي، لقد حملته معي دائماً منذ دخلت القصر. هل تدفينينه معي؟».

- سأفعل.

لم يكن القمر فوقنا ساطعاً، بل كان أشبه بجمجمة مكسورة معلقة في السماء، ومع ذلك فهو ساطع بما يكفي لرؤية الورقة المطوية. فور أن أخذتها، حرّكتُ إيوجين بحذر جانباً، ووقفتُ كي أربط رسغيها بأفضل ما أستطيع. التقطتُ سيفها، وقُدتها بحذر إلى شجرة، وقيدتها بها.

قالت إينيونج بصوتٍ هادئٍ وهي تشاهدني: «إذا لم أعش، أخي سيشهد نيابة عني. أخبريه أن أخته الكبرى أذنت له».

خبأتُ السيف، وهرعتُ نحو إيوجين، ململةٌ إياه بين ذراعيّ. تذكّرتُ السؤال الذي أراد أن يعرف إجابته منذ بداية التحقيق. نظرتُ خلفي، وسألتها: «لماذا ما تزال الممرضة مينجي حيّة؟ كيف نجت من المذبحة؟».

بعد سكتة ثقيلة، أجابت إينيونج: «لقد نادتنني «أومًا». عندما كنت على وشك أن أقتلها، هذا ما قالته: أُمي».

أقسمتُ لنفسي بأنني سأخبر إيوجين بكل هذا. لكن عليّ أن أتأكد من بقاءه حيًّا أولاً.

قلبته بحذر على ظهره، ووضعتُ ذراعيّ تحت كتفيه، وصررتُ أسناني، وأنا أرفعه كي ينهض على ركبتيه. ثم أسندته على ظهري، أشعر بنبضه الضعيف على جسدي. ملتُ إلى الأمام تحت ثقل وزنه. تأجج الألم في كتفي المصابة، وشعرتُ بأن عظام رجليّ تتكسر تحتي عندما نهضتُ على قدمي.

خشيتُ أن أنهار مع كل خطوة، لكنني شعرتُ بعينيّ إينيونج المؤرقتين تسبران أغوارنا.

أردتُ أن أبتعد عنها بقدر ما أستطيع.

ذراعا إيوجين معلقتان على جانبيّ، يداها الداميتان تتمايلان مع خطواتي المتعرجة. خصلات شعره الأسود مفكوكة من ربطتها، ملتصقة بجانبيّ وجهي ممتدة إلى حلقي. كان ساكنًا جدًّا، أخافني ذلك: اخترق الرعبُ ضبابَ الإرهاق المشوّش بينما كنتُ أتقدّم بخطوات صغيرة مؤلمة. نظرتُ إلى الأعلى بيأس نحو المنحدر المظلم الذي عبّرتَه سابقًا.

تبعته من الأسفل حتى وصلت إلى حيث تقاطع طريقي مع المنحدر الصاعد، حيث علامة الدرب التي وضعها إيوجين.

بينما أمشي على الطريق الذي تركه لي، بحثت في كل قطعة أرض مضاءة بنور القمر عن نباتات مفيدة. طالما كانت الغابة مخزنًا للأدوية، خاصة مع قدوم الربيع مبكرًا. على بُعد، استرعت انتباهي شجرة مترامية الأطراف. توقفت كي أتفحصها بقدمي وأنا أعاني في تنفس الهواء، بينما العرق يتسرب إلى عيني، وذراعاي ترتجفان تحت ثقل إيوجين. سقط ضوء القمر على ورود صفراء، وكرات حمراء شائكة من البايماالجبي.

- هيوناه.

في البداية، ظننته صوت الريح، لكن عندما سمعتُ صوته مجددًا، خشنًا وغلظًا: «هيوناه».

مكتبة

t.me/soramnqraa

قفز قلبي ملتويًا بين الألم والبهجة.

همس: «اتركيني هنا وحسب».

- ألا تعرفني يا ناوري؟ أنا بايك-هيون.

طرفتُ برمشي لأزيل العرق من عيني. وبكل ما بقي من قوتي، رفعته لأعلى على ظهري، وواصلت. يجب أن أعود كي أحضر النبتة لاحقًا. ثم أكملت: «ما إن أعقد عزمي على شيء، لا أتوقف قبل إنجازه».

اهتز صوتي، وعندما خطر لي أنني قد أخسره، تقطّع صوتي وأنا أقول: «رجاء، ابقَ حيًا وحسب. لا تتخلّ عني».

ينبغي للسنوات السبع من الدراسة أن تكون قد أعدتني لهذه اللحظة. ومع ذلك أنا لم أنقذ حياة أحد من قبل. لقد ساعدتُ، لكنني لم أكن وحدي في أي مرة. بينما استخدمتُ آخر ذرة من قوتي -القوة التي لم

أكن أعرف أنني أمتلكها- وضعتُ إيوجين على أرض الكوخ الفارغ،
مدركةً أنه لا يوجد وقت للبحث عن طبيب.

غضضتُ الطرف عن الارتجافات التي تسالتُ إلى أعلى أطرافي،
وذكَرتُ نفسي بما كنتُ أفعله دائماً في الهيمينسيو، عندما تتطاير
الأوامر المذعورة، وتهرول الممرضات مثل دجاجات مقطوعات الرأس
لأن المريض يترنَّح على حافة الموت.

دائماً ما كانت الممرضة جيونجسو تذكّرني بذلك: يد هادئة وثابتة،
وذهن هادئ وثابت.

هدأتني كلماتها الآن.

لففتُ جسد إيوجين البارد بطبقة بعد طبقة من كل البطاطين
التي عثرت عليها، ثم ركضتُ، وعدتُ بالمكونات الطبية. أوراق شجيرة
البايمدالجي، وأزهارها الصفراء التي قسّمتُها إلى كومتين أمامي، لترتيب
أفكاري.

المرهم، عليّ أن أحضّر ذلك أولاً.

أخذتُ وعاءً من المطبخ، استخدمتُ أسفله لسحق الأوراق الطازجة،
ثم وضعتُ المعجون الناعم الرطب على جرح إيوجين من دون نزع
شريط تنورتي الذي يساعد بالفعل على تخثّر دمه. أخذتُ لفات جديدة
من الضماد من حقيبة تنقلّي، واستخدمتُ بعضها لربط صدره وبطنه.

بعدها، انتقلتُ إلى ذراعه اليمنى، حيث برز العظم من زاوية غريبة،
فأعدته إلى مكانه جافلةً عندما رأيتُ وجهه يتلوى من الألم. ثم وضعتُ
طبقةً سميكة من المعجون على ما تبقى من الضماد، ولففته حول
ذراعه. ثمة خاطر عالق بذهني طوال الفترة التي أعمل بها: ربما لن
تحرك ذراعه اليمنى بنفس الطريقة التي كانت عليها من قبل.

بينما تركت المعجون يتغلغل داخل الجرح، هرعْتُ إلى المُطبخ مرَّةً أخرى. وضعتُ قِدْرًا صغيرًا أسود في تجويف الموقد المشتعل بالفعل، غرقتُ الماء فيه، ثم وضعتُ أزهار البايملدالجي. ما إن غلت الطبخة الدوائية، سكبتها في وعاء وتمكنتُ من تقطيرها في فم إيوجين، أملَّةً أن يؤدي هذا إلى تحفيز دورته الدموية بشكل أفضل، مُسرِّعًا عملية الشفاء الطبيعية في جسمه.

بعد أن انتهيتُ من كل شيء، بعد أن استخدمتُ كل معارفي، واستنزفتُ وقفتُ أرتجفُ، ثمَّ استلقيت على الأرض أمام إيوجين. كنا نحن الاثنان فقط في الكوخ الصغير، ومع ذلك، فإن ذكرى الممرضة إينيونج بقيتُ جاثمةً فوقِي، كأنها تجلس وراءنا مباشرة في الظلال. تذكرني وعدك. أكاد أسمع صوتها يناديني من الغابة.

لقد كنت متعبه جدًا فلم أقوَّ على البكاء، أو التفكير في كل ما ينتظرني. لاحقًا، يجب أن أركب باتجاه مكتب الشرطة لأطلب المساعدة، وأمل أن تكون الممرضة إينيونج ما زالت مربوطة في الشجرة ولم تهرب. لاحقًا عليَّ أن أجد طبيبًا ماهرًا يقطِّبُ جرح إيوجين الكبير. لاحقًا، عليَّ أن أفكر فيما ينتظرنا في العاصمة.

لكن الآن، دسستُ الخطاب بعيدًا، وتكوَّمتُ إلى جانب إيوجين، واضعةً أصابعي الثلاثة على نبضه، عند المواضع الثلاثة المهمة في رسغه: تشون، جوان، شوك. أغمضتُ عينيَّ، خائفة من إبقائهما مفتوحتين، واستمعتُ عبر أناملي إلى خيوط النبض الثلاثة، همسات تحكي قصة واحدة:

قصة وجودنا الهش، ومع ذلك إصرارنا على البقاء.

قصة ألامنا السرية، وشوقنا إلى الحب.

هذه قصة كل من عاشوا، وشعرتُ بغلاوتها بعمقٍ شديدٍ وألمٍ جَمٍّ،
عندما خبت إحدى نبضاته تحت أصابعي؛ خَبْتُ وَخَبْتُ مثل نبض
الضحايا المقتولين، الذين كنت أضطر إلى قراءة النبض من أيديهم
الباردة. الكثيرون ماتوا، ذهبت حياتهم في لمح البصر، استهلكهم
غضب شخص آخر.

وأقسمتُ لنفسِي: يجب أن تتذكريهم دائماً يا هيونا. لا تنسي أبداً.
ضغطتُ بقوةٍ على عينيّ، وصلَّيتُ ألا يسكتَ نبضُ إيوجين بين يديّ.
صلَّيتُ ألا يصبح شخصاً آخر أحتاج إلى تذكره.

خاتمة

لقد وصلت أخبار جرائم الأمير جانجهيون، وانتقام الممرضة إينيونج للقصر في آخر المطاف. بحلول ذلك الوقت، كان قد مرَّ أسبوعٌ على عودتنا من جوانجغو، ويومان منذ أن اعترفت الممرضة إينيونج، وأُدينَتْ. لقد ماتت قبل تنفيذ حكم الإعدام.

مع رحيلها وبقاء إيوجين في حالةٍ ضعيفة، أنا التي استدعاها أعضاء فصيل التعاليم القديمة إلى القصر. كان عليَّ أن أشهد ضد ولي العهد، وفي تلك اللحظة، عندما جثوثُ في الساحة أمام الملك يونججو، ساردةٌ كل ما اكتشفته في أثناء مساعدتي للمحقق، شعرتُ بأنني أقترُبُ بشكلٍ خطِرٍ من نهايتي: يمكن بسهولة لِيُ غُنقِ الحقيقة، وتحويلها إلى افتراء، والافتراء ضد الأمير يعني الموت. لكن جلالته أظهر لي رحمةً واسعة، ووصفني بأنني واحدةٌ من الرعايا المخلصين، لأنني أَعْلَمْتُه بما أخفاه القصر عنه.

في تلك الليلة، تساءلتُ وأنا أغادر العاصمة: ما الذي ينتظر ولي العهد جانجهيون؟ وهل ستجدُ الممرضة إينيونج وأمها الراحة أخيرًا، أم ستظل روحاهما تطوفان حول المملكة إلى الأبد مليئتان بالهان: الحزن العميق، السخط، الجزع، الغضب البائس. كل ما أعرفه الآن هو أنني فعلت كل ما بوسعي كي أحافظ على وعدي لها.

توقفتُ عند الشارع الذي دُفنت فيه الممرضة إينيونج. لأول مرة منذ تلقيت رجاءها، فتحتُ الخطاب المجعد كي أقرأه قبل أن أدفنه معها. رفعتُ الورقة تحت ضوء النجوم، وعبستُ عندما لاحظتُ كيف بدا الخط مألوفًا. استغرقني الأمر دقيقة كي أدرك السبب؛ إنه الخط الأصلي الذي حاولت إينيونج تقليده في المنشورات المجهولة التي وزَّعتها.

إينيونج...

أنا سعيدة لأنني علمت من خطابك أن كل أمورك بخير. عندما تكون ابنتي بخير، فأنا أيضًا أكون بخير.

أرسل لكِ حبي مع ربطة قطن عالي الجودة، معبأ بإحكام، ومربوط بالخيط. سأزورك خلال احتفال تشوسوك⁽¹⁾. سأتوقف عن الكتابة الآن، رغم أن لدي الكثير لأقوله.

أوما، الخامس والعشرون من القمر الخامس⁽²⁾.

أطلقتُ زفرةً واهنة، أطبقت الكلمات على صدري مثل كرة حديدية. لقد كانت رسالة عادية بين أمٍّ وابنتها. ومع ذلك، فإن العادي كما أدركتُ

(1) أحد الأعياد الكورية المهمة، ويعني عيد الشكر، أو عيد الحصاد، يقام في منتصف الخريف لشكر الآلهة على موسم الحصاد الجيد. (الترجمة)

(2) أوما: ماما بالكورية، والأرقام التي بعدها طريقة كتابة التاريخ الكورية القديمة. (الترجمة)

يَصْبُحُ كَنْزًا عَزِيزًا عِنْدَمَا يُسَلَبُ... يُقَطَّعُ، يُمَزَّقُ، وَيُتْرَكُ كِي يَتَعَفَنُ فِي
الْجِبَالِ مِثْلَ وَالِدَةِ إِينِيونَج.

مَا كَانَ يَجِبُ أَبَدًا أَنْ تَمُوتَ.

هَمَسْتُ وَأَنَا أَحْفَرُ حَفْرَةً صَغِيرَةً فِي الْأَرْضِ، وَأَدَسُ فِيهَا الرِّسَالَةَ:
«أَتَمْنَى لَكُمْ الْأَفْضَلَ فِي الْحَيَاةِ الْقَادِمَةِ». سَوَّيْتُ التُّرَابَ فَوْقَهَا مَرَّةً
أُخْرَى، وَبَقِيتُ سَاكِنَةً، قَلْبِي مَثْقُلٌ جَدًّا وَلَا أَسْتَطِيعُ التَّحْرُكَ.

الْعِزَاءُ الْوَحِيدُ الَّذِي اسْتَطَعْتُ أَنْ أَجِدَهُ هُوَ فِي تَخِيلِ حَيَاتِهِمَا الْقَادِمَةِ.
رَبَّمَا سَتَفْتَحُ إِينِيونَجُ عَيْنَيْهَا فَتَجِدُ نَفْسَهَا طِفْلَةً مَرَّةً أُخْرَى تَنَامُ بَيْنَ
ذِرَاعِي أُمِّهَا، أُمَّ بَوَاجِهِ دَافِئٍ وَمُبْتَسِمٍ، تَدْنِدُنُ لَهَا. سَيَعِيشَانِ الْحَيَاةَ
وَيَكْبُرَانِ مَعًا، وَهَذِهِ الْمَرَّةُ -رَجَاءٌ، هَذِهِ الْمَرَّةُ وَحَسْبُ- تَخْتَارَانِ طَرِيقًا
مَخْتَلَفًا.

الطَّرِيقُ الَّذِي لَا يُوْدِي إِلَى الْقَصْرِ.

لَا أَنَا وَلَا إِيوجِينُ نَهِبْنَا إِلَى مَهْرَجَانِ فَنُوسِ اللُّوتِسِ. لَقَدْ غَادَرَ
الْعَاصِمَةَ إِلَى مِقَاطَعَةِ جَانْجُوونِ الْجَبَلِيَّةِ، حَيْثُ أَخَذَهُ عَمَهُ الْقَلْقُ إِلَى
هَنَاقِ بِنَاءٍ عَلَى نَصِيحَةِ الطَّبِيبِ، حَيْثُ يَأْمَلُ أَنْ تَدَاوِيهِ الطَّبِيعَةُ، وَتُسَاعِدَهُ
عَلَى الشِّفَاءِ. أَمَّا أَنَا، فَقَدْ تَجَنَّبْتُ الْإِحْتِفَالَ، مَدْرَكَةً أَنَّ رُؤْيَا الْفَوَانِيسِ
سَتَجْعَلُ غِيَابَ إِيوجِينِ أَشَدَّ إِيْلَامًا.

اسْتَطَاعَ أَنْ يَرْسِلَ إِلَيَّ رِسَالَةً مَكُونَةً مِنْ كَلِمَتَيْنِ بِالْكَادِ مَقْرُوءَتَيْنِ:
أَنْتَظِرِي مَجِئِي.

لَمْ أَرْسِلْ إِلَيْهِ رَدًّا، لَمْ أَعْرِفْ مَاذَا أَقُولُ. بَدَلًا مِنْ ذَلِكَ، أَنْتَظِرُ كُلَّ يَوْمٍ
أَنْ تَأْتِيَنِي جِيونُ بِمَزِيدٍ مِنَ الْأَخْبَارِ فِي مَنْزِلِ الْمَرْمُضَةِ جِيونَجِسُو، فَأَنَا
أَعِيشُ مَعَهَا الْآنَ، أَسَاعِدُهَا فِي أَعْمَالِ الْمَنْزِلِ، فَمَا زَالَتْ تَجِدُ صَعُوبَةً

في المشي. لقد دعنتني للبقاء معها منذ أن خسرتنا منزلنا. لم يُغيّر أبي رأيه بخصوص طردنا منه، حتى بعدما حُلَّت القضية. بدتُ أُمي سعيدة جدًا من دونه، على الرغم من حياتها الجديدة: خادمة في خان. صاحبة الخان، مدام سونج، صديقتها القديمة، جيسينج أخرى متقاعدة مثل أُمي.

سألتني أُمي عندما زرتها هناك: «لا أخبار بعد؟ ألم يخبرك المحقق متى سيعود؟».

أجبتُ: «ليس بعد».

جلسنا على منصة مرتفعة في فناء الخان الخلفي قرب المطبخ. ثمة سلال ملأى بالخضروات قَطَعَتها أُمي، ورتبتها على هيئة جبال صغيرة، وما تزال تُقَطَّع المزيد. تقطع وتقطع... طق... طق... طق. تُقَطَّع ببطء، وبحذر، ما تزال حديثة العهد بهذا العمل. انخفض حاجباها وهي تُركِّزُ، وجهها مشرقٌ مفعمٌ بالحيوية، وشعرها منسدلٌ يُطَيِّرُه نسيم الجبل.

من المبهج رؤيتها على هذه الحال؛ لم تعد محبوسةً في قفص من صنع يديها.

بدتُ أكثر ارتياحًا في تعاملها مع نفسها ومعني في كل مرة أزورها. كانت في كل زيارة أيضًا تنفعل عليّ أكثر: لماذا لم تأكلي بعد؟ هكذا تُقرِّعُني، ثم طوال فترة ما بعد الظهر تظل تضايقني بالحديث حول أهمية تناول ثلاث وجبات يوميًا، ثم في زيارتي التالية، تصيرُ المضايقة حول شيء آخر. واليوم المضايقة تخصُّ المحقق.

سألتُ وهي تنظر نحوي: «حين يعود الجونجساجوان، ماذا سيحصل؟ التحقيق انتهى. ولن يعود الأمر كما كان من قبل».

مددتُ يدي نحو حبة ثوم، ومن دون هدف انتزعتُ الطبقة الورقية الرقيقة، أحاولُ ألا أسمح لكلماتها بأن تزعجني. تضايقني أُمي في بعض

الأحيان بأسئلتها، ومع ذلك، أجدُ فيها متعةً غريبةً: أن أنزعجَ عوضًا عن أن أدوق الصمت الرسميَّ القاسي الذي كبرْتُ عليه.

قالت: «أنا فقط...»، تنهَّدتْ، ثم أكملتْ: «كلُّ ما في الأمر أنني لا أريد أن أراكِ مجروحة أو محبطة».

تأملتُ كلماتها دقيقةً: «مهما يحصل، الحياة تستمر، أليس كذلك؟»، حياتك أنتِ استمرَّت. «سأكون بخير، إيوموني. كما أنني بالكاد أفكر فيه هذه الأيام».

قوّست أُمي حاجبيها: «لكنك تنتظرين أخباره من جيون كل يوم». قلتُ بإصرار: «من باب الفضول وحسب، كي أعرف كيف تسير أموره. مثلما قلتِ، التحقيق انتهى، وانتهى منذ أشهر. على الأغلب أنه تابع حياته، وأنا أيضًا مضيت قدمًا، أنا بخير».

قالتْ: «أنتِ لا تبدين بخير. لماذا لا تكتبين إليه؟ أليس هذا ما تقول لك جيون دائمًا أن تفعلينه...».

- لن أفعل.

هكذا قلتُ لها بينما كانت الحقيقة تؤلمني؛ لقد استجمعتُ شجاعتي كي أكتب إليه مرةً واحدةً، ثم مزقتُ الرسالة، خائفةً من أن يكون قد نسيني، وخائفةً بالقدر نفسه من أن يكون ما يزال مهتمًا.

- أنا لن أطارد رجلًا.

هزّت أُمي رأسها مقطّعةً بلسانها وهي تعود إلى عملها. غمغمتُ: «أنا لا أفتقد أيام شبابي إطلاقًا، تلك الأيام الفوضوية المليئة بصراعات غير ضرورية».

- أجومًا.

تركض خادمة صغيرة نحو أمي، ثم أشارت بسرّية خلفها: «ثمة رجل غريب يتسكع عند السور. إنه يحدّق إليك منذ فترة طويلة».

ألقيت نظرة خاطفة على ما وراء صف الأواني البُنْيَّة اللامعة. هناك، وراء سياج الأشجار، يقف أبي إلى جوار شجرة. وقفت أمي فوراً، غمغمت بشيء يوحي بعدم رغبتها في أن ترى وجهه مجدداً وهي تمشي مبتعدةً. لكنني بقيتُ أراقب الرجل الذي دَمَّر حياتي بلا تردد، وهو يتمشَّى ويدخل من البوابة الخلفية لفناء الخان.

في اليوم الذي استُدعيت فيه إلى القصر، حكيتُ كل تفاصيل التحقيق، بما في ذلك أن أبي كان حجة غياب الأمير جانجهيون. فجرّد الملك أبي من لقبه عقاباً على حجه للأدلة. منذ أسابيع الآن وأبي يهرعُ إلى بوابة القصر كل يوم -إلى حيث يتوقَّع أن يأمر الملك بنفيه، أو إعدامه- وينتظر في المطر، والشمس، والرياح.

- هيوناه.

أبي واقفٌ أمامي الآن، قبعة السيد النبيل معوجّة، وثوبه قذر. لم يبد مختلفاً عن أي عامّي. جلس أخيراً على المنصة بعيداً عني بما يكفي، بحيث يمكن أن يجلس بيننا ثلاثة رجال.

ناداني مجدداً، وسرت رعشةً في صوته: «هيوناه. لقد أكرمني الملك جداً بإعادتي إلى منصبِي، وقال: إن ذلك كله بفضلك. ماذا فعلتِ؟».

انتزعتُ قشرة الثوم، وقلتُ ناظرةً إليه أحكي ما حصل وحسب: «لقد عرضَ عليّ الملك أن يكافئني على قولي الحقيقة. وقد طلبت من جلالته أن يظهر لك كرمه». انعقد حاجباه بشدة، وازداد وجهه الشاحب شحوباً. قال أبي ناظراً في عينيّ محاولاً سبر أغواري، كأنه يحاول اكتشاف مخطط في ثنايا كلماتي: «لكنّ كنتِ تقدرين أن تطلبي أي مكافأة، كان

باستطاعتك أن تطلبي استعادة منصبك. لماذا طلبتِ إعادتي أنا إلى منصبي؟».

بقيتُ ناظرةً إليه بهدوء، إلى الرجل الذي دائماً ما ذكّرني بالشيء الذي لن أملكه أبداً: أبٌ محبٌ. لقد انقطع حبل الود بيننا منذ فترة طويلة، وأدركتُ الآن أن التعلّق به فترة أطول سيتحول إلى كراهية؛ وهذا قد يُشوّهني.

قلتُ أخيراً: «لأنني قررت في ذلك اليوم، ذلك اليوم وحسب، أنني سأكون ابنتك للمرة الأخيرة».

امتلاّت عيناه بنظرةٍ مهزومة تخللها الندم. حاول أن يُعدّل وضع قبعته، ثم تحدث هامساً: «أظنُّ أنني مدين لك باعتذار. أنا... أنا آسف». دمعتُ عيناى، وآلمني حلقي، واحتبست كلماتي. لقد تأخر في اعتذاره كثيراً جداً. لقد فات الآوان، وفات.

ناداني: «هيوناه»، في صوته نبرة حزن وتلعثم. ثم، كأن إدراكه لما قلت قد صعقه، أغمضَ عينيه دقيقةً، ثم همَس: «يا ممرضة هيون». ابتلع ريقه بصعوبة، ثم نظرَ إليّ، وفي نظرتِه هدوء جديد، وقال: «عندما أحتاج إلى نصيحة طبية، هل أستطيع أن أزورك؟ صحتي لم تعد كما كانت من قبل...».

دفعْتُ جانباً كل عواطفِي، وأومأت له بإيماءة صغيرة. لقد قطعْتُ حبل الوصل معه بصفتنا ابنة وأباه... لكن ربما نقدرُ أن نتعامل مثل يوينيو ومريض.

جلسنا معاً على هذه الحال فترة طويلة؛ لم ننطق بأي كلمة. حوَلْتُ نظري نحو السماء، لقد هدأ الألم في صدري، لقد انتهى الوز. هذا كافٍ. سيكون كافياً.

تجلّت ملامح أكتوبر في روعة القيقب والجنكة الصفراء الزاهية. مرّت ثمانية أشهر على مذبحة الهيمينسيو، وهي فترة كافية كي يندمل ويُشفى الجرح النازف الذي خلّفته المذبحة، والآن أصبح الجرح وردياً ومؤلماً قليلاً عند لمسه.

بالكاد نجا الطبيب بعد أن جلدوه عقاباً على زواجه من سيدة بلاط، وصار يعمل في عطارة في مكان ما من جزيرة جيجو الجزائية. أما مدام مون فقد خسرتُ حظوة الملك، لكنها بقيتُ في القصر. استمرّ القائد سونج بحراسة منصبه في المكتب بعناد، ما يزال يُرهّب الضعفاء، رغم الإشاعات المتنامية بأن جلالته يعتزم استبداله. عادت الممرضة جيونجسو إلى التدريس، كما عادت مينجي إلى مكانها بصفقتها ممرضة طالبة. أما جيون، فقد استقالت من القصر لتلحق بي في الهيمينسيو.

بدت الحياة طبيعية تقريباً مرة أخرى.

توقفتُ في أثناء سيرتي عبر السوق أمام مرآة برونزية منصوبة للزبائن، ممن يرغبون في تجربة حُلّي الشعر. ملّتُ إلى الأمام، وعدلتُ وضع «الجاريمما» السوداء على رأسي. لم أعد أشعر بثقل القطن. عاد شعوري بثقله بالضبط كما يُفترض به أن يكون: شريطٌ طويل من القماش الأسود، خفيفٌ بما يكفي بحيث تُحرّكه الرياح من خلفي.

تعلّمتُ أن بعض الأحلام مكتوبٌ لها أن تتلاشى، وأن التخلي عنها لا يعني التخلي عن نفسي، بل التحرر من الحياة التي تخيلتُ أنني أرغب فيها. لقد أحرزنتني الخسارة في البداية، لكن مع تلاشيها ببطء... ببطء جداً، أزهَر حلمٌ جديد؛ حلمٌ أهدأ، أقلُّ بؤساً، استفاق على رماد أولئك الذين ماتوا في المذبحة. لكنه أيضاً حلمٌ لوّنَ حياتي بألوانٍ أعمق وأكثر إشراقاً، وملأها بروائح أغنى، ونسماتٍ دافئةٍ من الرضا.

عندما غادرتُ الكشك، وواصلتُ طريقي، فتحت كتابًا، مخيَّطًا على طريقة الغرزات-الخمس، وألقيتُ نظرةً على نص أخطتُ لتدريسه لمجموعة من الممرضات الطالبات اللاتي ترجينني لأدرّسهن. لقد انتهيتُ من مراجعة نص «التعلُّم العظيم» معهن، والآن انتقلنا إلى نصوص طبية ذات عناوين صعبة مثل محتواها: Injaejikjimaek, Tonginch'imhyölc'imgugyöng, Kagamsipsambang, T'aepyönghyeminhwajegukbang, Puinmunsansö. هذا النص الأخير هو الذي سأدرّسه اليوم، وهو الذي قضيتُ الأيام الماضية أراجعه أنا نفسي. كما قالت الممرضة جيونجسو: المعلم الجيد يجب أن يُدرّس بدقة ومن كل قلبه، حتى يتسنى للطالبة أن تتشكّل، وتتحول إلى يوينيو بكل معنى الكلمة.

قلبتُ إلى الصفحة التالية وتمهّلتُ، حوّلت نظري من النص إلى مكتب الشرطة. لقد تحوّل الأمر إلى عادة على مر الشهور؛ في كل مرة أمر من هنا أنظر باتجاهه، لكنني لم أعد أبحث. وكما العادة نفسها، أنزلتُ نظري إلى النص، ثم تجمّدتُ. لا بد من أنني توهمته: لمعانُ حريرٍ أزرق في طرف عيني.

رميتُ نظرةً خاطفةً إلى الأعلى مرة أخرى.

هناك، على الجانب المقابل من الطريق الواسع، وقف شابٌ مألوفٌ محاطٌ بمجموعة من الضباط. بدا مشرقًا وبصحة جيدة، بشرته البيضاء تتباين مع سواد حاجبيه. حين رأيتُ إيوجين اجتاحتني ذكرياتٌ مشرقةٌ تتراقصُ: وُعُودُنا الهامسة في الخان بين الجدران المغطاة بالورق، ليالي نقاشاتنا الطويلة، الأسئلة التي طاردتنا، القُبلة على وجنتي... تلك التي ابتعدتُ عنها، الإحساس بدقات قلبه وهي تذوي على ظهري وأنا أحمله عبر الغابة.

لم أستطع إرغام نفسي على الرحيل، نظري مُثَبَّتٌ عليه بينما تمرُّ الحشود: فلاحون يقودون عربات تجرها الخيول، نبلاء في قبعاتهم السوداء وأثوابهم الفضفاضة، شابات صغيرات يختبئن تحت أوشحة «الجانجوت». عندما رأيتُ إيوجين يضحك على شيء ما، ألمني صدري، وملأت الرطوبة عينيَّ. جزء مني مقتنع بأن هذه هلوسة... حتى نظرَ نحوي، وتلاشت ابتسامته.

فورًا استدرتُ، وأسرعتُ وأصابني ببرودة الثلج. لم أكن متأكدةً حتى لماذا أنا خائفة إلى هذا الحد.

- هيونا.

لحق بي إيوجين على الجانب الآخر من الطريق، مطابقًا وتيرة مشيتي السريعة، عيناه لا تسقطان عني. هرع إلى جانبي، جالبًا معه رائحة الصنوبر على الجبال العاصفة. ابتلعتني عيناه مثلما تبتلعُ الغابات المنحدرات المظلمة.

سألني بصوتٍ متردد: «إلى أين تذهبان بهذه السرعة؟».

قلت بحلقٍ شديد الجفاف: «زاهبة إلى الهيمينسيو، أعمل هناك الآن». بعد دقيقة من التردد، قال: «سأرافقك إلى هناك».

يمكنني أن أستشعر نظراته المترددة إليَّ بينما نسير إلى أسفل شارع جونجنو، قبل أن ننعطف يمينًا عند التقاطع. بماذا تفكر؟ أردت أن أسأله. ما الذي تغيّر بيننا؟ أو هل تغير شيء بيننا؟ لكن خيمَ عليَّ خجلٌ مفاجئ، وبدلاً من ذلك سألته: «كيف ذراعك؟».

أجاب: «ليست مثلما كانت»، حينها لاحظتُ غياب السيف عن خصره، طالما كان يحمل واحدًا من قبل.

- ثمة تصلُّب في مرفقي، وبالكاد أستطيع الشعور بيدي اليمنى.

ألقى نظرة خاطفة أخرى نحوي.

- كتبتُ لكِ عدة رسائل، لكن الخط لم يكن مقروءًا بما يكفي كي أرسلها. ولم أرغب في أن أُملي خادمًا. أنا آسف على الانتظار...
في نظراته الطويلة، استطعتُ أن أرى ما الذي تمنى أن يقوله حقًا:
لماذا لم تكتبي لي؟

هَزَزْتُ رأسي بسرعة، وقلتُ بخفيةٍ ومرح: «لا داعي للاعتذار. لا بد من أن استعادة قوّتك قد استغرقت الكثير من الوقت. لقد أُصِبت بشدة». تشنَّجت عضلةٌ في فكيّ، ثم قلَّدتُ نبرتي الخفيفة: «أظن ذلك». مدَّ ذراعه اليمنى، وحدَّقَ إلى الأسفل نحو يده وغمغم: «أتمنى أن يزول التصلُّب مع الوقت، أو سأصبح المحقق الوحيد الذي لا يقدر أن يستعمل السيف في هذه المملكة».

- لا يحتاج المرء دائمًا إلى السيف للعثور على الحقيقة.
هَمَسَ: «مثلك».

نظرتُ إلى الأعلى نحوه: «مثلي؟».

قال: «ذلك اليوم في الغابة»، تشنَّج جسمي حين تذكرتُ.

- لم ترفعي حتى نصلًا في وجه الممرضة إينيونج. خشيتُ أن تقتلك أمام عينيَّ مباشرة، لكنكِ أجبرتِها على خفض سيفها.

تباطأت خطواتنا عندما وصلنا إلى بوابة الهيمينسيو الخلفية، قرب المكان الذي ساعدني فيه على تسلق الجدار حين التقينا أول مرة، منذ أكثر من ستة أشهر. بدا كأن إيوجين يفكر في ذلك اليوم أيضًا، فقد نَظَرَ نحو الحائط المكسوَّ بالقرميد، كأنه يتخيَّلني: هذه الهيون التي همستُ إليه وهي متدلية فوق الجدار: أشك جدًّا في أن نتصادف مرة أخرى.

قال بلطفٍ وهو ينظر إليّ مجددًا: «المرّة الأولى التي التقيتك فيها، لا أظنُّ أنني كنت أدركُ أي مفاجأة ستكونين».

لم يزد على ذلك، نظر إلى عينيّ بثباتٍ، يبحثُ، ينتظرُ، وللحظةٍ تشعّب الخوفُ في صدري، لا أريد أن يغادر، لكنني خائفة مما سيحدث إذا بقي. هذه المملكة ملأى بنساء شابات يَفْقَنَنِي بكثير وأنا على حالي هذه، أو على الحال التي قد أصل إليها. هنَّ أكثرُ جمالًا، أكثرُ احترامًا، أكثرُ جاذبيّةً. دائمًا ما أراد أبي المزيد، وأمي لم تكن كافية قط. وهذا أكبر كوابيسي؛ أن يبقى إيوجين ويكتشف أنني لست كافية.

قلتُ وقلبي ينغلق مثل المحارة: «يجب أن أذهب».

- هل سأراك لاحقًا؟

قلت: «ربما».

تغيرت ملامحه، وقال: «فقط ربما؟».

عضضتُ بتوتر على شفطي السفلى أستطيع أن أتخيل ما ستتكشف عنه الأيام القادمة: سأودّعه وأعدّه بأنني ربما أراه مجددًا، ثم أتجنبه أسابيع، والأسابيع تتحول إلى شهور. أبتعدُ وأقطعُ الروابط بنفسني قبل أن أتأذى. يجب أن يسير كل منا في طريق منفصل، وبعد سنوات، سأراه مارًا بالشارع في أحد الأيام وأتساءل: لماذا كنتِ خائفةً إلى هذا الحد يا هيون؟

حقًا، لماذا أنا خائفة لهذا الحد؟

غمغمتُ: «وقعت العديد من الأمور منذ التقينا أول مرة: لقد حللنا سلسلة من جرائم القتل ومؤامرة القصر معًا. لقد واجهنا المجهول، وخاطرنا بحياتنا. لقد حصل الكثير...»، تراجع صوتي عندما أدرك عقلي أن الكثير قد حدث بالفعل، وأنني يجب ألا أخاف من بعد كل ذلك.

أَيَّا كَانَ مَا يَنْتَظِرُنِي فِي الْمُسْتَقْبَلِ، عَلَيَّ أَنْ أَثْقُ بِأَنَّهُ سَيَحْمِينِي، مِثْلَمَا سَأَحْمِيهِ دَائِمًا.

كُنْتُ أَقْفُ قَاطِبَةً حَاجِبِيَّ، وَلَا بَدَّ مِنْ إِيُوجِينَ قَدْ أَسَاءَ فَهَمَّ صَمْتِي.
- أَعْرِفُ، لَقَدْ حَصَلَ الْكَثِيرُ. لَكِنِّي مَا زِلْتُ أَنَا نَفْسَ الشَّخْصِ، وَظَنَنْتُ
أَنَّكَ تَنْتَظِرِينَ. لَقَدْ تَمَنَيْتُ...

تَقَطَّعَ صَوْتُهُ، ثُمَّ مَرَّرَ يَدَهُ عَلَى وَجْهِهِ، الْوَجْهَ الْوَسِيمَ الَّذِي أَصْبَحَ
مَأْلُوفًا لِي، وَقَالَ: «لَا، لَا بِأَسْ. أَنَا أَفْهَمُ بِالْفِعْلِ...»، تَشْنَجَ تَعْبِيرَ وَجْهِهِ
بَيْنَمَا أَدَارُ ظَهْرَهُ لِي، وَتَحَرَّكَ لِغَادِرِ.
- إِيُوجِينَ.

مَدَدْتُ يَدِي لِأَوْقِفَهُ بِلَطْفٍ مَمْسُكَةً بِرَسْغِهِ. شَعَرَ بِيَدِي وَتَوَقَّفَ فِي
مَكَانِهِ تَمَامًا.

- لَقَدْ تَحْمَلْنَا الْكَثِيرَ مَعًا؛ أَنْتَ لَمْ تَتَخَلَّ عَنِّي حِينَهَا، فَلَا تَتَخَلَّ عَنِّي
الْآنَ.

شَعُرْتُ بِنَبْضِهِ يَخْفِقُ عَلَى أَصَابِعِي، سَرِيعًا مِثْلَ دَقَّاتِ قَلْبِي فِي
صَدْرِي. ثُمَّ اسْتَدَارَ ببطءٍ لِيُوَاجِهَنِي، وَجَنَّتَاهُ مَتَوَرِّدَتَانِ مِنَ الْخَجْلِ، لَمْ
أَرَهُ هَكَذَا قَبْلَ الْآنَ، عَيْنَاهُ تَضِيئَانِ. قَالَ هَامَسًا: «لَنْ أَفْعَلَ، لَنْ أَتَخَلَّى عَنْكَ
مَهْمَا حَصَلَ».

وَضَعْتُ يَدِي فِي يَدِهِ، وَعِنْدَمَا تَشَابَكَتْ أَصَابِعُنَا، اتَّضَحَ لِي أَنَّ الْحُبَّ لَمْ
يَكُنْ مَا خَشِيتُ مِنْهُ: تَخَيَّلْتُهُ نَارًا هَوَاجًا تَحْرُقُ كُلَّ مَا فِي طَرِيقِهَا. لَكِن
عَلَى الْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ، شَعُرْتُ بِأَنَّهُ عَادِي وَاسْتِثْنَائِي فِي آنٍ وَاحِدٍ، مِثْلَ
الاسْتِيقَاطِ لِاسْتِقْبَالِ يَوْمٍ جَدِيدٍ.

قَالَ بِهَدْوٍ: «جَنَاحُ السِّيَجِيُومِجِيُونَجِ، انْتَظِرْنِي هُنَاكَ بَعْدَ الْعَمَلِ. ثَمَّةُ
الْكَثِيرِ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي أُرِيدُ إِخْبَارَكَ بِهَا».

هزرتُ رأسي، امتلاً قلبي، وأصبح على وشك الانفجار، بينما اقترب بشكلٍ غير معقول. انخفضت رموشه، وتوهجت أذناه احمراراً، ثم أنزل إيجين رأسه، وطبع قبلة ناعمة على وجنتي.

قال: «لا يوجد سواك». داعبتني كلماته، والتفت حول روحي: «لن يكون هناك أحد سواك. أعذك، يا هيوناه».

وقفتُ على رؤوس أصابعي، ولففتُ ذراعيَّ حول عنقه، فتدلى الكتاب الذي أحمله على ظهره بينما عثرتُ أنا على شفتيه. بدا مدهوشاً في البداية، ثم ابتسم من قبّلتي. أستطيع سماع أفكاره: أنتِ دائماً تفاجئيني. ابتسمتُ أيضاً. أعرف.

عندما انتهت القبلة، بقيتُ أعيننا مغمضةً: نصف مرتخية، ونصف مذهولة من خروجنا عن الآداب العامة في وضح النهار. همستُ: «يجب أن أذهب حقاً».

لكنه أطل، فمشطَ خصلةً من شعري وراء أذني، وقال: «ربما عليك ذلك، يبدو أنهم يحتاجون إليك».

نظرنا معاً نحو الشارع الضيق المنعطف حول الهيمينسيو. ثمة صف من الفلاحين المرضى المحتشدين أمام البوابة الأمامية في انتظار فتح أبواب الهيمينسيو. من المذهل أن أحداً لم يلحظنا.

ألقيتُ نظرةً أخيرةً على إيجين، أمسكتُ بيده لحظة أخرى، ثم تسللت عبر الباب الخلفي.

دسست الكتاب الطبي تحت إبطي، وشققت طريقي، متوردة الوجه، نحو الجناح الرئيسي، حيث اجتمع الأطباء والمرضات في انتظار بداية توزيع المهام عليهم.

- أنتِ متأخرة.

قال صوت مألوف. إنها الممرضة جيونجسو، المسؤولة الآن عن اليوينيوس. راقبتني من كُثب بينما أُسرِع على الدرجات الحجرية نحو الشرفة المطلّة على الساحة الواسعة والبوابة الرئيسية.

- لم تتأخري من قبل قط.

قلت لاهثة قليلاً بينما أَعثر على مكاني إلى جوار جيون: «لقد تشتتُ يا يوينيو-نيم».

- من الجيد سماع ذلك.

بعد تمهّل، زينت ابتسامة شَفَتَي الممرضة جيونجسو. أسندت وزنها على عصا المشي؛ عصا مصنوعة من الخيزران نحتها «البايكجيونج» الذي كانت تحميه، وأرسلها مع أحد أبنائه.

- لقد كنتُ قلقة، حتى منذ أن كنتِ ممرضة طالبة، من أنك ربما تحاولين جاهدة أن تتفوقي في كل شيء. من الجيد أن أراك مرةً متأخرةً ومرتبكةً بعض الشيء. تبدين وكأنك قد تغيرت.

قلتُ بصوت منخفض لا يصل إلا لأذنها: «لعلّ ذلك لأنني قد كبرت قليلاً منذ أن غِبتِ». اتسعت ابتسامة معلمتي، وفكّ الخدم قفل المدخل الرئيسي، فاتحين الأبواب أمام طوفان من المرضى الصاخبين.

شبكت يديّ معاً، وعدّلت استقامة ظهري، قلبي يشرق مع شمس الصباح.

- الأبواب الآن مفتوحة يا يوينيو-نيم. يومنا يبدأ.

ملاحظات الكاتبة

القصر الأحمر رواية مستوحاة بتصريف كبير من حياة وموت ولي العهد جانجهيون (المعروف أيضًا بولي العهد سادو)، شخصية تاريخية افتتنتُ بها فترةً طويلة. عندما استجمعت شجاعتِي أخيرًا للكتابة عنه، حاولت ألا أبتعد كثيرًا عن الحقائق التاريخية. لقد درستُ بقدر ما أستطيع عن حياته، واستمعت إلى كل ما وجدته من المحاضرات التي قدّمها مؤرخون كوريون. لكن حتى بعد ذلك، كنت على دراية بالقيود التي أواجهها بصفتي كورية لم تعيش في كوريا وكاتبة أدب، ولذلك فليس هدفي من هذا الكتاب أن أقدم رواية قائمة بشكل كامل على الوقائع الحقيقية. فمثلًا واقعة مقتل الممرضة هيو-وك هي حدث خياليّ مستوحى من أول حادثة قتل موثقة قام بها ولي العهد، إذ قتل وقطع رأس الخصييّ كيم هان-تشاي في عام 1757. في النهاية، هدفي من هذا الكتاب هو سردُ قصّة، مع الالتزام بالتاريخ قدر الإمكان.

وتاريخ ولي العهد جانجهيون حزينٌ جدًّا بالفعل.

لتوضيح شيء من السياق، تُعدُّ قصة الأمير إحدى أعظم المآسي في تاريخ مملكة جوسون (1392-1910). في عمر السابعة والعشرين، حُكِم على الأمير بالدخول في صندوق أرز في أحد الأيام الصيفية

الحارة، ثم أُغلق عليه الصندوق بأمر من والده. وقد ترك هناك حتى مات جوعاً بعد ثمانية أيام.

طريقة الإعدام هذه كانت محاولة من الملك للالتفاف على قوانين البلاط التي تمنع أي شخص من إيذاء أحد أفراد العائلة المالكة، والالتفاف أيضاً على الممارسة الشائعة آنذاك: العقاب الجماعي، والتي كان من شأنها أن تعرّض حياة ابن ولي العهد للخطر (وهو وريثُ العرش المباشر الوحيد).

السؤال حول ما الذي أدى إلى هذه الواقعة المأسوية ما يزال محل جدل. إحدى النظريتين وأقدمهما تشير إلى أن ولي العهد عانى مشكلاتٍ نفسيةً حادة غير مُعالجة، تفاقمت، وتحولت إلى عنف.

وتشير قراءة النصوص التي تعالج هذا الموضوع إلى أن ولي العهد عانى بالفعل أعراضاً نفسيةً. ومع ذلك، فإن هذا الموضوع حساس ومعقد، ولذلك اخترت ألا أركز على هذا الجانب من حياة ولي العهد. فقد كنت أعرف أنني لن أكون قادرة على إنصاف تصوير هذه التجربة تحديداً، من دون الوقوع في خطر الإشارة إلى أن أولئك الذين يعانون مشكلاتٍ نفسيةً يشكّلون خطراً. وهو شيء لا أؤمن به، أو أتغاضى عنه على الإطلاق.

أما النظرية الأحدث، فإنها لا تُقدّمه باعتباره «قاتلاً ذهانياً»، بل باعتباره عبقرياً عاش مأساةً، حيث اصطدمت آراؤه الثورية مع فصيل التعاليم القديمة، وهو الحزب السياسي القائد في ذلك الوقت. وبالتالي وقع ضحية لمؤامراتهم السياسية في البلاط الملكي.

على الرغم من ذلك، ثمة شيء واحد يجب أن نضعه في اعتبارنا؛ حتى لو كان ولي العهد جانجهيون ضحية الصراع السياسي حقاً، فإن هذا لا ينفي جرائم القتل التي ارتكبتها. لا يُعارض أي من الباحثين

حقيقة أن ولي العهد قاتل، لأن هذه الحقائق وُجِدَت في العديد من وثائق البلاط، مثل حوليات سلالة جوسون، ويوميات الأمانة الملكية، بالإضافة إلى مذكرات السيدة هيجيونج زوجته. جرائم العنف التي ارتكبتها كانت متوحشة، ويُزعم أنه قتل مئة شخص في حياته.

أيًا كانت الحقيقة وراء إعدامه، فقد عاش ولي العهد حياة شديدة الصعوبة والألم، ومات في عام 1762 من دون أن يتبوأ الحُكم. يرى الكثيرون أن هذه المأساة ناتجة عن تفضيل الملك يونغجو حياته السياسية على حياة ابنه ككل. وبعد موت ولي العهد، منحه الملك لقب سادو، والذي يعني «التفكير بحزن عظيم».

طوال فترة حكمه المتبقية، حظر الملك ذكر اسم ولي العهد. ليأتي بعد سنوات طويلة لاحقة، جيونغجو، ابن ولي العهد جانجهيون، ويتعامل مع المأساة عند اعتلائه العرش معلناً: «أنا ابن الأمير سادو».

أنصح من يرغب في معرفة معلومات أكثر شمولية عن حياة الأمير سادو بقراءة مذكرات السيدة هيجيونج.

شكر وتقدير

تأليف هذا الكتاب كان متعة خالصة، وأنا ممتنة جدًا لعدد من الأشخاص الذين جعلوا هذه التجربة ممكنة.

إلى محررة أحلامي إيميلي سيتل، شكرًا لكِ على إلهامك الدائم لي، وعلى الكثير من الأفكار الرائعة. أردت أن أكتب عن ولي العهد سادو منذ فترة طويلة جدًا، لكنني لم أعرف قط كيف أقاربُ هذا الحدث التاريخي، حتى فكرتِ أنتِ في الجمع بين القصر الأحمر والمحقق الملكي. لذا فأنا مدينة لكِ جزئيًا بوجود هذا الكتاب.

إلى بطلتي (ووكيلتي) آمي إليزابيث بيشوب، أنا ممتنة جدًا لأن بمقدوري الرجوع إليك دائمًا. لم تعد رحلة النشر هذه مخيفة وأنتِ وكيلتي، وقد وصلتُ إلى ما أنا عليه الآن بفضل توجيهك وتشجيعك.

الكثير من الشكر لفريق النشر في Feiwei & Friends، بما في ذلك ناشرتي الرائعة بريتاني بيرلمان، ومحررتي آنا ديبو، ومصممة الغلاف سونجا بارك، ومدير التحرير داون ريان، ومحرر الإنتاج كاثي ويلجوسز، ومصممتي ليز دريسنر ومدير الإنتاج سيليست كاس.

إلى الداعمين والقراء الأوائل لهذا الكتاب: كريستين دواير، وإرين كيم، وأكسي أوه، ويونيس كيم، وكريستينا لي وأختي شارون، شكرًا للقراءة ورفع ثقتي بهذا الكتاب! أيضًا أريد أن أشكر كيس كوستاليس،

ملكة الرومانسية، على كل اقتراحاتها الرائعة (أنسب لك السطر الأخير من الفصل الثامن عشر)، كذلك سارة رانا لمنعي من حذف العديد من المشاهد (مشهد «الطاولة الواحدة» يُنسب إليك).

امتناني الأبدي لكل أمناء المكتبات، وبائعي الكتب، والنقاد، والقراء الذين دعموا أعمالي. حماسكم يتيح لي أن أستمّر في عمل ما أحب: اكتشاف التاريخ الكوري عن طريق الخيال. أودُّ أيضًا أن أشكر أصدقائي منذ فترة طويلة جانيس وفيل، دائمًا وأبدًا سأكون ممتنة لدعمكما لحلمي منذ اليوم الأول.

إلى أُمي وأبي، شكرًا لإيمانكما بي، واحتفائكما الدائم بي، دعمكما المستمر يعني الكثير لي. أيضًا أود أن أشكر أهل زوجي السيد والسيدة تونج لمجالسة الأطفال حتى أجد وقتًا للكتابة، كنت سأعاني من أجل الوفاء بمواعيد التسليم النهائية من دون مساعدتكما.

شكر خاص لزوجي بوسكو، أنت شريكي في العصف الذهني، وأنا أقدر جدًا كم أنت لطيف ومراعٍ، مهما كنت متوترة، خاصة مع مواعيد التسليم. أنت الأفضل.

أنا ممتنة للعديد من المصادر التي جعلت كتابة هذا الكتاب ممكنة، خاصة ترجمة جاهيمون كيم هابوش لمذكرات السيدة هيجيونج، وكتاب أندرس كارلسون «Law and the Body in Joseon Korea: Statecraft and the Negotiation of Ideology Origin and Development of the Female Medical Practitioners' (u~inyō) System During the Chosōn Dynasty (1392-1910)» لفينسينزا دورسو.

شكرا لقراءة هذا الكتاب.

الأصدقاء الذين جعلوا

القصر الأحمر

بين أيديكم:

جان فيويل، الناشر

ليز زابلا، ناشر مشارك

ريتش دياس، المدير الإبداعي الأول

هولي ويست، محرر أول

آنا روبرتو، محرر أول

كات برزوزوسكي، محرر أول

داون رايان، مدير التحرير التنفيذي

سيلست كاس، مساعد مدير الإنتاج

إميلي سيتل، محرر مشارك

إيرين سيو، محرر مشارك

فوينسي أديغبونمير، محرر مشارك

راشيل ديبل، محرر مساعد

ليز دريسنر، المدير الفني المساعد

كاثي ويلجوز، محررة الإنتاج

أفيا بيريز، محررة الإنتاج.

مكتبة
t.me/soramnqraa

THE RED PALACE

القصر الأحمر

إذا دخلت هذا القصر فأما الموت وإما النجاة التي تجعلك شبحاً آخر يعيش داخل جدرانها...

مملكة جوسون، كوريا عام 1758..

الخيارات المتاحة للبنات غير الشرعيات في العاصمة قليلة، لكن بمثابرتها على العمل الجاد والدراسة، حصلت هيون ذات الأعوام السبعة عشر على منصب ممرضة في القصر. كل ما يتطلبه الأمر هو أن تبقى رأسها منخفضاً، وتمارس عملها بشكل جيد، لعلها تنال في النهاية رضا والدها المنفصل عنها.

لكن هيون تجد نفسها منخرطة فجأة في عالم سياسة البلاط الحاكم المظلم والخطر. عندما يقتل شخص ما أربع نساء في ليلة

واحدة، يتضح أن المشتبه فيه الرئيسي في هذه الجريمة هو أقرب صديقاتها ومعلمتها، فتبدأ هيون تحقيقها السري الخاص عاقدة العزم على إثبات براءة معلمتها.

في أثناء رحلتها للبحث عن الحقيقة، تلتقي إيوجين، مفتش شرطة شاب يبحث بدوره عن القاتل. تبدأ الأدلة في الظهور وتتجه أصابع الاتهام إلى ولي العهد نفسه، فتتعاون هيون مع إيوجين لسبر أغوار زوايا القصر المظلمة وكشف الأسرار المميتة وراء إراقة كل هذه الدماء.



غلاف: محمود هشام

مكتبة
t.me/soramnqraa



www.aseeralkotb.com
contact@aseeralkotb.com
aseeralkotb
aseeralkotb
aseeralkotb